



ديوان

أسامة بن منقذ

حقته وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٣٩ هـ

ديوان
اسامة بن منقذ

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٢٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٢٩٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الذكتور أحمد أحمد بدوي

(١)

في يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يوليه سنة ١٠٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، في أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهي مدينة في الشمال الغربي لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربي الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن . الصيد في النهار ، ونسخ كتاب الله في الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينهيه عن أن يمضى إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها في الدار مئنة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه في رياضته المفضلة عنده ، وهي الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعدّ للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن مآثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومنتور ، وما اقتبسه من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجري إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بني منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أنيرا لدى عمّه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابنا له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وجرأة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين ؛ دفاعا عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمّه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه . خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يثول الملك إليه دونهم ، فضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيقي داهم الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس
 وطنه الأوتل شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم . سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)
 فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء
 في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر
 لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وأن
 ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ، فقتلتوا
 في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ،
 وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بجاكها : معين الدين
 أنر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نجح أسامة
 في ذلك ، نجاحا رفع مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل
 بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكن المقام
 لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين
 أنر يعاتبه فيها — أن السر في نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون
 إلى معين الدين ، صدقها ، فأنحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميري : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أمم
 هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الوري علم
 تضييع واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، وانخدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتى
 ولا اعتقدت الذى يبنى ويبدك من
 « إن المعارف فى أهل التهى ذم »
 لكن ثقاتك مازالوا بغشهم
 « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
 والله مانصحوها . لما استشرتهم
 وكلهم ذو هوى فى الرأى متهم
 كم حرقوا من مقال فى سفارتهم
 وكم سعوا بفساد . ضل سعيهم

ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
 كان يضمه فى قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد هذا
 العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشتلى ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالنى من بؤسه نعم

ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها فى جمادى الثانية
 سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ،
 وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام ، وأقطعته
 إقطاعا ، عاش به فى رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة فى أول
 الأمر أن يزج بنفسه فى الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولى الظافر ألقى
 بنفسه فى خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك فى المؤامرات
 التى انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
 بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
 وبين الوزير المصرى الجديد : طلائع بن رزك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فتهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصري طلائع قصائد يحثه بها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثر ثمرتها ، ولم يصنع نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شنها نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها ، فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين ، قضاها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، ففضى إلى حصن كيفا ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف ، وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، ففضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلوات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلمّ به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوفا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ - كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hratwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصوّر الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدون ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك ، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصوّر طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويجوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقيمة الكتاب في أن مارواه من حوادث تاريخية ومعارك ، تجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ؛ ولذا كان من أهم منابع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبته مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، تحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموجز البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تتحدث عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر . وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعدناه للنشر .

٥ - كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، في أثناء إقامته في حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل ، والديار ، والأطلال ، والربيع ، والدمن ، والرسم ، وغيرها . وبالمتحف الآسيوي بلنجراد نسخة منه .

- ٦ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي .
- ٧ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي أيضا .
والكتابان مخطوطان بدار الكتب .
- ٨ - تاريخ القلاع والحصون .
- ٩ - أخبار النساء .
- ١٠ - التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرًا من الفريقين .
- ١١ - التجائر المربحة ، والمساعي المنجحة .
- ١٢ - النوم والأحلام .
- ١٣ - الشيب والشباب .
- ١٤ - التأسي والتسلي .
- ١٥ - ذيل يتيمة الدهر .
- ١٦ - أخبار النساء .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا ، ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تكريده القصر ، والروضتين ، في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوبا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر متفرق في الكتب ، وسنلحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وآخر لشكوى الفراق ، وغيرها للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء ، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ، برغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو ، حتى لقد قال :

ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيمي يطيعني ، حين أدعوه ، وأعصيه
يهم أن يذكر القوم الأتنام بما فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الغنى وإن جنى . ولاذكر ذى نقص بما فيه

(١) محفوظة بالدار تحت رقم ١٦٨٧٧ ز .

وفي ذلك مسحة من ترفع الإمارة التي تحول بينه وبين النزول إلى مستوى التشاتم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة الواحدة ، فيضع غزلها مثلا في باب الغزل ، ومديحها أو نغرها في باب المديح أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته في تتبع الدراسة الفنية ، لكل فن من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذي توحى به ، وإدراك مدى الصلة التي تربط بين عناصرها .

ويبدو ، لأول ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر ، لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه ، لحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما رددتُ في شعري النظر بان ضعف العي فيه ، وظهر
ليس يرضيني ، ولا يمكنتي مجد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجيل الفكر في تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى مافيه من عيب ستر

وذاك يدل على تطوع أسامة إلى مثل أعلى ، كان ينبغي أن يصل إليه مستوى شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره في تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم والتنقيح ، حتى ظهر شعره في هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر الفحول ، الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهرا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجري

وراء محسن لفظي، من غير أن يكون في البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فليده ما يقوله، في أسلوب قوي، وعبرة رصينة.

وتتدفق خواطر أسامة في قصيدته، ويرتبط بعضها ببعض، حتى يصبح البيت لبنة، في بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلا قوله:

لا تجزعنْ نخطب فكلّ دهرك خطب
وحادثات الليالي مملّة ، ما تغب
تروح سلها ، وتغدو على الفتى، وهي حرب
ولا تضق باصطبار ذرعا، إذا اشتدّ كرب
فصبر يومك مرّ وفي غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم فأدر كوا ما أحبوا
وكّل نار حريق يخشى لظاها سنخبو

ترفيه التهام الخواطر وتسلسلها، ولا تجد ذلك في مقطوعاته القصيرة فحسب، بل في قصائده الطويلة أيضا، حتى ليخيل إليك أحيانا أنك تقرأ قطعة مثورة، لا قصيدة منظومة. ويطول نفس أسامة أحيانا حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتا، كذلك التي كتبها على لسان نور الدين، يعدد فيها وقائعه مع الفرنج.

وينهج أسامة في كثير من الأحيان المنهج التقليدي، فيبدأ قصائده بالغزل حين يفتخر، أو يمدح، أو يشكو، وحين يبدأ موضوعه من غير مقدمة غزلية،

كهذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقي الفرخ وهزمهم ،
فقال أسامة .

كل يوم فتح مبين ، ونصر ، واعتلاء على الأعادي ، وقهر
ومضى في قصيدته .

ولكثرة ما أطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمّنه بعض قصائده . حتى
قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى
التّضمين ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولي شكية ، أنت فيها « الخصم والحكم »
وما ظننك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »

وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : واحر قلباه ممن قلبه شيم .
أما قصيدة أسامة التي مطاعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهى عليه ، ولا أمر
فقد ضمّنها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي صخر
الهدلي ، وغيرهم . وليس التّضمين بكثير في شعر أسامة . وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلمس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا
نادرا ، وليس في باب الملح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الأمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاحترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا ، وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرّت بأسامة صداها في شعره ، وصور
آثارها في نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه ،
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول : شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته ،
وملاعب صباه ، وملاهي شببته . وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن ،
شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر الحجن ، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليك هما ضاق عن كتمان صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا اللهم ، أقرئها الكرى وتلظّ بي صبغا ، فما تنفرق

ويأتيه بأنه قد صم على فراق دار الهون ، ما دام الحقد عليه قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعني وقطع الأرض ، دون معاشر كلّ على ، لغير جرم ، مُحْتَق

تغلى على صدورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فبئست من إدراكه ، ما النجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشى على ، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفوني فالأبعاد أرفق

وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزّة نفسه :

أأسام خسفا ، ثم لا أبى ، فلست إذا أسامة
هيات ، لا ترضى المعأ لى صاحباً يرضى اهتضامه

وألقى أسامة بنفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التى لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبى من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لى
وناظر قرحت أجفانه ، أسفا عليك ، فى لجة من دمعه غرق
وبعد ما بى ، فاشفائى يهددنى بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قدرانت عليه ، من السواشين بى ، جفوة يهماء ، كالغسق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعذك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصدق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الذلق
 أغشى الوغى مفردا من أسرتى، وهم هم إذا الخيل خاضت لجة العلق
 وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كيسى ولا حمقى
 وكان موقفه من دمشق حين نبت به ، كموقفه من وطنه الأول ، فارقها ،
 غيرراض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
 إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البزاة سواء فيه والرخم
 تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر ، ملؤها ندم
 أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
 الملك والسّلطان ما صحّ أن يقول معه :

خمسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كأتى كنت عنها غائبا
 وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كلّها وتجاربا
 شاهدت من لعب الزمان بأهابه وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا

ولعلّ الأزمات السياسيّة التى مرّت به فى مصر ، كانت تملأ صدره بالهم حيناً ،
 والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر ، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهمى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
 ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى ، ولا فيك أوطانى وأوطارى
 لكن إذا حمت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حيناً إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض لحة السياسة - وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرتجى الـ أمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ماخولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كأتى في منام زال منه ما سر ، عند اناباهي

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقها ، وكان يتمنى أن يلي

دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعوها إليها إلى العودة

والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلاً ، أبين رأى الملك الصالح فيما أتهم

به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يبرئ أسامة براءة تامة من هذا

الإثم ، ويراها نقي الصفحة ، طاهر اليدين ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعوها

إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه تد نال بالعدر من بني نبي الهدى مالم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل جرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والغا كالكلب ظلما وحزبه دماءهم ، لاحاطه الله من حزب

وياليت لو كان فيه من الوفا لمالكه بعض الذي هو في الكاب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دنوه يحاذر أن تدنو الصحاح من الحرب

كان لكثرة الترحال أثره في شعر أسامة ، فكثيرا ما شكى الفارقة والافتراق ،
وكثرة جوبه البلاد . وتحسّ في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن
المفارق ، والآل الغائبين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقى العمرِ مغتربٌ ناءً عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرّ جيادى فى معرّسها حتّى أرّوعها بالشّدّ والظّعن

ويقول :

أين السّرورُ من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطنٌ ولا خلانٌ
عيدُ البريّة موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
وإذارأى الشّمل الجميع تراحت فى قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرّحيل الدّائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤرّق حياته ، وينغص
عليه عبسه . وكان له أثره فى مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدّد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التى جرت بعد مقتل
الظافر . وغرق بعضها فى البحر عند خروج أسرته من مصر - أثره البالغ
من نفسه . وأثره القوى فى شعره ، شكاه ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه
المعونة . فقال له :

أنا أشكو إليك دهرا لحي عو دى . وأعراه ، فهو يبس سليب
وخطوبا رمى بها حادث الدهر سوادى . وكلّهن مصيب

أذهبت تالدى وطارفى الطارى ، فضاء المورث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ، ذا غريق قى ، وذا منهب

ويظهر أنّ الفقر قد عبّه بناه حيناً من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون إليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظّ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤله فى حالة العسرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
سأخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

متى رآن الشامتون ضرعاً لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل برّنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحاً للنوال والتدى

فإذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . وبرغم
ما كان بينه وبينهم : من إحزن وبغضاء ، عزّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوعاً لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمن ، وإذا أفردت بالرزء ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قومي فى هلاكهم ولا تخرمهم مثني ووجدانا

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا أخوا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظنَّ به ظانٌّ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جرّاه ، دارانا
يقول بالظنّ إذ لم يدر ما خلقى ولا محافظتى من حان أو بانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضعانا
وما درى أنت فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجنان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دى دمهم وإن أرونى مناواة وشتانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتّى ، حين ألقى الخطب عريانا

وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ترى أودعوه رحمة ملأت مئوى قبورهم روحا وربحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلين تحت الثرى ، عفوا وغفرانا

ولما علت سنّ أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، فحينما يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف ،
فقد كانت كفه مألفا للسيف والرحم ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشى الأسير منقلا بالكبل ، وحينئذ يأسف على أنه لم ينل في شببته ، من المتع
والملاذ . ما كان جديرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزمان لى ليلى نهارا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أتى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ،
فوجد اليتيم ينظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجابة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها أن سوف تيم عن قرب ، وتنعانى
وهى الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تمتري دمعى وأحزاني

وصور لنا أسامة نفسه محميا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وئرا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيد
بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعيى إلى الحرب
وكنت إن توب داعى الوغى لبيته بالطعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلىن والأوطان . والأتراب ماتوا

ولبس عيش المرء قارقه الأحببة واللذات
فإلام أشقى بالبقاء ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة مجد ،
وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه مجد - قوية وثيقة ، يضمراً لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعنى أكبر ما يعنى ، بأن يكون راضياً عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدي عنهم برضاك لي إن الذي ترضى عليه موقف

حتى إذا أثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد يشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أن تغيراً ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالي وللشفعاء فيما أرتجى من حسن رأيك في ، وهو شفيعي

أعذبت لي من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعي

وبك اعتائت ، وطلت من ساميته نغرا يجمدك لا بحسن صنيعي

وقضى ببعدي عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعي

(٢١)

وكتب مرة إليه من مقتربه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق مما أنت فى ملاقى

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أظنّ أتى بعد بعدك باقى أبجى عن الأشواق بالأشواق
أبا المظفر ، دعوة تشفى الظما منى ، وإن أضخى بها إحراقى
لم أستكن أبدا لخطب نازل إلا لبعذك فهو غير مطاق
فاذا أطعت الوجد فىك أطاعنى قلبى ، ويبدى إن عصبت شقاقى
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب ثمل سقاه من المدامة ساقى

ولعلّ والده رأى هذه القصيدة غير مبينة عما يضمه قلبه لولده من لاجع
الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولما شئت إخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعتبى ، وصادق الحبّ والمودة ،
وحدث أن أخاه مجدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيزر من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسراخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أنحى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمى

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعل خير ما يصور موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلقن أهل ودي	ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، ويئست منهم	فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم قوادى	كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا	كأني ما سمعت ، ولا رأيت
تجنوا لي ذنوبا ما جتها	يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا	كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا ، وتبدو	صحيفة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت النفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكل هذا يدلنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حب يضره لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظللهم جميعا الود والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكد المس في شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزيك ،
 ودار بين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكين بين قلوبهما ،
 وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فمضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
 إلى مصر حيناً ، وتعتب عليه إشاره البعد عنها حيناً آخر ، وتأخذ عليه أحياناً
 أنه مقلّ في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيراً ما حدثه الصالح عما قام به من
 حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
 على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
 في حياته ، وكان الصالح معجباً بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه
 محاربا شجاعا ، وشاعرا مفلحا ، وخطيبا بارعا ، وحكيميا في إبداء الرأي صائبا ،
 يقول له :

وجهادُ العدوِّ بالفعل والقول ، على كل مسلم ، مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
 أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
 وإذا ما حرّضت فالشاعر المفلق فيما تقوله والخطيب
 وإذا ما أشرت فالحزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
 لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن
يجمعها معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تنشبت وحدتهم، ولا يستطيعوا
الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشيهما ،
ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمتنا لك ، بازال يدرك المطلوب
والق عنا رسالة عند نور الدين ما في إلقائنا ما يريب
قصدا أن يكون متنا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرجيب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغيوث مال صيب

فهو يعد بالجيوش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
كفيل بأن يلقي بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو ان نور الدين يجعل فعانا فيهم مثلا
ويسير الأجناد جهرا ، كي ننازلهم نزالا
ونفى لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
لرأيت للافرنج طرا في معاقلها اعقالا
وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا القملا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المفوه المقبول
فراى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى الملكين معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ، ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس : من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يبرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان الصالح يبره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة يجد غضاضة فى سؤال الصالح ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالبحور فى ، ولم يزل يجور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوابه عودى ، وأنفد مو جودى، وشتت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرنجيا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أهنى نوالا تنيله وتثيب
جاءني والبعاد دوني ، كما جا بت فيافي البلاد ربح هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقم المسترفد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنر حاكم دمشق، عندما كان في كنفه،
وبعد أن فارقه وجاء إلى مصر، يثني عليه بالجوهر الذي تعبد به فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثني عليه ببلائه في حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فل غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الإسلام ياسيفه الخدم عزاً ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبي الفتوح وزير الظافر، وابنه نصرًا على نعمه
وما أولاه من الفضل والكرامة . وفي ديوانه قصيدة ، لا أدري لمن وجهها ،
مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه في نور الدين محمود :

فهو المحامي عن بلاد الشام جمعاً أن تذالا

وميد أملاك القر نبح وجمعهم حالا فخالا

ملك يديه الدهر والدنيا بدولته اختيالاً

فإذا بدا لناظرين رأيت عيونهم الكجالاً

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلائها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباهج الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نخره في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكفاة إلى	أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما	طلق المحيا ، ووجه الموت قد كلبحا
بصارم من رآه في قتام وغي	أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أعدو لنار الوغى في الحرب ، إن نعمدت	بالمبيض في البيض والهلمات مقتدحا
فسل كفاة الوغى عنى ؛ لتعلم كم	كرب كشفت ، وكم ضيق بي انفسحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبدية في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يجلسوا في السلم منزلتى من العز المنيف
فبا أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فطلما أقدمت أقدام الختوف على الختوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكروه وأحداث الزمان .

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فلسرور غاية ينتهي إليها ، وللأحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال ، فن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام ، فإن الشدائد إذا كانت ستمتضي وتزول ، فن العيب أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفّض عليك ، فلألمور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إنّ هذه النظرة تنتهي بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مسترجعا نزر المواهب والعطايا

متغابر الأحوال مختلف الضرائب والسجايا
 لانعمة فيه تدوم ، ولا تنوم به البلايا
 لم أغتبط فيه بفا ندة ولم أخش الرزايا

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل
 فكل الذى يأتى به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
 وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى ينقضى فحسب ، ولكنه الطريق
 إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأو العلا سبقاً وتبريزاً
 وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
 واثق من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقنط ، فأياس ما تكون يأتىك لطف الله بالفرج
 ثق بالذى يسمع النجوى ، وينجى من السبلوى ، ويستنقذ الغرقى من اللجج

وإذا كان كل شىء فى هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
 فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغنم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحت إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
 ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإيثار العيش في حمول وهدوء :
 ارض الحمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
 أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم ، وقلق لا يهدأ :
 لاتقربن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
 فإن أبوابه كالبحر ، راكمه مرقع القلب ، يخشى دهره الغرقا
 وأسامة ممن يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدين بالخط ، ويرى الرزق مقسوما ،
 لا حيلة في تبديله :

فروض الأمر راضيا جف بالكائن القلم
 ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
 دل رزق الضعيف وهو كالحم على وضم
 وافتقار القوى ترهبه الأسد في الأجم
 أن للخلق خالقا لا مرء لما حكم

ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهدون فيها إلا متكلفين
 مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسامة في ديوانه بابا للتراء ، خص جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
 عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :

عتيق كأهللال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
 تقول إذا به الأتراب حفا : أهذا البدر ما بين النجوم

وأكاد ألمس في تشبيبه بالهلال يبدو لسارى الليل ، أنه كان أملاً لأبيه ،
 طالما تمنّاه ، ليكون رفيقاً لولده الآخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لذعة ألم
 في قلبه ، أمضته فمضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا سميّا أنه نكب به
 وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عنده في خلف يأتي به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فؤاده الدائم بابه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كـيـف اصطباري ؟! ما عنك صبري جميل
 أنت ، حيث أتجهت ، في أسودى عيـ سنى وقلبي ، عمثـل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك ، والأشجان تمنعني أن أهتدى لطريقي حيث أنصرف
 فما أرى غير أحجار منضدة قد احتوتك ، وماوى الذرة الصدف
 فأنثني ، لست أدري أين منقلبي كأننى حائر فى الليل معتسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
 ويتوجع لمصيرهم ، بل أثار فيه الألم لحياته القلقة المشردة ، التي لا تأوى إلى وطن :

رمتنى فى عشر الثمانين نكبة من الثكل بودى حملها من له عشر
 على حين أفنى الدهر قومي ، ولم تزل لهم ذروة العلياء ، والعدد الذثر
 فلم يبق إلا ذكرهم وتأسفى عليهم ، ولن يبق التأسف والذكر
 وأصبحت لا آل يلبون دعوتى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
 كأتى من غير التراب ، فليس لى

من الأرض ذات العرض ، دون الورى ، شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقبي أمرها - لا تستحق عناء طلبها ، ولا التعب
في جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس في غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التي تشعرنا بقلب دلهه الحبّ ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتبين له إحساسا تفرد به ، أو لمحات امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحب ، بل أرجح أنه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كلّهُ ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليهم في وصف عواطف
الحبّ ، ومما يلحظ على غزله أنه شاك حزين ، لا تكاد تلمح فيه ابتسامة سرور ،
وقد يرقّ أسامة أحيانا ، ويتخذ أوزانا مرقصة ، ونحسّ ببعض نبضات الحياة
في غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفوني من كراها
والذى أوهم عيني أنّ في النوم قذاها :
يا ملولا ، قلبا استرعى عهدا فرعاها
يا ظلوما ، قلبا استعطفته ، صدّ وتاها
زدت في تبهك ، والشئ إذا زاد تناهى
تتفضى دولة الحسن ، وإن طال مداها
راحتى لو سمع الشكوى إليه ووعاها

غير أنّ الصّم لا تسمع دعوى من دعاها
وهو لو نادى عظامى رمة لبي صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :

ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلموا فليتهم حكوا فينا بما علموا
ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهداً، ولا أطلعت على ودائعهم في صدرى التهم
وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ؛ لو قيل لى : ما ذا تحبّ؟ وما مناك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
هم مجال الكرى من مقلتي ، ومن قلبي محلّ المنى، جاروا، أو اجترموا

وهاك من غزله في قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرفا فعاد ينكر منّا كل ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستل الضغائن
من القلوب ، تشغرفيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمه يستعطفه :

هبنى أتيت بجهل ما قذفت به فأين حهلك، والفضل الذى عرفا

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
 ما حدثتني نفسي عند خلوتها بما تعفني فيه إذا انكشفا

وبعد فشعر أسامة من النوع الجزل الفخم ، لا يكاد تجد فيه من الهنات
 إلا ما يعدّ ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جدّوا
 شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوة والجلال .

أحمد أحمد بدوي

مقدمة حامد عبدالمجيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، عنى بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجيل قلبه في أرجائه بالحو حينا والتعديل حينا آخر ، وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لكبار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلمسهم أسباب الإجابة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ؛ وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، معتبطين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجابة والاتقان .

وقد عنى أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبو أدبه ، وراه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما راقه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختار له العماد الأصفهاني في حريدته ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزبير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العماد الكاتب قال ^(١) : "لزمت خدمة السلطان (صلاح الدين) ، أرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ؛ وكنت ليلة عنده ، وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسنت قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين ما منهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمد خصب خاطره من مرزنها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروقك معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ؛ التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أوزينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا
ومنية قسي أنصفوني أر اشتعلوا

راجع الديوان ص ٧٨ و ١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفولهم، وقد تجلبت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة ، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه لباب الآداب وسواه . فقد كان الرجل واسع الاطلاع؛ معدودا من علماء عصره ووجار مثقفه ، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين ، وأن اقتبس منهم حيناً ، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر ، فنثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه .

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسماءهم : المهذب بن الزبير وأخاه ، وطلائع بن رزيك ، وعمارة اليمنى ، والعماد الأصفهاني . ولعل سر تفوقه—فضلا عن ثقافته الأدبية الواسعة التي تحدثنا عنها— أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به في الحياة من تجاربه الشخصية ، فكان لحياة التجربة في نفسه أثرها في قوة شعره .

ولقد هيا له طول العمر لإنتاجا غزيرا في الشعر، جمعه في ديوان كبير . ولسنا ندرى متى جمع أسامه ديوانه ، وأغلب الظن أنه قام بجمعه في أنحريات أيامه ؛ ففيه شعره الذي قاله في شيخونخته . ويحوى الديوان معظم شعر أسامه ، فلم نعثر في مراجعه المختلفة إلا على النادر الذي لم يرد في الديوان .

ولما كان أسامة هو الذي قام بجمع ديوانه ، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائي المعروفة في عصره ، ورأى أن يجزئ القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة ، أجزاء يضع كل جزء في الباب الذي يناسبه—فقد احترمنا النهج الذي ارتضاه أسامة لديوانه ، وأشرنا كلما أمكنا ذلك — إلى باقي أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، ليتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ،
ومنهجه في تأليف قريضه ، وطريقته في التخلص من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائي ، من غزل ، ومدح ،
ووصف ، وثناء ، وغيرها ، مبتدئاً بالغزل ، ولعل بدأه الأبواب بالغزل ، لما
للغزل من صلة بكل قالب ، ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءاً تقليدياً بالغزل ،
فربح ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفي المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره في كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من
غير أن يستغرق هذه الحروف في كل باب ، كما كان مقلاً في القوافي القليلة
الاستعمال كالثاء والذال .

أحسن أسامة في ترتيب ديوانه على الوضع الذي ارتضاه لإذاعة شعره
في الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجا آخر في ترتيب ديوان ؟

لاريب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التي لا تنكر ، من
خلق جو واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر
وطريقته ومنهجه في كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذي فضله في ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخي الذي
يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، منذ بدأ الشاعر يقرض
الشعر إلى اليوم الذي صمت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخي هو الذي يبين في وضوح عن تطور فن الشاعر من
الحدائث إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر في كل أدوار حياته ؛ مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه ، كلما تقدم به العمر ، إذ الشعر صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها النوازع ، وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة - وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب الأغراض - في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنشائها ، والظروف التي أحاطت بها ، لنعرف الجوى الذي أحاط به عندما قرضها .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، كريدة القصر ، ومسالك الأبصار ، والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لكيلا ندع بين القارئ والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهراس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان وقصائده ، كما رقمنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر أسامة ونقده

حامد عبد المجيد

بها لإنصافي وإفرازي ، ويشفعُ في سترها اعترافي واعتداري ، وأثبت في هذا الجزء منه ما حصلتُ منه على الاختصارِ ، لا على الاختيارِ ، وفيه ما فيه ، مما لا أنكره ولا أخفيه ، فمُظهره قائلُ صدقٍ وعدلٍ ، وساتره أخو كرمٍ وفضلٍ ، وأنا القائلُ :

كَمَا رَدَدْتُ فِي شِعْرِي النَّظْرَ بَانَ ضَعْفُ الْعِيِّ فِيهِ ، وَظَهَرَ
لَيْسَ يُرْضِينِي ، وَلَا يُمَكِّنِي بِحَمْدِ مَا قَدْ شَاعَ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ
فَأَجِيلُ الْفِكْرِ فِي تَقْلِيلِهِ فَإِذَا قَلَّ اخْتَصَرْتُ الْمُخْتَصِرَ
وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى ذِي كَرَمٍ إِنْ رَأَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْبِ سَتَرِ

وقد جعلته مشتملا على ستة أبواب :

الباب الأول - الغزل . وينظم في سلكه شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق ، ثم ما يجوز أن يلتحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات الخللان ، وما يجذب هذا المعنى بأهدابه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - الملح .

الباب الرابع - المديح . ويتشبه به القول في الفخر المتضمن مآثر الإنسان

وخلاله ، ثم الحماسة الراجعُ معناها إلى التمدح بالشجاعة والبسالة

الباب الخامس - الأدب . ويتعلق بسببه الأمثال ، وما يجرى مجراها ،
أو يلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشيب والكبر ، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر .

الباب السادس - المراثي .

وكلُّ باب من هذه الأبواب المذكورة مرتَّبٌ على حروف المُعْجِم ، فصلاً
فصلاً ، ليقرب تناوُل ما يُقصد منه ، والله تعالى المستولُ في رحمةٍ توجب
العُفْران ، وتكفِّر جرائرَ الألسان ؛ إنَّه جوادٌ مَنَّان .

باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبُهُمْ بترْفُقٍ مَا أَحْصَبُوا^(١) وَتَجَافَى عَنْ تَعْنِيْفِهِمْ إِنْ اذْزَبُوا
وَدَعَ الْعِتَابَ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِزِلْ لَهُمْ جَوْرَ الْمَلَالِ ، وَحَمَلُهُ صَعْبٌ ، وَلَكِنَّ الْقَطِيعَةَ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ ، وَالْمَهْجَرُ دُونَهُ وَبَعْدُ التَّقَالِي^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا ، وَبَيْنَنَا كَمَا بَيْنَ عَيْنِ فِي التَّدَانِي وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنَعِي قَرَبٌ ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قَذْفٌ^(٦) أَعْيَتْ ظُهُورَ الرِّكَائِبِ
تَجَنَّبَنِي لِي الذَّنْبَ الَّذِي مَا جَنَّبْتُهُ وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعِذْرَةِ تَائِبِ

(١) أحصب : أقاد .

(٢) يقال تجرم على فلان أى ادعى ذنباً لم أضله .

(٣) العتي بالضم : الرضا . واستعته : أعطاه العتي ، كاعتبه .

(٤) تقالوا : تناضوا . وبينهم قال .

(٥) السباب : جمع سبب ، كالسبابس جمع بسيس ، وهما المغازاة .

(٦) نوى ونية وظلاة قذف ، محرمة وبضمتين وكسبور : بيعة .

وملّ ؛ فلو أهدى إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عاتب
وضنّ ؛ فلو أنّ النسيم يطيعه لحنيني برد الصبا والجنائب^(١)
إذا رجعت بالياس منه مطامعي علقّت بأذيال الظنون الكواذب
وأعجب ما خبرته من صبابتي به ، والهوى مازال جمّ العجائب
حنيني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوقى إلى من ليس عنى بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائمٌ إيماضٍ بارقةٍ خلوبٍ؟!
وإلامَ ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟!
وأعلل النفس العديلة فيك بالأمل الكذوب
وأقول : تصلحك الخطوب ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعين سلوةً عن الحبّ ، لم يستحسن الظلم في الحبّ
وما بالله يلتقى البريء من الضنى حريرة ما يأتي المسىء من الذنب
وكيف استمرّ الجور فيه ، وأوجبت عقوبة ما تجنى العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تحالف الشمال ، مهبط من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا والجمع جنائب .

(٢) الخلب : بالكسر : حيلة رقيقة تصل بين الأخلاق ، أو السكبه .

(٥)

وقال :

قَرَّ إِذَا عَاتَبْتُهُ كَانَتْ قَطِيعَتُهُ جَوَانِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجْرِعُنِي مَرَارَاتِ الْعَنَابِ
كَمْ سَهَلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصَلِهِ وَعَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّلَوْنُ فِي حَسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالِكَ الْمُتَابُ فَالَمَّ ، وَهُوَ بُوْدُنَا مَرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خَيَالِ زَائِرٍ مُتَعَبٍ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٍ^(٤) كَالْبَدْرِ خَلْفَ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكُرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ مَجْبُورُهُ^(٥) يَقْضِي بَانَ يَتَهَاجِرُ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عِتَابُ
وَدَى كَعَهْدِكَ ، وَالذِّيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْتَقِعَ الْأَسْبَابُ .
ثَبَّتْ ، فَلَا طَوْلُ الزِّيَارَةِ نَاقِصٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِعْتَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضا في خريدة القصر ٦ : ١٠٣ ، وياقوت ٥ : ٢٠٣ .

(٣) في الخريدة « متعب » . والتعب مخاطبة الإدلال . والإعتاب مصدر أعتبه : أعطاه العتي وهي الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : رفع بهمه إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بئدره » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الخريدة وياقوت يخالف ترتيب الديوان . والإعجاب مصدر أعجب إذا نجا .

(٧)

وقال :

نفسى بزهره دُنْيَاها معذبةٌ فكيف حال من الدنيا تُعذِّبهُ
ومن سَمَّتْ لوصولِ الشمسِ هَمَّتْهُ فغيرُ مُسْتَنَكِرٍ إن عزَّ مطلبه

(٨)

وقال :

واعصِ اضطبارَكَ إن تكفَّلَ أَنَّهُ لك مُسَعِّدٌ ، فالهجرُ يُظهِرُ حُوبَهُ^(١)
وَيَحْسَبُ قَلْبِكَ ما به : من حُبِّهم فَعَلَامَ تَقْرَفُ بالصدودِ نُدُوبَهُ^(٢)

(٩)

وقال :

لَيْسَ طَرَفِي جَارًا لِقَلْبِي ، وَلَكِنْ دَمٌ هَذَا بِدَمِ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فِي تَبَايِنِ الْحَالِ : هَذَا أَدْبًا ظَاهِرٌ ، وَذَا مَحْجُوبٌ
وَإِطْرَفِي فِي كُلِّ نَهْجٍ مِنَ الْحَسْبِ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِي الْمَجْنُوبُ^(٣)
وَسَهَامُ الْعْيُونِ أَخْفَى مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ تَدْمِي الْقُلُوبِ

(١) الحوب : الإثم .

(٢) قوف القرحة : قشرها . والنُدوب : جمع ندبة وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمجنوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من تصيدية كتبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه

من نظمه :

أطع الهوى ، وأغص المَعَاتِبُ وأصدف عن الواثي المُرَاقِبِ
وتَغَنَّمِ اللَّدَاتِ إِنَّ مَمَرَهَا مَرُّ السَّحَابِ
وانظر إلى الأغصانِ حَامِلَةً شُمُوساً فِي غِيَاهِبِ
من كل حَاوٍ ، قد تَكَنَّفَهُ نَعَائِنُ الدَّوَابِ
في وجهه ضِدَانٍ ، كُلُّ مِنْهُمَا لَبِّ سَالِبٍ :
نَارٌ بِلَا لَفْجٍ تَضَرَّمُ ، وَسَطَ مَاءٍ غَيْرِ دَانِبِ
هَذِي بِقَايَا سَجَرٍ بَا بِلَ ، وَهِيَ مِنْ إِحْدَى الْعَجَائِبِ
فُخْدَارٍ يَا أُسْدَ الشَّرَى مِنْ فَتْكَ أَلْحَاطِ الرَّبَّارِبِ^(٢)
غَضْبَانُ أَفْدِيهِ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْهُ : مِنْ مَغَاضِبِ^(٣)
دَعِذَا ، فَا عُدْرُ الْفَتَى فِي غِيَّهِ ، وَالْفُودُ شَائِبِ

(١١)

وقال :

مَنْ زَيْنَ الْأَخْوَانَ الرَّطْبَ بِالشَّيْبِ وَنَظَّمَ الدَّرَّ بَيْنَ الرَّاحِ وَالْحَبِّبِ
وَمَنْ تَرَى غَرَسَ الْأَغْصَانِ حَامِلَةً شَيْئاً تَرَدَّتْ دِيَابِحِي الشَّعْرِ فِي كُتْبِ
وَقُلْ لِشَادِنِ آرَامِ الكَّاسِ : أَلَا فَانظُرْ إِلَى مُلْجِ فِي شَادِنِ الْعَرَبِ^(٤)

(١) هو مولاتع بين رزيك (٤٩٥ - ٥٥٥٦) ولي وزارة الخليفة الفاطمي : الفاتح بنصر الله ، ثم وزارة العاضد

وكان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً ولوعاً بغزو الفرنج . (٢) الزرب : القطيع من بقرة الوحش .

(٣) المغاضب : جمع منغضة وهي ضد الرضا . (٤) شادن الطي : قوى واستخفى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِخَدَّيْهِ بِبَلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرَ مُنَاكِبِ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنْ الْمَلَاخَةِ لَا مِنْ أَسْهُمِ الْغَرَبِ^(١)
إِذَا رَمِينَ قَمَاءَ دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْسِنَ ، مِنْ جُنِّ نَحْمَى وَلَا جُبِّ
كَانَتْ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُنْحَفِي دَيَاجِرُهُ عَنِّي سَبِيلَ النَّهْيِ وَالرُّشْدِ، مِنْ أَرْبَى
أُعْصِي النَّصِيحَةَ فِيهَا غَيْرَ مُعْتَذِرٍ وَأَرْكُبُ الْغَىَّ عَمْدًا غَيْرَ مُتَّيِّبٍ^(٢)
وَأَحْمِلُ الضَّمْنَ فِي وَجْدِيهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحَلْمِ أَجْمَلِ بِي
حَتَّى إِذَا نَادَتْ السَّبْعِينَ: حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْأَمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهْفَهْفٌ يُجْعَلُ بَدْرُ الدُّبْحَى فَإِنْ رَأَاهُ أَكْتَنَ فِي السُّحْبِ
قَوَامُهُ يُزِرِّي ، إِذَا مَا انْتَنَى مِنْ لَيْتِهِ ، بِالْغُصْنِ الرَّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ ، تَعَالَى الَّذِي نَظَّمَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
الْأُمُّ فِيهِ ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجْرِ عَنْ لَوِيْمٍ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي ، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ !
جَهْرُكَ لِي ظَالِمًا ، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ ، يَا ظَالِمِي ، هُوَ الْعَجَبُ

يَدْعُو لِسَانِي ، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي ، يَجِبُ
وَبَعْدُ مَنْ لِي ، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحِيفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثِرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبِ فَمِنْ الْعَمَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أَحْيَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقِ فِي الْعِبَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي ، فَحَسْبُهُ ارْعَوَى ، وَلِذِكْرٍ مِنْ يَهْوَى أَصَاخُ ، وَلَمْ يُصِخْ لِمُؤَنَّبِ
وَالغَى مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشْدِهِ وَالغَشُّ نَصْحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزّيك قصيدةً أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشْ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنِ التَّصَابِيِ الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِتَامِهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،
فَكْتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ قَصِيدَةَ أُولَاهَا^(٣) :

بَأَبِي شَخْصِكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِيَانِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمْعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ السُّوْجِدِ ، إِنْ جَادَ غَيْبُهُ الْمَسْكُوبُ
كَلَّ يَوْمَ لِنَارِ شَوْقِي مَا بَيْنَ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) يعتب : يعطى الرضا . والمصحب : المقاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باق القصيدَة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .

وكذا الصَّبُّ يَحْسُنُ الْجَوْرَ فِي الْحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَعْتَذِبُ التَّعْذِيبُ
لَا يَهَابُ الْأَسْوَدَ فِي حَوْمَةِ الْحَرِّ ب ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرَّيْبُ
وَيُجَاوِزِي عَنِ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِالْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا الْعَجِيبِ
يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا ، فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْنِهِ الْقَضِيبُ الرَّطِيبُ
لَكَ قَلْبٌ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الصَّخْرِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَيِّبُ
أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَايَ^(١) مِنْهُ الدَّاءُ ، يُرْدِي النُّفُوسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
مَا لَدُنِّي يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
وَلَأَهْلَ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلٌ إِذَا دَعَوْتُ مُجِيبُ
مَا ظَنَّنَا نَفْسَهُمْ بَانْصِدَاعِ الشَّمْلِ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطِيبُ

قافية التاء

(١٦)

وقال :

يَا مَعْمِلَ الْأَمَالِ ، دَعَّ خُدَّعَ الْمَانِي فَا لِيَأْسُ يَنْقَضُ كُلُّ مَا أْبْرَمَنَه
مَرَّضُ^(٢) فَوَادَكَ بِالسُّلُو ، لَعَلَّه مُتَيَسَّرُ بَعْدَ النَّوَى إِنْ رُمْتَه
فَنِ الْجَهَالَةِ أَنْ تَوَّمَّلَ وَصَلَّهَم بَدَدَ الْعِبَادِ ، وَفِي الدُّنُو حُرْمَتَه

(١) ابن سبراي هذا طبيب متقدم في صناعته ، كان يتولى خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض الشراسة والحدة فلذلك كان الملك الصالح يبعث به ويداعبه مستدعيًا لفرته وحدته مع غيره وفضله . (اه من هامش الديوان) .

(٢) التمر يض : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

ونألي رأيه ضلالي عن نهجي ، والحب ماله نهج :
ويح بني الوجد كلما عدلوا في خوضهم لجة الهوى لجوا
علك تنجو منهم ، فقلت له : إياك عني ، حاشاى أن أنجو
أنظر^(١) إليها ، ولا^(٢) نظرت ، ترى شخصا عن العاشقين يجمع
غصن ودعص ، فالغصن من هيف يمس لنا ، والدعص يرمج
شمس وليل ، فاعجب لشمس ضحى تشرق ، والليل راكد يدجو
رحيق ريق عذب ، ففي كبدي منه سعي ، وفي فمي تلج
في وجهها كعبه الجمال ، فللعيين إلى حسن وجهها حج

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣)

نفسى فدت بدر تمام ، إذا عاتني بالجد أو بالمزاح
سددت بالتقبيل فاه على مسك ، ودر ، وعقبت^(٤) ، وراخ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختارده مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك « فون » .

(٣) هذان البيتان من اختيار مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٤) في المسالك « ورضاب » .

وقال .

بَاحٌ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فَاسْتَرَاحَ فَهَلْ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحِ
لَمَّا رَأَى كِتْمَانَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ لَا يُغْنِي إِذَا الدَّمْعُ بَاحُ
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَدَنِهِ قَلْبًا مِنَ الْكِتْمَانِ دَائِمِي الْجِرَاحِ
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى وَجِسْمُهُ لَلْسُقْمِ نَهْبٌ مُبَاحُ
مُحَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى أَمَا ، وَأَمَّا مِثْلُ ضَرْبِ الْقَدَاحِ
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي عَقَلِي بِأُخْوَى ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(١)
مُهْفَهْفِهِ^(٢) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا جُنُفُونُهُ ، فَهِيَ مَرَاضٌ صِرَاحُ
لِطَرَفِهِ فَتَكَّةُ بِيضِ الطَّبَا وَقَدَّهُ هَزَّةُ سُمْرِ الرِّمَاحِ
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالْدَجَى غُصْنٌ مُرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالْدَجَى رَاكِدٌ يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجِنَاحِ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَدِّهِ أَشْرَقَتْ وَتَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحُ
فَظَلْتُ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ مِنْ كَلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَوَلَاحِ
فِي حِنْدِسِي طُرَّتِهِ وَالْدَجَى وَنَيْرِي غُرَّتِهِ وَالصَّبَاحِ
نَغِيظَةٌ جَادَتْ عَلَى بُجْلِهَا بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

(١) الأُخْوَى : ذُو الشَّقَةِ الْحَرَامِ . الْمَائِلَةُ إِلَى السَّوَادِ . وَالْمِرَاحِ : اسْمٌ مِنْ مِرَاحٍ كَفَرَحٍ : أَشْرُوهُ بِطَرَاخِنَالٍ وَبِحَجْرٍ . وَالرَّاحِ الْخَرُّ . يُرِيدُ أَنْ عَقَلِي مَشْغُوفٌ بِمِرَاحِ ذِي تَفْرِاحِ وَبِالرَّاحِ .

(٢) هَفْزُفِ الرَّجْلِ إِذَا مَشَى بَدَنُهُ نَصَارَكَانَهُ غُصْنٌ يَمِيدُ مَلَاةً ... وَيُقَالُ : جَارِيَةٌ مَهْفَهْفَةٌ وَمَهْفَهْفَةٌ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ دَقِيقَةُ الْخَصْرِ .

(٣) أَرَاغِ الشَّىءِ : وَجَدَ رِيحَهُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ غُصْنٌ ذُو رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ . وَالزُّرْدَاحِ : الثَّقِيلَةُ الْأَوْرَاكُ .

(٢٠)

وقال .

أرته غرته^(١) في الهجر مصلحتي جهلاً ، فأفسدني كل ما صلحا
وقال : ليس له قلب يطيق به صبراً ، ولوهم بالسُلوانِ لا فتضحا
وصبوة الحب كانت قبل بذلته^(٢) وبعدها ، فسواء صد أو نزحا
كالشعر يحفظ ما لم يتبدل ، فإذا حلقته عاد بعد الصون مطرّحا

(٢١)

وقال :

عقائل^(٣) الحى ، أم سرب المها^(٤) سنحا أفسدن ما كان بالسُلوان قد صلحا
برزن كالبان في الكئبان حاملة شمساً أضاءت وليلاً راكدا جنحا
فاقتدن بالحب من أعطى مقادته طوعاً ، ورضن^(٥) بحسن الدل من جمحا
من كل غيداء^(٦) مكسال إذا انبتهت تنفست عن نسيم الرّوض إذ نفحا
كانت منى النفس لولا واعظ لسن للشيب أسمعني ناهيه ، إذ نصحا

(١) الفرّة بالكسر : الغفلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المخندرة .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية ، شبهت بالمهاة وهى البلورة .

(٥) راض المهر : ذلله .

(٦) الغيداء : المثنية لنا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال " :

حَتَّامَ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ
وَالْإِمَامَ أَلْتَزِمُ الْوَفَاءَ لِغَادِرٍ
وَعَلَامَ أَعْمَلُ فِكْرَتِي فِي سَادِرٍ^(٢)
وَأَرَوْضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمٍ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ مَخَافَةٌ كَأَشْخِ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٣) ضَرُورَةً
مَنْ لِي بَنِيْلٍ مَوْدَةٍ مَمْدُوقَةٍ^(٤)
أَرْضِي بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى
يَاظَالِمًا^(٥) ، أَقْنَى اصْطِبَارِي هِجْرَهُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا
وَيَلُومُنِي فِي حَمْلِ ظُلْمِكَ جَاهِلٌ
يُزْرِي عَلَيَّ بَزْعِي بِصَبْرِ مُسْعِدٍ
لِمَ لَا تَرْتُقِي . لِنَظَرٍ أَرَقَّنَهُ
وَمَرُوعٍ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى

وَأُرُومُ قُرْبِ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدٍ
وَأُقْرُ بِالْعُنْبِي لِحَبَانِ جَاحِدٍ
سَاهُ ، وَأَسْهَرُ مُقْلَتِي لِرَاقِدٍ
فَاتَتْ مَوْدَتُهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
يُغْرِي بِنَا ، وَحِدَارَ وَاشِ حَاسِدِ
وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْه ، يَبْهَرُجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
مِنْهَا ، وَأَدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
وَإِتْرَ ثَوْبَ تَمَاسِكِي وَتَجَالِدِي
عَفَيْتَ بِالْهَجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
يَلْقَى جَوِي قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
وَيَصُدُّ عَن دَمْعِي بِطَرْفِ جَامِدِ
وَحَشَا حَشَاهُ الْوَجْدُ جَذْوَةٌ وَاقِدِ
بِفَوَادِ مَوْتُورٍ ، وَسَمِيعِ مُعَانِدِ

(١) روى الهادي في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يتم ولا يزال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال تلاقى بندق الرد ، ورواه عنقوف وهو مما ذق في وده : كتاب

(٥) في الخريدة " يا حاجرا " .

قَلِقِ الْوَسَادَ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أُسْدًا ، وَمَضَجَعَهُ نِيُوبُ أُسَاوِدِ^(١)
أَتْرَاكَ يَعْطِفُكَ الْعِتَابُ ، وَقَلْبًا يَنْبِي الْعِتَابُ عِنَانَ قَلْبِ شَارِدِ
هِيَاهَاتَ ، وَصَلِّكَ عِنْدَ عِنَقَا مُغْرِبِ^(٢) وَرِضَاكَ أَبْعَدُ مِنْ سَهَا وَفِرَاقِدِ
وَمِنَ الْعِنَاءِ طِلَابُ وَدِّ صَادِقِ مِنْ مَادِقِ ، وَصِلَاحُ قَلْبِ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِن خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوَدُّةٍ وَنَأَى ، فَلَا يَمِزُنَكَ فَقْدُهُ
وَاجْمِرُهُ هَجْرَكَ مِنْ مُجْحِبٍ ، إِذَا تَضَى وَحَوَاهُ لِحْدُهُ
وَإِذَا سُئِلْتَ عِلَامَ تَهْجُرِهِ ، فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
وَعِلَامَ أَرْغَبُ فِي مَلُوءِ لِي ، خَائِنٍ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
وَاحْتَدِرْ مِقَالَةَ مَنْ يَقُولُ لِي : الْحَبُّ تَخَضُّعٌ فِيهِ أُسْدُهُ
وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَجُودُ نَكَ فَاِلْبَاءُ لِمَنْ تَعُدُّهُ !
إِن رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشْدُّهُ
وَالصَّبْرُ سُمٌّ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُسَارُ^(٣) شُهْدُهُ
وَإِذَا صَرَفْتَ الْقَلْبَ فَهِيَ وَكَأَمْسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رُدُّهُ
غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشْ غَوْفُ يَعْرُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
وَوَظْنَتَهُ قَصَبًا زِدِيَا دَكَ فِي الْمَهْوَى ، وَسَوَاكَ قَصْدُهُ

(٢) عتاق مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٣) شار السمل : استدرجه كإشاره .

وأنا الفداء باخيل بالوعد ، والأحلام وعدة
أرضى بباطله ، ويُقنِطني تجمهه ، وردة
لذن القوام ، يُعلم الأغصان كيف تميس قده
يفتر عن عذب المقبل ، يضم الأحشاء برده
لاشك ، لؤلؤ ثغره من عقده أو منه عقده
للغمر ريقته ، وللون الجنى النضر خده

(٢٤)

وقال :

يا ملولاً قلباً ير عي لمن بهواه عهداً
يا ظلوماً كلماً استعطفته تاه وصداً
لم جعلت الهجر يا مو لاي ، قبل البعد بعداً
ما أرى [لى] (١) منك فى حاً ل الرضا والسخط بدأ

(٢٥)

وقال :

مروع بالقللى ، والصد ، ليس له
إذا استغر (٢) الكرى أجنان مقلته
تذكى مدامعه جمرأ تسعر فى
صبر ، على الهجر والإعراض ، يسعده
وأفى الخيال بطول الهجر يوعده
حشاه ، والجمر فيض الماء يمجده

(١) تكملة بقتضيا الوزن .

(٢) استغر فلانا : أتاه على غفلة .

(٢٦)

وقال :

لا تحسبنَّ اللومَ أجدى بل زاده كَفَأَ ووجدًا
أبدى صبايته وللإعلان ما أخفى وأبدى
نمت به زفراش شو ق، ما أطاق لمن ردا
لا تكبرنَّ فما يرى ممن تُعنف فيه بدأ
قرُّ أعار الظيِّ الحافظًا، وغصن البان قدله
شغف الجمال به ، فلم يجعل لما أعطاه حدا

(٢٧)

وقال :

قل لمن لم يرع عهدي والذي ضيع ودي :
يا فديتك^(١) النفس ، قد أسرفت في هجري وصدى
إتما وصلك مبدول لحيل مستجد
فابى من هرك حفا للذى يهواك بعدى

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠: ٥٠١)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهْدْتُهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي ، وَقَالَ : كَمْ جُهْدٌ مَا يَبْقَى بِجِسْمٍ مُضْنِي بغير فُؤَادِ
وَأَطَاعَ الوُشَاةَ فِي ، وَصَعْبٌ أَنْ يُطِيعَ الحَيِيبُ قَوْلَ الأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَاطِرِي وَقَلْبِي ، وَإِنْ مَلَّ وَأَبْدَى القَلْبَ ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الرَاء

(٢٩)

وقال :

كَمْ لِي كَمْ أَكَاثِمِ النَّاسِ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ ؟ !
كَشَفَ الهَجْرُ مِنْ غَرَامِي مَا كُنْتُ أُسْتَرُ
وَأَقْرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا أَحْتِيَئُ المُنْتَمِ الصَّبَّ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا العَيُونُ ، يَالَيْتَهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ المُرَاقِبِ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أُيْرَجُ لِي شَرْحُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاحَ بَجْرُهُ
رَدَاءُ قَشِيبٌ ، حَالٌ حَالِكٌ لَوْنُهُ وَأَنْهَجُهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أنهج التوب : أخلق ، وأنهجه الليل . وحال : تغير لونه .

وكنْتُ به كُلِّ الضَّنِينِ فَبَزَهُ^(١) المَشَيْبُ ، فَوَجَّحَ الشَّيْبُ لَادَرَ دَرَهُ
 فَيَاسَعِدُ ، كَمْ أَحْسَنَتْ بِي قَبْلَ هَذِهِ فِدُونِكَ بِرَأٍ خَالِصًا لَكَ شُكْرَهُ
 تَرَاءَ مَعِيَ دَارًا بِأَكْثَبَةِ الْحَمَى فَقَدْرَانُ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرَهُ
 فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَفَقِّ بِي بِرَبِّعِهَا لِأَبْرَدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ بِحَمْرِهِ
 وَأُفْرَغَ فِيهَا قَطْرَ دَمْعٍ يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيْبِ الْغَيْثِ قَطْرُهُ
 وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَتَى خُنْتُمْ ، وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدْرُهُ
 وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ نَجْهَمَ خَاذِلٍ فَمَنْ خَاتَمِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ عُدْرُهُ
 وَقَدْ كَانَ سُكْرُ الْحُبِّ يَهْفُو بِلَبِّهِ وَمَا خَلْتَهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سُكْرُهُ
 وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنْئًا بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرُّكُمْ ، وَالْكَلِمُ يَدْمِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
 وَلَكِنْ أَرَانِيهَا اسْتِهَارَكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَنِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَدْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيْفِ سَرَى مِنْ مَضِرٍ
 مِنْ بَعْدِ طُولِ جَفْوَةٍ وَهَجْرٍ كَمْ خَاضَ بِحْرًا وَقَفْلًا كَبْحِرٍ
 يَجُوبُهُ اللَّيْلُ حَلِيفَ ذُعْرٍ حَتَّى أَتَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَفْرِ
 قَدْ أَنْطَوَيْنَ مِنْ سَرَى وَضَمْرٍ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهَلَالِ الشَّهْرِ
 يَحْمَلُنْ كُلَّ مَا جِدَّ كَالصَّفْرِ كَأَنَّهُ مُهَنْدٌ ذُو أُرٍّ^(٧)

(٢) ران : غلب .

(١) بزه : غلبه ونزعه .

(٣) السر : امتحان غورا الجرح .

(٤) اختار صاحب مسالك الأهار بعض أبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢) .

(٥) طلائح : جمع طلح وهو المهزول . (٦) الضمر : الهزال .

(٧) الأثر : فرند السيف .

بعيدُ مهوى همةً وذكرِ
فأمَ رحلي، دونَ رحلِ السَّفَرِ
واهاً له من زَمَنِ وعمرِ
إذ الصُّبا عند النَّصَبِ عُذْرِي
غراءُ، أهبى من ليلِ البدرِ
أحسنُ من شمسٍ يَغِيبُ قَطْرِ
تَسِيمُ عن مِثْلِ نَظِيمِ الدَّرِّ
إذا انثنتَ قبلَ نُمُومِ الفَجْرِ
كَانَ فَاهَا جُودَةً^(١) لِعَطْرِ
مَشَى النسيمِ بِمِياهِ الغُدْرِ
رَاكِدَ لَيْلٍ نَحْتِ شَمْسٍ تَسْرِي
يَا لَانِمِي، إِنَّ المِلامَ يُغْرِي
لَا بَكَ مَانِي: من جَوِي وفَكْرِ
أَبَيْتُ أَرَعِي كلَّ نَجْمٍ يَسْرِي
كَيْفَ العِزَاءُ، وَصُرُوفُ الدَّهْرِ
كَانَهَا تَطْلُنُنِي بِوَتْرِ

(٣٢)

وقال :

دعاني إلى هجرى بثينة حقة
ولا بأس بالهجران ما لم يكن قلى
من الدهر خوف هجرها آخر الدهر
ولا الصدد، ما لم يبدد المرء عن غدر

(١) الجوة : السَّفَط . (٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . (٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

ويج العواذِل ، لا خِلاقَ لهم وَهَمُوا ، ولم تصدُقْهُمُ الفِكرُ
قالوا : قَتِي تَسْمُو بهِ هِمُّ مُسْتَضْعَرُّ فِي جَنْبِهَا الخَطَرُ
لا يَنْتَبِي عَمَّا يَهُمُّ بهِ أَوْ يَنْتَبِي الصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزَهْرَتِهَا فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الغَرُّ
فَأَرَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً غَرَاءَ يَعْتَشِي دُونَهَا البَصْرُ
وَبَدَتْ لَهُ عَطْلًا كَأَحْسَنِ مَا يَبْدُو لِعَيْنِ المُدْلِجِ القَمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا الحُبُّ أَوْقَفَهُ حَيْرَانَ : لا وِرْدٌ وَلا صَدْرُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ إِنْ نَالَهَا فَلَيْبِنِهِ الظَّفَرُ
أَوْ كَانَ ذَاكَ لِحْتَمِهِ سَبِيًّا فَدَمُّ الفَتَى فِي مِثْلِهَا هَدْرُ

(٣٤)

وقال :

يا حاضراً بفؤاد نأو غائب والنجمُ أقربُ من مَلُولِ حَاضِرِ
أُبْلِغُ رِضَاكَ مِنَ الجَفَاءِ فَشِمْتِي وَصَلُ المَلُولِ ، وَحَفِظْ عَهْدَ الغَادِرِ
فَلأَصْبِرَنَّ عَلَيْكَ لا مِنْ سَلْوَةٍ صَبَرَ الكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّابِرِ^(١)
حَتَّى تَعُودَ إِلى الرِّضَا ، وَيَصِدِّكَ الخُـ لِمُقِ الكَرِيمِ عَنِ الطَّرِيقِ الجَانِبِ

(١) السبر : استعان غور الجرح . والكليم : الجرح .

(٣٥)

وقال^(١) :

واهاً لليلِ خِلْتِي من طيبه مَنفِيًّا في ظلِّ طَيْرِ طَانِرِ
لو أَتَيْتِ أَشْرِي بِعُمري مثله أو بالشَّيْبَةِ لم أَكُنْ بِأَخْاسِرِ
ناهلتُ فيه البدرَ شمساً تُوجت عند المِزَاجِ بكلِ نَجْمِ زاهرِ
ولم تُتْ نَفراً ، لو تَأَلَّقَ في دُجَى أغنى الحَوَلِ^(٢) عن الغمامِ الماطرِ

(٣٦)

وقال :

هُبُونِي ، كما زَعَمُوا ، مُذْنِباً أَسأتُ ، وقد جِئْتُ أَسْتَغْفِرُ
فأينَ دَليْلُ الرِّضَا والقَبولِ لِ ، وَحُسْنُ تَجَاوِزِ مَنْ يَقْدِرُ
ولم يَبْقَ لي بعدُ ذُلُّ الخِضو عِ رجاءِ سِوَى أَنِي أَصْبِرُ

(٣٧)

وقال :

يا جَانِراً ، وَهَوَايَ يَعدِرُهُ منك الذُّنُوبُ ، وَمَنَى العُدْرُ
لا تَحْسَبِي ، عَن مَلالِكَ لي غَراً ، وَلِكنَّ الهوى غَراً
وأرى سَبيلَ الهجرِ واضِحَةً مَسلوكةً ، لو كان لي صَبْرُ

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني ما انتاره من تلك الأبيات لأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) الحول : الجذب .

(٣٨)

وقال^(١) :

ما حيلتي في الملول ، يظلمني وليس إن جار منه لي جارُ
ودأده كالسحاب ، منتقل وعهده كالسراب ، غرارُ
آمن ما كنتُ منه فاجاني بغذره ، والملول غدارُ
عوني عليه مدامع سُفح وزفرة دوت حرها النارُ

(٣٩)

وقال :

لا صبر لي عن بدر تم مشرق أضخى له الين المشت سراراً^(٢)
عاتبته^(٣) في صده قبل النوى فكان عني زاده إصراراً
وعرفته من نجل العتاب كآبة زادت محاسن وجهه أنواراً
ورأيت أمواه الحياء بحده فترقت ، حتى استحالت نارا

(٤٠)

وقال :

أنا أفدى مغرى بصدى وهجري وهو شمسي ضحى ، وفي الليل بدرى
يذبت الورد خده ، وبفيه ال حذب در ، يسقى سلافة نحر

(١) رويت هذه القصيدة أيضاً في خريدة القصر (١ : ١٠٤) .

(٢) السرار : أواخر الشهر .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأمانة (١٠ : ٤٠٢) .

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذِرْ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي
مَنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَنْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى مَحَاسِنَهُ عَيْنِي ، وَتُعْرِضُ عَنْ
قَبِيحِ أَفْعَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ نِي عَمْدًا ، فَأَعْنُرُهُ
وَيَظْهَرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَأَنْكَرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامَ قَلْبِي بِالْكَأْبَةِ مُكَمِّدٌ
كَالشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ
بَاكِ ، وَوَجْهِي لِلتَّجَمُّلِ مُسْفِرٌ^(١)
مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمُوعُهُ تَخْتَدِرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنٍ^(٢) لَمْ أُطِقْ عَنْهُ ، مَعَ النَّسْكِ وَالتَّجَمُّلِ صَبْرًا
أَهْبِيفِ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ فِيهِ ۥ ۥ
فَاعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضْنَ ۥ ۥ
بَانَ لِينًا ، وَالْأُخْوَانَةَ تَغْرًا
وَأَرَى مِنْهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ بَدْرًا
فِيهِ أُنْسٌ ، وَاللَّاحِظَةَ فِي عَ
أَنْتِ تُخْفِي وَجَدًا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء. واشرق . والتجمل : التصبر .

(٢) شادن التلمي : قوي واستغنى عن أمه .

أنت كالصائم، الذي يَسْتَهِي الماءَ لقرطِ الظِّمَاءِ ، ويكره فطرًا
قُلْتَ: دَعُذًا، فأنت شَرِطِي، ولكن لم يدع لي المشيبُ في الجهلِ عُذْرًا

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسَلُوا عَنْ حَجْرٍ بِيكَ ؟ قُلْتَ : لَا ، وَاللَّهِ ، عُمْرِي
قَالُوا : فِيهِ تَبَدُّلٌ يَا أَبَاهُ مِثْلَكَ ، قُلْتَ : أَدْرِي
لَوْ كَانَتْ مُسْتَوْرًا لِمَا هُنَاكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وَإِذَا أَبَتْ نَفْسِي هُوَا هُ ، مَعَ الْخِيَانَةِ ، حَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظَبِي تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِحٍ يَقُوحُ مِنْهُ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَاءِ وَحَارَ فِيهِ عَقْلٌ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أُرْدْنَا وَصَلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لَا تَرْتَجِ النَّجْحَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ ، يَجَابُ عَنْ غَيْشٍ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ ، يَتَّبِعُهُ الظَّمُّ آنُ ، حَتَّى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغيش : ظلة آخر الليل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودَّتهُ سحابٌ زائلٌ وعُهودُهُ في الحُبِّ ظلٌّ قَالِصُ
هَلْ في القَضِيَّةِ أنْ حُبَّكَ زائِدٌ أبدأ ، وحَظِّي كلَّ يومٍ ناقِصُ
وتسوبُ ودَّكَ بالقَطِيعَةِ والقَلِي وهواك من كلِّ الشَّوائِبِ خالِصُ

(٤٨)

وقال :

يا غادِرِينِ إلامَ يَبْئِي هجرُكمُ وملاؤكم أَمَلِي بِجِدِّ^(١) ناكِصِ
أنا من هَواكُم بينَ حَبِّ زائِدِ بلغِ النَهايةَ بي ، وحَظُّ ناقِصِ
أرضي مُشوبَ الأودِّ منكم بالقلِي وأُجِجْكمُ محضَ الودادِ الخالِصِ

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صَدَّ عَنِّي وأعرضاً وتناسى الذي مَضَى
واسمَّرَ الصَّدودُ وأنقَطَعَ الوصلُ وانقَضَى^(٣)

(١) الجِدُّ : الحِظُّ . والناكِصُ : المَهِيمُ .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الخريدة لأسامة ١٠٤٦١ مع زيادة .

(٣) يده في الخريدة : " وانقضت في الهوى ذوو ببدت حين أبغضا "

صَحَّ الْإِنِّ هَجْرُهُ لِي بِمَا كَانَ عَرَضًا^(١)
وَإِذَا اسْتَعْتَفَ الْمَلُوءُ لِي نَجْنِي وَأَعْرَضًا^(٢)

قافية الطاء.

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أُطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاخِطًا وَأَصُونُ سَرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
وَإِذَا تَسَقَطَتِ الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْفَا بِسِرِّكُمْ ضَنِينًا سَاخِطًا
يَلْقَى اللَّوَائِمُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْمَلَامَةِ رَابِطًا
وَيُبِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُسْتَنْبِطًا بِلِظَاهِ دِمْعًا سَاقِطًا
يَا هَاجِرًا ، وَافِيَ الْكَرَى بِخِيَالِهِ مُسْتَدْرِكًا بِالْوَصْلِ هَجْرًا فَارِطًا
لَوْ أَيْقَنَ الْوَأَشُونَ حَظِّي مِنْكُمْ وَصَبَابِي بِكُمْ لَسَرُّوا الْغَائِبًا

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِيهِ ، فَأَحْسَبُهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدْرِكًا بِالْعُدْرِ مَا فَرَطًا
وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَنِي أَنَّ الْإِسَاءَةَ عَمْدٌ لَمْ تَكُنْ غَلَطًا

(١) بده في الخريدة: " كل عيب بين في الخط ويخفى مع الرضا "

(٢) بده في الخريدة: " ليت من ملني وأنحل جسي وأمرضا "

" عاد بالوصل أو قضى في بالعدل إذ قضى "

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْفَظْتُمْ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالقَلْبُ أَدْنَى الْغَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُمْ عَهْدَ الْهُوَى ، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَمَا ظَنَنْتُمْ وَجْدِي يُكْفِرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ ، وَالْحِظُّهُ
هَبْ أَنْكُمْ مَاؤُوبِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ أَلْفُظُهُ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوعِدِي بِالْوَصْلِ وَعَدًّا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمَلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالدَّاعِي الصَّدَى مَا إِنْ لَهْ حِظٌّ سِوَى أَنْ يَسْمَعَا
لَكِنَّ حِظَّ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَنِّي بَادٍ ، نَقَى نَوِي ، وَأَفْنَى الْأَدْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطِيعُ هَوَى عَصَاءٍ ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلنَّهْيِ بِمَطِيعٍ
وَيُسْمِعُنِي دَاعِيَ الْهُوَى مِنْ بِلَادِهَا وَإِنِّي لِدَاعِيَ النَّصِيحِ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْفَظُهَا ، وَهِيَ الْمَضِيعُ لِعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظِ الْمَضِيعِ

(١) أحفظه : أضبط .

قافية الفاء.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَأَشَى وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكَرُ مِنَّا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْهَجْرُ مِنْهُ ، فَلَوْ أَلَمَ بِي مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكِرَى صَدَقَا
يَجْنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى ، فَوَاعْجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَفَا
مَلَكَتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَنِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنِي الرِّضَا بِقَضَايَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ النَّصَا فِي مُعْرَضَا حَقَقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْحَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذْنِبِ^(٢) سَوَى مَلَلٍ دَعَا ، فَهَبُوا إِلَى دَاعِيهِ إِذْ هَتَفَا
مَالِي أَرَى بَيْنَنَا ، وَالِدَارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُدْفَا^(٣)
لَا تَعَجَلُوا بِفِرَاقِ سَوْفٍ يُدْرِكَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا قَوَادِمًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمَعًا إِذَا نَهْنَهْتُهُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتُمْ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنٌ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَفَا^(٤)
كَذَلِكَ حَظِي مِنَ الْأَحْبَابِ : مَنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْهَجْرَ وَالشَّنْفَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيْرَ الْجُدِّ الْعَثُورُ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جَدًّا مَا كَانَ مُطْرَفَا^(٦)

(١) المعتب : طالب العتبي : وهى الرضا . (٢) فى رواية على ما مش التسخة «جرم»

(٣) النوى القذف : البعده . (٤) السرف : ضد القصد .

(٥) الشنف : البغض . (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطرف : الرجل لا يثبت على صحبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

ومُهَفِّهَفٍ، بِي مِنْ هَنُورِ جُفُونِهِ سُكْرًا ، يُقَصِّرُ عَنْهُ سُكْرُ الْقَرَقِفِ^(١)
أَبْدًا أَوْاصِلُهُ ، وَيَهْجُرُ عَامِدًا وَمِنْ الْعَنَاءِ وَدَادُ مِنْ لَمْ يُنْصِفِ
يَسْتَعَذِبُ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُسْرِفِ
غَطَّى الْجَمَالَ عَلَى ذَمِيمِ فِعَالِهِ وَالْمَوْتُ يَسْتَرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَغْتَرِزْ بِجُحُولِ خَصِرِ أَهَيْفِ فَالْمَوْتُ فِي حَدِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فَتْكَهَ نَازِرٍ مُتَمَرِّضِ^(٢) يَسْطُو سَطًا مُتَغَشِّرِمٍ مُتَعَجْرِفِ
ظَمِنِي مِنَ الثَّغْرِ الْبُرُودِ، فَمَنْ رَأَى ظَمَانَ مِنْ بَرْدِ يُعَلِّ^(٣) بِقَرَقِفِ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُمَاطِلٍ بَدْيُونِهِ يَعِدُّ الْقَضَاءَ مَعَ الْيَسَارِ، فَلَا يَبْقَى
فِي^(٥) وَجْهَهُ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرٌ وَبِخَدِّهِ وَرَدُّ الْحَيَا لَمْ يَقْطِفِ
فَكَانَ وَشَى عِدَارِهِ فِي خَدِّهِ تَمَلُّ تَسْرَبَ فَوْقَ وَرْدٍ مُضَعَفِ^(٥)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَصْفَرُ الذَّنْبِ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ وَكَلَمَهَا فِي الْحَشَا يَدْمِي، وَيَنْقَرِفُ^(٦)
مِثْلُ الْقَدَاةِ بَعَيْنِ الْمَرْءِ يَحْقَرُهَا وَدَمْعُهُ أَبْدًا مِنْ وَخْرِهَا يَكْفُ

(١) القرقف : الخمر . (٢) تيمض : ضعف في أمره .

(٣) البرد بالسكون : الريق . وبالتحريك : حب الغمام . واللعل : الشرب بعد الشرب .

(٤) هذا البيت وما بعده من اختيارات مسالك الأبصار لأسامة (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مضعف : أصابه مطر ضعيف .

(٦) الكلم : الجرح . ويدمي : يخرج منه الدم . وقرق القرقعة قشرها .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلْوَالِمِ : كُفُوا عَنْ مَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الْهَمَّ وَالْأَسْفَا
لَا تَذَكُرُونِي تَجَنُّبِهِ ، وَهَجْرَتَهُ خَبَهُ شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ مَا سَلَفَا
إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَإِنْ هَمَمْتُ بِبَصِيرٍ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعِ زَادَنِي شَعْفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسِرِّكَ أَدْمَعُ تَكْفُ فَإِلَامٌ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ
هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَهِدَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَفُّ

منها :

أُخْفِي غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ بِأَدٍ ، وَأَسْتَرُهُ ، وَيُنْكَشِفُ
أَسْفَى لِعُمُرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حُبِّكُمْ ، لَوْرَدَهُ الْأَسْفُ
وَهَوَى عَيْتُ بَرْعِي ذَمَّتْهُ فَأَضَاعَهُ الْمَتَلُونُ الطَّرْفُ^(٣)
أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابِ^(٤) ، فَأَعُوذَ الْخَلْفُ
وَصَدَفْتُ عَنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ ، وَمَا قَالُوهُ فِي بَسْمِعِهِمْ شَنْفُ^(٥)
وَتَنْكَرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدَّى ، وَلَا عَرَفُوا
وَلَهُمْ لَدَيَّ ، عَلَى مَلَاهِمُهُمْ وَدٌّ يَخْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(١) هفا : خفق .

(٢) هفا : خفق .

(٣) الطَّرْفُ : من لا يثبت على صاحب . (٤) مرخ الشباب : أوله .

(٥) الشنف : القرط . (٦) الخلب بالكر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع . أو الكبد .

بَنَى وَبَيْنَهُمْ ، وَإِن قَرُبُوا مِنْ هَجْرِهِمْ أَبَدًا ، نَوَى قُدْفُ
يَا جَائِرِينَ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَاكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيْهِمُ أَنِّي بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كَلِفُ (١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَالَةِ حِينَ تَعْرُضُ مِنْ خَفَا إِن لَمْ تَحْنُ فَابْلُغِ رِضَاكَ مِنْ ابْلَغَا
فَالْبَاسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةٌ وَإِذَا مَلَّتْ رَجَوْتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لِأَضْعَفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأَرَى قُوَايَ عَنِ الْخِيَانَةِ أَضْعَفَا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حَمَلْتَ مَا لَا تُطِيقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤَكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَسَى يُجِدِي حِدَارُ الشَّفِيقِ
إِن أَخْلَقُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعْزِمِ عَلَى سُلُوكِهِمْ عَزْمَةً تَنْذِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حَرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَزَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرَ الْخَلِيِّ الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَجَلْتَ ضَيْقُ
دَعْ ذَا ، فَمَا النَّاسُ سِوَاءُ ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يزال بافضل وشتمه .

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجعُ عصرُ الشباب الأنيق
عَلِقْتُهُمْ حِينَ رَدَاءِ الصَّبَا ضَافٍ، وَغُصْنِي دُوَاعِنْدَالٍ وَرِيْقٍ
حَتَّى إِذَا أَشْرِبَ قَلْبِي لَهُمْ حُبًّا جَرَى فِي الْجَسْمِ جَرَى الرَّحِيقِ^(١)
أَلْتَسُّ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَا لَيْسَ بِمِثْلِي يَلِيقُ !
أُرْوِعُهُمْ بِالْعَنْبِ مُسْتَصْلِحًا وَتَحْتَ ذَلِكَ الْعَنْبِ قَلْبُ شَفِيقٍ
يَرَعَى لَهُمْ مَا ضَيَّعُوا ؛ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ ، عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ ، رَفِيقٌ

(٦٣)

وقال^(٢)

قَرُّ إِذَا عَاتَبْتَهُ^(٣) شَغَفًا بِهِ غَرَسَ الْحَيَاءُ بُوْجُنْتِيهِ شَقِيقًا
وَتَلَهَّبَتْ نَجَلًا ، فَلَوْلَا مَاؤُهَا مَتَرِقِرُقٌ فِيهَا^(٤) ، لَصَارَ حَرِيقًا
وَأَزُورَ عَنِّي مُطْرَقًا ، فَأَضَلَّنِي أَنْ أَهْتَدِيَ نَحْوَ السُّلُوِّ طَرِيقًا
فَلْيَلْحَنِي مَنْ شَاءَ فِيهِ ؛ فَصَبَوْتِي بِهِوَاهُ سَكْرٌ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقًا

(٦٤)

وقال^(٥)

أَنْظُرْ شِمَاتَةَ عَاذِلِي وَسُرُورَهُ بَكُؤْفِ بَدْرِي ، وَاشْتِهَارَ مَحَاقِهِ
عَطَى ظِلَامِ الشَّعْرِ مِنْ وَجَنَاتِهِ صُبْحًا تَضِيءُ الْأَرْضَ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَهُوَ الْجُهُولُ ، يَقُولُ : هَذَا عَارِضٌ هُوَ عَارِضٌ ، لَكِنْ عَلَى عَشَاقِهِ

(١) الرحيق : الخراوطيبا .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٢٠٥ : ٥ وخريدة القصر ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عَاتَبْتَهُ » . (٤) في ياقوت والخريدة « فِيهِ » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٦٥)

وقال :

بُئِنَّهُ ، ما أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةً ولا أَنَا عَمَّا تَعْلِبِينَ مُهَيِّقُ
ولكن خَشِيتُ الكاشِحِينَ فَإِنِّي على سَرْنًا مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مَوْرِدًا بَرُودًا ، ولكن ما إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال (١) :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالِ صَبِيقُ
ما شَابَهَا لولا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَدْرٌ ، ولا رَاعَتْ بِوِاشٍ مُحْنِي
فلو اسْتَطَعْتُ خَضْبُهَا بِسَبِيبِي وَجَعَلْتُ لَوْ نَ صَبَاحِهَا فِي مَفْرَقِي

(٦٧)

وقال :

يَا لَأَيْمَى ، أَنْظُرْ إِلَى قَبْرِ فِي الْأَرْضِ فِي وَجْائِهِ شَفَقُ
وَبِحَدِّهِ وَرُدُّ ، إِذَا نَظَرْتُ عَنِّي إِلَيْهِ تَنَازَرُ الْوَرَقُ
سَبْحَانَ مَنْ أَذْكَى بَوَجْتِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روى لأسامة في مسالك الأبحار (١٠٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيْقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فُتِيْقٌ^(١)
شَبَّهُوا دَرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَقَاحِي لَيْسَ لِلْأَفْحَوَانِ ذَاكَ الْبَرِيْقُ
بِي سُكْرٍ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَقِي لِهَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أَفِيْقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِي حِينَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَيْكََا هَجْرُ الْقَلِي وَالْتَجَنِّي كَانَ يَكْفِيكََا
أَحِينَ خَالَفْتُ فِيكَ الْخَلْقَ كَأَهْمُ أَطَعْتَ بِي وَاشِيَاً بِالْهَجْرِ يُغْرِيكََا !
تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِي ، قَهْجُرْنِي وَأُكْذِبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتَ فِيكََا
تَزَّهَ مَحَاسِنِكَ الْآلَاتِي خُصِّصْتَ بِهَا عَمَّا يَشِينُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيكََا
أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنَا وَخَلْتُ أَنْ الرِّضَا بِالْجَوْرِ يُرْضِيكََا
فَمَا نَهَاكَ وَلُوَعِي عَنْ مُبَاعَدَتِي وَلَا تَنَاكَ خُضُوعِي عَنْ تَعْدِيكََا
بِاللَّهِ يَا غُصْنَ بَانٍ ، حَامِلًا قَرَا صَلَّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيهِ تَجْنِيكََا
يَدُنُو ، وَهَجْرِكَ يُقْصِيهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَنَّتِي عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيكََا
سُكَرَانَ فِي الْحُبِّ ، لَا يَلْدِي أَسْكَرْتَهُ لِسِحْرِ عَيْنِيكَ ، أَمْ لِلنَّمْرِ مِنْ فِيكََا

(١) فتيق : نوى الراحة .

قافية اللام

(٧٠)

وقال :

أما في الهوى حاكمٌ يعدلُ ولا من يكفُ ولا يعدلُ
 ولا من يفكُّ أسارى الغرامِ والوجدِ من ثقل ما حملوا
 ولا مُنصفٌ عالمٌ أنه إذا قالَ بالظنِّ يُستجهلُ
 إذا هو لم يدِرْ ما يلتقي أخو الوجدِ من دانه يسألُ
 ليعلمَ أنتَ سهامَ الغرامِ قبلَ إصابتها تقبلُ
 وأن الدموعَ إذا ما سُفِحْنَ أثرنَ لظيِّ في الحشا يسعلُ
 وإن قالَ: هنَّ مياهُ ، فقلْ : صدقتَ، وفي الماءِ ما يسملُ^(١)
 ساكينُ أهلُ الهوى ، ما لهمُ مجيرٌ ، ولا لهمُ مؤئلُ
 ولا راحمٌ لهمُ يستدِ يمُ حُسنَ المعافاةِ مما بلوا
 قتلهمو ماله واترُ ومظلومهمُ أبدأً يُخذلُ
 وإعلانهمُ للهوى فاضحٌ قتلٌ ، وكتائبهمُ أقتلُ
 وإن جحدوا الحبَّ خوفَ الوشا ة أقرتْ به أدمعُ تهملُ
 وفي سقمهمُ ، إن همُ أنكروا صبايتهمُ ، شرحتها الجملُ
 وكلهمُ خاضعٌ ، يستكينُ للظلمِ ، أو والله^(٢) يعولُ

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأعول : رفع صوته بالبكاء .

(١) سئل عنه : قاعا .

وَعَيْشُهُمْ تَعَبٌ كُلُّهُ وَبِالْمَوْتِ رَاحَتُهُمْ تَحْصُلُ
بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالضُّدُو دِ ، حَازَ الْجَمَالَ ، وَلَا يُجْمَلُ^(١)
جُنُونِي بِهِ أَبَدًا زَائِدٌ وَمَاضِي غَرَامِي مُسْتَقْبَلٌ
مَلِيحٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ الْأَنَا مِ ، سِوَاءَ مَحْبُوهٌ وَالْعُدْلُ
مِنَ الْحَوْرِ ، رِضْوَانُهُ بُحْلُهُ وَرِيقَتُهُ الْبَارِدُ السَّلْسَلُ
وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْعِيُونَ شَهَادَتُهَا أَبَدًا تُقْبَلُ
بِخَيْلٍ عَلَى مُقَلَّتِي بِالرَّفَا دِ ، وَلَسْتُ عَلَيْهِ بِهَا أُبْخَلُ
سَقَامِي مُسْتَصَفَّرٌ عِنْدَهُ وَأَمْرِي مُطْرَحٌ مُهْمَلُ
يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السِّيَا قِ^(٢) ، وَهُوَ بِمَا بِي لَا يَخْفَلُ
أَعَاتِبُهُ وَهُوَ لَا يَرَعَوِي وَأَعْدِلُهُ ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ
فَلَا الْوَضْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَعٍ وَلَا الْهَجْرُ فِيَّ لَهُ مَحْمَلُ
وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى وَكُلُّ بَلَانِي بِهِ مُشْكِلُ
وَسُكْرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أُفِيقُ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خِبْرَةٍ وَلَا هُوَ لِي عَنْ عَلَا مُشْغَلُ
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعِبَا دِ فِينَا : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أجمل الصنيفة : حسننا وكثرها .

(٢) يقال فلان في السياق أى في النزاع . والسياق نزاع الروح .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَا ، فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعِنِّي لَا بَلَّ أَعَزُّ وَأَغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزًّا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

كَمْ ذَا التَّجَنِّي ، وَكَثْرَةُ الْعَلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَلِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بِنَا كَلَفٌ فَأَوَّلُ الْيَأْسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبِ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَشْفَعُ لِي
هُبُونِي أَحْطَاتُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجْمَةَ عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَى
وَاعْتَمُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُؤْنَا الْبَيْنُ ، فَكُلُّ مَنْهُ عَلَيَّ وَجَل

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أَعْيَا تَلَوْنُهُ : تَرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أَتَى مِنْ الصَّدُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنَّ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ انْخِلاصُ لِقَلْبِي مِنْ يَدَيْ قَرِيٍّ أُسِيرُ نَازِرَهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُولُ
بُحْرِي لَدَيْهِ جُبَارٌ^(١) ، لِاقْصَاصِ لَهُ فِي حَكِمِهِ ، وَدِي فِي الْحَبِّ مَطْلُولُ

(٧٥)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، إِنْ كَانَ هِجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودِي غَيْرُ مَسْتَقِيلِ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلَلٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطْرًا مَلَالَةٌ ذَلِكَ الْمَلَلِ
وَالصَّبْرُ دَائِي ، أَوْ تُفَاجِئْتِي بُسْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلِي ، وَإِنِّي لِأُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ النَّوْمِ وَالْعَدْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَابِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لِأَمِنْ هَوَايَ لَهَا ، خَبَلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْدُو فِي رِداءٍ مِنَ الدَّجَى عَلَي خُوطٍ^(٢) بَانَ ، فِي كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلُّ هَوْنًا ، كَأَنَّما تَخَافُ عَنَارَ الْحَزَنِ فِي الدَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَاةً^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا كُحْلَ الْمَلَاةِ عَنْ كُحْلِ

(١) الجبار بالضم : المهدر . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : الفصن الناعم .

(٣) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والحزن : ما غلظت من الأرض .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السَّلْوانُ في بَاليِ فإِ الَّذي أطمَعَ عُدَّالِي
وَجَدِي بِهِم في اليَوْمِ كالأَمِيسِ ، ما غَيْرَهُ ما حَالَ من حَالِي
أهْوَى ، وما حَظَى مِنْهُم كَمَا أهْوَى ، ولا قَلْبِي بالسَّالِي
لِحَاجَةٍ في الحُبِّ ، ما نَحَتَها سِوَى صِبابَاتِي وِلبَّالِي^(١)
لِي القَلْبِي مِنْهُم ، وَمِنْ لَأَمِي فيهِم طَويلُ القِيلِ والقَالِ
وما أبايِ بِالَّذي نالِي لو أَتَى مِنْهُم على بَالِ
يا قَرا في غُصَنِ^(٢) بَانٍ على نَقًّا^(٣) مَهولٍ غيرِ مُنْهالِ
مِيلَكَ الواشِي ، فإِ حِيتِي في أَهيفِ القامَةِ مِيالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بالهَجْرِ القاهُ في الأحلامِ ، وهو المَعْرِضُ القالِي
ناظِرُهُ الفَتاكُ لا ناظِرُ على تَعديهِ ، ولا وَالِي
يَحْكُمُ في أرواحِنَا طَرَفُهُ حَكَمَ أبايِ القاراتِ في المَعالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذا مَرَرْتَ على الدِّيارِ فَقفْ بِها واسأَلْ مَعالِمَها بِدمعِ سائِلِ
ماظِنُها بِطَعيِنِ أغْصانِ النَّقا ما سَتَ مُنْصَلَّةً بِأسْهُمِ بايِلِ
هَدَرَ الهَوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحاظَهُ أَرَدْتُهُ ، أم أَقَى بِقتْلِ القائِلِ

(١) اللبالي بالفتح : الوسوس والبرحاء في الصدر . والكسر : مصدر بلبه : هيجه وحركه .

(٢) في هامش النسخة "خوط" .

(٣) النقا من الرمل : القطة تقفاد محمودة .

(٤) المستهتر بالشو . (بالفتح) المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَاسِدٌ فَاهُ الْعَذَبُ بِالْقُبَلِ
وَأُضْمُهُ ضَمَّ الشَّفِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمَقَلِ
فِيحَارُ مِنْ كَلْفِي ، وَيُشْرِقُ فِي خَدَّيْهِ وَرُدُّ الْحُسْنِ وَالْحَجَلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَدِرًا عُدْرَ الْمُسِيءِ إِلَى ، مِنْ زَلَلِي

(٨٠)

وقال^(١) :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَفِي عَلَى فَمِهِ يَقْبَلُهُ
وَيُرِيدُ يُوضِحُ وَجْهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعَجِّلُهُ ، وَيُجْجَلُهُ
حَتَّى إِذَا أُضْجِرْتُهُ سَتَرْتُ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أَمَلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَدِرًا لِبِشْغَلِي عَنْهُ بَعْدِرُ لَسْتُ أَقْبَلُهُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أُطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمِغِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّابِكِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

وَلَيْسَ يُدْرَى ، لِقَدَى جَائِلٍ فِي الْعَيْنِ فَاصَتْ أُمُّ هَوَى دَاخِلِ

فَاضِحٍ غَالِبٍ ظَاهِرِ

كَالْوَرِقِ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أُمُّ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلِ^(٢)

نَازِحٍ غَائِبٍ هَاجِرِ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

وَلَوْأ ، فَلَمَّا^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا اطَّلَعْتُ
فَلَيْتَ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ
حَفِظْتُ مَا ضَيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْنَا
حُرْمَتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وِدَادِهِمْ
مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ
فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَ لَهُمْ قَدَمُ
عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي أَلْتَهُمْ
مَلُوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَضَلِي السَّامُ
وَقَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصَلْتُ إِذْ صَرَمُوا
مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
قَدَى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ

(١) الورقاء : الحماة .

(٢) ارتاخ إليه : حزن إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومعجم البلدان ٥ : ١٠ والروضتين ١ : ١١٣

(٤) في الخريدة (ولما) .

(٥) ذكره ومعجم البلدان هذا البيت واليهتين بعده .

وبعد ، لو قيل لى : ماذا تُحِبُّ ، وما
همُ مجالُ الكرى من مُقتى ، ومن
تبدلوا بى ، ولا أبغى بهم بدلاً
مناك من زينه الدنيا ؟ لقلتُ : همُ
قلبي محلُّ المنى ، جاروا أو اجترموا^(١)
حسبى همو ، أنصفوا فى الحكم ، أو ظلموا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أقصر ، فلوبى فى حبهم لم^(٣) وناصحُ العاشقين منهم
ما الغى والرشد باللاماة والإ
بالعدل فيهم ، وشقوتى بهم
طرفى أعمى عن عيهم ، فإذا
أصم عن نصيح من يعننى
وهم إذا خطرة التوهم نا
ضلالة فى الغرام : يكذب رأ
فلا تردنى جورى بلومك ، إن الحسب نار بالعدل تضطرم
لو يعلم الحاسدون حظى ، وما ألقاه منهم ، وفيهم ، رحوا
فوضت أمرى إليهم ، ثقة بهم ، فلما تحكّموا ظلّوا
وما كذا تحفظ المواثيق فى الحسب ، وترعى العهود والذمم
فيا لها هفوة ، ندمت على ما كان منها ، لو ينفع الندم
وما احتيال الفتى إذا عثر الجسد ، وزلت بسعيه القدم

(١) اجترم : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) اللم محرّكة : الجنون .

(٨٤)

وقال^(١) :

لا تَسْتَعْرِ جَلْدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنِ صُدُودِ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمِ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَاهَ بِالْجَمَالِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصِّبَا أَنْ تَدُومَا
عَنْ قَلِيلٍ^(٢) نَرَى قِوَامَكَ ذَا الْمَأْنَسِ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالِ قَوِيْمَا
وَنَرَى طَرْفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمَا
وَنَرَى جَمْرَ وَجْنَيْكَ وَقَدْ عَا دَ رَمَادَا ، وَبَقَلَهِنَّ هَشِيمَا
وَنَادَى : عَدْلٌ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَصْبِحَ ذَاكَ النَّهَارُ لَيْلًا بِيَهِيمَا

(٨٦)

وقال :

جُفُونٌ تَسْتَهْلُ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجِعٌ تُبْدِي مِنَ الْأَشْجَانِ مَا كَتَمَا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ^(٤) بِمِيسِمِ النَّيْرَانِ مَا عَلَمَا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتٌ أَوْ حَاسِدٌ رَحِمَا

(١) هذان البيتان من مختارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠: ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان "قريب" . (٣) استبل المطر : اشتد انصبابه .

(٤) فراه : شفه .

وقال :

مَلَّ ، وَأَبْدَى نَجْمَهُمُ السَّامِ وَضَاعُ وُدِّي فِي الظَّنِّ وَالتَّهَمِ
وَخَانَ عَهْدِي ، وَقَلْبًا اجْتَمَعَ الحُسْنُ وَرَغَى العَهْدِ وَالذَّمِّ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ أَجْتَنِبُ النَّوْمَ ، جَذَارَ الصُّدُودِ فِي الحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرِي مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنِ الرَّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمِي

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الذَّمَامِ
إِلَامَ أَغْتَرُّ بِالْأَمَانِي فِيكَ كَمُسْتَمَطِرِ الجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي الَّذِي أُرْجَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي المَنَامِ
وَطَالِبِ الوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ المَاءِ فِي الضَّرَامِ

وقال :

يَرِينِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَلْطِفُنِي إِلَى هَوَاكُمْ وَفَاءُ لَسْتُ أَسَامُهُ^(٤)
كَأَنِّي أُمُّ بَوٍّ^(١) تَسْتَرِبُّ بِمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَامُهُ^(٤)

(١) حفر به وخفزه خفرا وخفوراً : قض عهده وغدره ، كما خفزه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق مائه .

(٣) يقال أملني وأمل على : أبرئني فهو ملول وملولة وهي ملول وملولة .

(٤) البر : الحوار . وقيل جلده يحشى تبا أو ثما ما أو حشيشا لتمطف عليه الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم

الفصيل لترامه فدر عليه . والبوايض ولد الناقة . ورمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

(٩٠)

وقال :

أجبت دواعي الهوى بالأدمع السُّجْمِ^(١) وبُحٍّ ، فما الحبُّ في حالٍ بمكْتَمِ
أسمعتَ يا داعِمَ الأشواقِ ذا كَلْفِ نَأْيِ المحلِّ ، وإن لم تدعُ من أُمِّ^(٢)
لله أنتَ ، فما أعراكَ من مَلَلِ يُنْسِي العهودَ ، وما أُرعاكَ للذَّمِ
وقل لمن لآمَ : ما السُّلوانُ من خُلُقِ ولا ملاءمةُ اللوامِ من شِيمِي
أهوى بلا مَلَلٍ يُسلى ، ولا طمِجِ يملئُ ، ولا ريبه تُزرى بذى كَرَمِ
فما وفاني برثُ العهدِ متَكثِ ولا هَوَايَ بواهي العَقْدِ^(٣) مُنصِرِمِ
يزيده كَرَمًا مرُّ السنينِ كَمَا زاد المدامةُ إشرافًا مَدَى القَدَمِ^(٤)

(٩١)

وقال :

ما أنصفُوا في الحبِّ إذ حُكِّمُوا سلوا ، وقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمُ
أحبيتهم في عُنفوانِ الصِّبَا ولبُّ فودي حالكُ أسْحَمُ^(٥)
حتى إذا عصرُ الشَّبَابِ انقضى وأشرقتُ في ليلِ الأنجمِ
صدتوا ، وأنسأهم ذَمَامَ الهوى ما اختلق الواشون والأومُ
فَن ترى يحفظُ عهدَ الهوى إن ضيعوه ، وهم ما همُ
والحبُّ كالأرزاقِ بين الورى يرزقُ ذامنه ، وذا يُجرمُ
سعى بنا الواشى إليهم ، فما تَبِينُوا الحقَّ ، ولا استَفْهَمُوا
وسمِعُ من مَلِّ قبولٍ لما يُزْحَرِفُ الكاشِخُ أو يزعمُ

(١) سجم الدمع : سال .

(٢) من أم : من كتب .

(٣) العقد : العهد .

(٤) باقى القصيدة ص ١٩٤ .

(٥) الفود : ناحية الزاس . والأنجم : الأسود .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّجَرِي مِنْ حَيْثُ يَجْرِي الدَّمُ
مَا خُتُّهُمْ عَهْدًا ، وَلَا فَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّي فَمُ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعَلِّئُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكْتُمُ
دَعَا ، فَمَا يُسْمَعُ عُنْدَ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلْبُ أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَمْلُوكِ مَسْتَوْرَةٌ وَعُنْدَهُ الْوَاضِحُ مُسْتَهْمٌ (١)
وَلَوْ سَعَى الطَّيْفُ بِهِ فِي الْكُرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال (٢) :

قَسَمًا بِنِ لَمْ يَبْقَ خَوْ فُ رَقِيْبِهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا (٣)
خَافَ الْوَشَاةَ ، فَصَدَّ ، حَسْبِي فِي الرَّقَادِ ، إِذَا الْمَأْ
لِ الْأَخَاطِرَ بْمُهْجَتِي فِي حَبِّهِ ، إِمَّا ، وَإِمَّا

(٩٣)

وقال :

قَوْلًا لَدَا الْغَضْبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظْنُهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمَ تَخْشَى دُعَايَ دُونَ ذَا الْعَالَمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ - وَإِنْ جَارَ - دُعَاءُ الْمُغْرَمِ الْهَائِمِ

(١) أيهم الأمر : اشتبه كاستهم .

(٢) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٥) .

(٣) القسم بالكسر : العيب .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجْدِي بِهِمْ تَجَرَّمُوا^(١) وَأَلْزَمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي هُمُ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَانَا ، تَبَّأَ لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمُغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودٍ مَا أَدَّعَى مِنْ حُبِّنَا أَيْنَ الشُّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقَمُ
أَيُّهُ دَمُوعٌ كَلَّمَا غَيْضَتْهَا^(٢) تَدَفَّقَتْ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْفَى الْمَلَأُ عَنْهُمْ مَائِي : مِنْ بَرَجٍ قَلَاهُمُ ، وَالْمَلَأُ أَبْكُمْ
كَذَبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلَيْمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَهَّمُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحِيًّا مَا أَرَى ، أَمْ بَدْرُ دَجَنٍ وَبَارِقُ مَبِيسِمٍ^(٣) أَمْ بَرَقُ مُزْنٍ^(٤)
وَنَفْرٌ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاجٍ وَرَيْقُ ، أَمْ رَحِيقُ بِنْتُ دَنْ
وَلِحْظٌ ، أَمْ سِنَانٌ رَكْبُوه بِأَسْمَرٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَطِّ لَدَنِ
وَأَيْنَ مِنَ الطُّبَا أَلْحَاطُ ظَبِي ثَنَانِي عَنْ سُلوِي بِالْتَنَانِي
إِذَا جَاءَ الْمَلَأُ لَهُ يُجْرَمُ مَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنِ

(٢) غيخ دمه : نقصه .

(٤) المزن : السحاب .

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٣) الميسم كقزل : الثغر . ودفقت : التيسم .

فيا من منه قلبي في سَعِيرٍ وعيني منه في جناتِ عدن
 حباكِ هوايَ مني محضٌ ودُّ نَزَّهَ عن مُدَاجَاةٍ^(١) وَضِعِنِ
 وَقَبْلَكَ مَا تَمَلَّكُهُ حَيْبٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِ نَفْسِي لِخَدَنِ
 أحيانَ خَلْبَتِي ، وَمَلَكَتْ قَلْبِي قَلْبَتَ نُلْحَتِي ظَهَرَ الْمَجَنِّ
 فَهَلَّا قَبْلَ يَعْزُقُ فِي قَوَادِي هَوَاكَ ، وَقَبْلَ يَغْلُقُ^(٢) فِيكَ رَهْنِي
 تُسَاوِرُنِي هُمُومِي بَعْدَ وَهْنٍ^(٣) فَتَرِي كَلَّ جَارِحَةَ بَوَهْنِ
 أَلَمْ يَكْفِ الْعَوَازِلَ مِنْكَ هَجْرِي وَقَلْبَكَ مَا يُجِنُّ مِنَ التَّجَنِّي
 إِذَا فَكَّرْتُ فِي إِتْفَاقِ عُمْرِي ضَيَاعًا فِي هَوَاكَ قَرَعْتُ سِنِّي
 وَأَسْفُ ، كَيْفَ أَخْلَقَ عَهْدُودِي وَأَسَى كَيْفَ أَخْلَفَ فِيكَ ظَنِّي
 وَأَوْجَعُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي وَأَى فِعَالِهَا بِي لَمْ يَسُونِي
 تَقَلَّبُ قَلْبٍ مِنْ مَثَوَاهُ قَلْبِي وَجَفْوَةٌ مَنَ طَبَّقْتُ^(٤) عَلَيْهِ جَفْنِي

(٩٦)

وقال :

إِصْلَاحُ قَلْبِكَ أَعْيَابِي ، فَأَحْيَانِي وَالْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى السُّلْوَانِ الْجَنَانِي
 كَمَا ذَا التَّجَنِّي ، وَمَا ذَنْبِي إِلَيْكَ سِوَى حُبِّي ، فَصَفْحًا عَنِ الْمُسْتَغْفَرِ الْجَنَانِي

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) غلق الرهن في يد المرتهن : إذا لم يقدر على اقتضائه .

(٣) الوهن من الليل : الطاقاة منه . وقيل هو نحو من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين
 دبر الليل . والوهن في آخر البيت : الضعف .

(٤) في تحريدة القصر "ضمنت" وقد ذكر العباد من هذه التصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة
 الأخيرة والسادس والثالث عشر :

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يدنيني ، فأقصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سئمت صبراً بهجراني
ولست أنكر منه فرط صبوته لكنه عن هوى بالهون ينهاني

(٩٧)

وقال :

يأربُّ حُذْ بِيَدِي مِنْ ظَلَمٍ مُقْتَدِرٍ عَلَى قَدِّ لَجِّ فِي صَدِّي وَهَجْرَانِي
لَيْنٌ قَسَاوَتَهُ لِي ، أَوْ فَيَسِّرْ لِي صَبْرًا ؛ لِأَحْظَى بَوْضِلٍ أَوْ بَسْلَوَانٍ
أَوْ فَاظِفِ جَمْرَةَ خَدَيْهِ ، وَأَيْقِظْ جَفْنَ نَيْهِ الَّذِينَ أَرَا قَاءَ مَاءِ أَجْضَانِي

(٩٨)

وقال :

إِذَا أَوْحَشْتَنِي جَفْوَةَ الْخَلِّ رَدَّنِي إِلَيْهِ وَفَاءً بِالْإِخَاءِ ضَمِينُ
كَأَنِّي أُمُّ الْبَوِّ (١) تُنْكِرُ شَخْصَهُ وَيُعْطِفُهَا وَجَدُّ بِهِ وَحْنِينَ

(٩٩)

وقال :

بِاللَّهِ يَا مُغْرِي بِهِجْرَانِي وَيَا مُسِيحَ الدَّمْعِ أَجْضَانِي
هَلْ فِي الْقَضَايَا أَنْ مَنْ مَا جَنَى يَخْضَعُ بِالْعُذْرِ إِلَى الْجَانِي

(١) انظر الشرح فإسبغ في ص ٤٣

(١٠٠)

وقال :

إلى كم أُرجمُ فيك الظنوناً وأدفعُ بالشكِّ عنك اليقيناً
وأملُ عطفك بعد الحفا ، وقسوة قلبك لي أن تليناً
وأصبرُ للهجر صبرَ الأسيرِ على قده^(١) ، صاغراً مُستكيناً
وآبى ، وقد خنت عهدَ الهوى ولم ترعَ ذمته ، أن أخوناً

(١٠١)

وقال :

زدني جوى يا حبهـم ، وأضلني
لا تنيني عنهم ، فإن صبابتي
أحييتهم ، أزمان غصبي ناضرٌ
فارجع بياضك ، لست أول أمرٍ
يا مرشدي عن منهج السلوان
لا تستطيعُ تطيعُ من ينهاني
حتى عسا^(٢) ، وعصى بنان الحاني
شق الغرامُ عصاه بالصيان

(١٠٢)

وقال :

أياها جراً كلما زدت في
ترفق بقلب إذا ما ذكر
محلك منه محل السوا
خضوعي له زاد هجرانه
ت بدا للمحدث كتانه
د من ناظر أنت إنسانه

(١) يقال أمره بائق : بالسير من الجلاء غير المدبوع .

(٢) عسا النبات عسوا : غلظ واشتد .

(١٠٣)

وقال^(١) :

يا مُعْرَضًا^(٢) ، راضياً و غَضباناً وهاجرى هاجعاً و يقظاناً^(٣)
صَدَدتْ^(٤) ، إِمّا لَهْفَةً فَرَطتْ متى ، وإمّا ظُلماً و عدواناً
طيفُك ، ما باله يُهاجرنى مَنْ أَعلمَ الطيفَ بالذى كاناً

(١٠٤)

وقال :

يا فِئْتَةً عَرَضتْ لى بعد ما عَزَفتْ نَفْسى عن الأهرِّ واقْتادَ الهوى رَسَنِ^(٥)
هلاً ، ولبلى غَرِيبٌ^(٦) ، وأنججه غَرارِبٌ ، وشابى ناضِرُ العُصن

(١٠٥)

وقال :

أحِبُّها فى عُفْوانِ الصِّبَا وقلتُ : إنَّ الشَّيبَ يُسَلِّبِنى
فزادنى شَيْبى جُنوناً بها حتَّى كانَ الشَّيبَ يُغْرِيبِنى
والمشبابِ الشَّيبُ ، لا مِيزَةَ بينهما عندَ المِجازينِ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٦ .

(٢) في الخريدة « ياهاجرا »

(٣) في الأصل « وسنانا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت » .

(٥) الرمن : الخليل وما كان من زمام بل أف .

(٦) أسود غريب : حاله .

قافية الهاء

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى يَرَاهُ السُّورَى لَا يَمَلُّ رَاعُوهُ مِنْهُ
وَتَرَانِي الْهَلَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَ فِيكَ نَصِيحًا ، فَلِمَ ، فَدَاكَ ، تَخُنَهُ ^(١)
كُلُّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَسْتَهُ ، وَضُنُّهُ
إِنْ تَكُنْ مَا رَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَايحِ فَكُنُّهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْهَجْرِ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَذَاهَا
يَا مَلُولًا ، قَلْبًا اسْتُرَّ عِيْ عُهُودًا فَرَعَاهَا
يَا ظَلُومًا كَلِمًا اسْتَعَطَفْتَهُ صَدَّ وَتَاهَا
زِدْتَ فِي تِيهِكَ وَالشَّيْءُ إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جزم الفعل للضرورة . وما استفهامية لا جازمة .

تَتَقَضَى دَوْلَةُ الْحُسَيْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشَّكْوَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الثَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاهَا
وَهُوَ لَوْ نَادَى عِظَامِي رِمَةً لَبَيَّ صَدَاهَا
مُتَلِفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاهَا
مُسْتَقَلٌّ كُلِّ مَا تَلَقَاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(١٠٨)

وقال^(١) :

تَخَنَّى عَلَى ذُنُوبِهِ فِي حَبِّهِ وَيَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجَنِّبَهَا
فَكَأَنَّهُ عَيْنِي تَرَى عَيْنِي ، وَلَا يَبْدُو لِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(١٠٩)

وقال :

بُنِيَتْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْعِبَادِ نَسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ هَوَى وَقَلِي إِنْسَانٌ عَيْنِي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُزْهَدُنِي أَقَامَ حَبِّي لَهُمْ عُدْرًا يُعْفِيهِ

(١) البيان من مرويات المسالك لأمامة (١٠: ٥٠٦) .

قافية الياء

(١١٠)

وقال :

يَعَالِطُنِي فِيكُمْ هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى إِنْكَارِ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعَظْمَةِ أُمِّ الْبُرِّ^(١) تَرَامُ شِلْوَهُ^(٢) وَقَدْ رَابَهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا^(٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بِيَهُ سُرُّ الْحُبِّ عَلَانِيَهُ
أُنْظُرُ إِلَى جَسَدِي ، لَتُنْخَبِرَكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَهُ
عَنْ مُهْجَةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَفَتْ وَعَيْنِ جَارِيَهُ
وَصَبَابَةٍ لَا أُسْتَطِيعُ أَعَابُهَا ، هِيَ مَا هَبَهُ
وَلَمِنَ الْأَوْمِ ، وَإِنَّمَا عَنِي عَلَى الْجَانِيَهُ

(١١٢)

وقال :

يَا قَرُّ ، أَعْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بَدِيعُ النَّظْمِ فِي فِيهِ
قَدْ زِدْتِ فِي التِّيهِ ، وَمَنْ لَا يَرَى مِثْلًا لَهُ يُعْذَرُ فِي التِّيهِ

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : العضو والجسد من كل شيء .

(٣) البيان من اعتبارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَن غَابَ عَمَّنْ يُوَدُّهُ فسيانَ عِنْدِي بَعْدَهُ وَاقْتِرَابَهُ
إِذَا المَيْتُ وَاَرَى شَخْصَهُ عَفْرُ الثَّرَى فَهَلْ يَدِينُهُ أَنْ يَقْلَ تُرَابَهُ
وَكُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ فَالأَرْضُ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحَمَامُ اغْتِرَابَهُ

(١١٤)

وقال :

أَلْمِيَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارُ عَنوَةً فَدَارَكَ أَجْفَانِي القَرِيحَةُ وَاخْلَبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَى الأَهْوَاءُ ، وَالبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فُرْقَةُ الأَحْبَابِ حَزْنٌ وَلَا سَهْبُ^(٣)
وَلَكِنَّمَا البَيْنُ المُشْتُّ هُوَ القَلْبِي وَإِنْ قَرُبُوا ، وَالبُعْدُ أَنْ يَبْعَدَ القَلْبُ
وَكَمْ مَهْمِهِ^(٤) تَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قَطْعَهُ طَوْتُهُ لَنَا الأَشْوَاقُ نَحْوَكِ وَالحَبُّ
عَقَلْتُ بِهِ العَيْسَ^(٥) المَراسِيلَ بِالوَجِي^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَتْنَا المَطْهَمَةُ^(٧) القُبُ^(٨)

(١) لى كرضى لى وكضى لى : اسودت شفته ، وهو ألى وهى لى .

(٢) الخلب بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .

(٣) السهب : الغلاة . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهمة : المغازاة البعيدة .

(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٦) الوجى : الحفى وهو أن برق القدم والحافر .

(٧) المطهمة : التامة الخلق .

(٨) الخليل القب : الضوامر .

فلما وصلنا (برقعيد^(١)) تماشدت على صباباتي ، وعنفتي الركب
ولج اشتياقي ، كنت أتهم التوى عليه ، إلى أن زاد سورته^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يشني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النخب^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا أمرى بالصبر ، إنَّ الين موعده الغروب
والصبر محمود العواقب ، لو أطاقت القلوب
لكن أباه على أحشاء يلقلها النخب
ومدامع كالبحر ، لا يربحى لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال^(٣) :

يادهر ، مالك لا يصدك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، وياً بي أن أمرضه الحجاب
لو كنت تُنصفُ كانت الأمراض بي^(٥) ، وله الثواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين (ياقوت).

(٢) سورة الخمر وغيرها : حديثها .

(٣) النخب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روى لأسامة في ياقوت ٢ : ١٩٧ ونريدة القصر ١٠٠٠ .

(٥) الرواية في ياقوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَادَهُرُ، بِالْعِدْوَانِ تَحْسِنِي فِي غَيْرِ جَنَسِي، وَلَمْ أَفْقَدْ، وَلَمْ أُغْبِ
هَلَّا بَأَذَى الْعَذَائِيْنَ ائْتَنَعْتَ لَنَا فَالذَّبْحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْلِيْبِ مُعْتَرَبِ

(١١٨)

وقال :

رَمْتَنَا اللَّيَالِي بِاقْتِرَاقِ مُشْتَتِ أَشْتَتْ، وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(١)
تَحَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ، وَأَنْسَقَتِ الْعَصَا وَشَعْبَهُمْ وَشَكُ النَّوَى كُلِّ مَشْعَبِ^(٢)
وَقَدْ نَثَرَ التَّوْدِيْعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْ لَوْأَ لَمْ يَثْقَبِ

(١١٩)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَيْشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ، وَدَهْرًا قَدْ أَحَلَّتْ نَوَابِئَهُ
تَنَكَّدَرُ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السُّهُولَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّيْ عَنْ نَوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَنْ نَيْلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع رى الجمار، نى .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أَعْنَى بالسرى والسباسب^(١) ويَصَدِّعُ شَمَلِي بالنوى والنواب
فَن لاقَه يوماً من الدهر منزلاً فما منزلى إلا ظهور النجائب^(٢)
ومن رآه خِلُّ يسرُّ بِقُرْبِهِ فيا ويحَ قلبى من فراق الأقراب
فلى كلِّ يومٍ من جوى الهمِّ صاحبٌ يُجَدِّدُ أحزاني على فقْدِ صاحب
ولى منزلاً ما مَسَّ جلدى تُرابُه ولا فيه أترابى ، وملهى مَلاعى

(١٢١)

وقال :

أَمْسَبْتُ مِثْلَ الشَّمْعِ : يُسْرِقُ نورُه والنَّارُ فى أحشائه تَتَلَهَّبُ
حيرانَ ، وَجْهِي لِلتَّجْمَلِ^(٣) ضاحِكٌ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي لِلْهَمومِ مُقَطَّبُ

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لم يَنْهَ العَدْلُ ، لكن زاده لَهْجاً والعألُ مما يَزِيدُ المُسْتَهَامَ شَيْبِي
أَضَعْتَ نُصْحَكَ فِيمَنْ لَيْسَ بِسَمْعَهُ ولا يَرى فى ضَلالاتِ الهوى حَرْجاً

(٢) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة .

(١) انظر ما سبق من شرحه ص ١ .

(٣) التجمّل : التصبّر .

ما قلبه حاضرُ النَّجْوَى ، فإردعه الذِّ
مدلهُ ، فارقَ الأحبابَ أغْبَطَ مَا
يستخبرُ الدَّارَ عنهم صبوةً ، فإذا
فاضتْ بِقَانِي الدِّمِّ المنهلُ مقلتهُ
يا ويحهُ من جوى يغدو عليه، ومن
أفدى خيالاً سرى ليلاً، فأشرقَتِ الدُّ
عجبتُ منه ، تخطى الهولُ معترضاً
إذا رأيتُ حبابَ الرَّاحِ مُستظماً
يألى من الين ، لازالت مَظِيهْمُ
سارتْ بإنسانِ عيني في هَوَادِجِهَا
فارقهم ، فكأنى ما سررتُ بهمُ
أهى ، ولا نهيتهُ في سمعه وِلْحَا
كانوا ، وكانَ بهم جَدْلَانِ مُبْتَهَجَا
أعيتَ عليه جواباً ناحَ أو نَشَجَا (١)
فكلُّ راءٍ رآها ظنَّها ودَجَا (٢)
جوى يروحُ ، إذا ليلُ الهمومِ دَجَا
نيا بأنواره ، والصبحُ ما انبَلَجَا
أرضُ العدا ووشاةُ الحى ، كيف نَجَا
ذكرتُ ذلك الرُّضَابَ العذبَ والبَلَجَا (٣)
حسرى ، إذا ارتحلتُ ، معقولةٌ يوجى (٤)
فا رأتُ منظرًا من بعدهم بهجَا
يوماً ، وقد عشتُ مسروراً بهم حججَا

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كَمَّ ابْجَوَى القَلْبُ القَرِيحُ فَأذَاعَهُ الدَّمْعُ الفَضُوحُ
إِنَّ الدَّمْعَ هَا لَسَ انِّ الدَّمْعَ هَا لَسَ

(١) نشج الباكى نشيجا : غص بالباكاء في حلقه من غير انتخاب .

(٢) الودج : عرق في العنق .

(٣) البلج : قنطرة ما بين الحاجين .

(٤) الوجى : الحنى . راجع ص ٥٤

وَإِذَا الدَّمُوعُ تَزَحْنُ فَالزَّفَرَاتُ بِالشُّكُوى تَبُوحُ
أَحْبَابِنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَتُ شَمَلْنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكَمْ التَّفَرُّقُ ؟ ! أَنْ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ ، وَأَنْ تَرُوحُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الْحَيْنِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيحُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوَرَقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لَكِنَّا غَاضَتِ مَدَا مَعَهَا ، وَلى دَمْعُ سَفُوحِ
مَرْجَتِهِ بِالدَّمِ مَقْلَةٌ إِنْسَانُهَا أَرِقُ جَرِيحُ
يَا لَأَنمَى^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ ، وَنَامَ عَنِ لَيْلِي النَّصِيحُ
يَلْحَى الْمُرُوعَ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِي الْمُسْتَرِيحُ
يَأَى مِنَ الْحَسْرَاتِ ، كَمْ تَغْدُو عَلَى ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبَقْ مِنْ لَدَيْ وَأَتْرَابِ الصَّبَا خَلُّ نَصُوحُ
غَالَتَهُمُ الدُّنْيَا ، رَصَدَ عَ شَمَلَهُمْ زَمَنٌ نَطُوحُ
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيِّتٌ ، وَلى مِنْ جَسْمِي الْبَالِي ضَرِيحُ
فِيهِ ذَمًّا^(٤) رُوحٌ مِنْبَتُهَا غَبُوقٌ أَوْ صَبُوحُ
وَقَلْبًا تَبَقَى ، وَكَمْ تَبَقَى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَفَلَا لِقَاءً يَذْهَبُ الْحَسْرَاتِ ، أَوْ مَوْتٌ مُرِيحُ

(١) الورق : جمع ورقا ، وهي الحسنة .

(٢) الدماء : بقية النفس .

(٣) طرحه . رماده وأبعده .

(٤) في هامش الديوان (بانا صحن) .

(١٢٤)

وقال :

يَا نَازِحِينَ واصْطَبَارِي وَالْأَمْسَى يُجِئُ^(١) ذَا دَمْعِي ، وَهَذَا يَنْزَحُ
لَا أَسْأَلُ الْأَيَّامَ تَعْوِيضًا بِكُمْ لَأَنَّهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاحُكُمْ يَنْظُرِي كَأَنَّهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَسْبِرُ
وَلَا نِيَمُ يَوْمُ فَيْكُمُ ، وَالْهُوَى يُصْحِبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْمَعُ
يَلْبِغُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلْنِي بِالْيَيْنِ وَالْمُهْجَرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَحَلَّتْ عَلَيَّ مَغْنَاكَ سَارِيَةَ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا مُطْرَنَكَ مِنْ دُمُو عِي مَا يَنْوِبُ عَنِ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبْعَكَ مِنْ غَضَبِضِ الطَّرْفِ مِمَّنْوعِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِمَةٌ صَوَادِي
فَرَمَتْ جُمُوعَهُمُ اللَّيَّا لِي بِالْتَشْتِ وَالْيَعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْجَوَادِثِ ، أَوْ تَقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنِ الْإِسَاءَةَ بِاعْتِمَادِ

(٢) أصحاب : ذل وناقاد .

(١) أجم الماء : تركه يجتمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت العياد من أمطار الربيع بعد الوسمي . الواحدة عيادة .

مالي وللايام ؟ ! كم تُصمِي نوافذها^(١) فؤادي
رَنَقن^(٢) من وِردِي، وأمَّ حَلَّ جُورِها عمداً مرادِي^(٣)
وقصدتني سنوابٍ والينهن بلا اقتصاد
ومنها :

وإليك أشكو برح همَّ كلَّ يومٍ في ازدياد
حَظَر الشُّرورِ على فؤادٍ لا يسرُّ بمِسْتَفادٍ
لولا تألُّه بما يلقى لعدَّ من الجماد

(١٢٦)

وقال :

أَتظُنُّ صَبْرَكَ مُنْجِداً إنْ أنْجِدُوا هِياتَ : ليس لِمِسْتَهَامٍ مُسْعِدُ^(٤)
إني لأحسبُ أنَّ قلبك ذاهلٌ عما سَيلَقِي في غَدٍ أو جَلَدُ
هذا الفِراقُ هو النِراقُ ، فإن تَطُنُّ جَلداً ، فمِيعادُ اللِقَاءِ المَوْعَدُ^(٥)
قالوا : غداً لِنَوِي الأَحِبَّةِ مَوْعَدُ والدَّهْرُ أجمَعُ بعدَ ليلتنا غدُ
فإلامَ تَحْتَسِبُ الدَّموعَ ، وللنَوِي ذُنُوحُ ، وأيُّ ذَخِيرَةٍ لا تَنفَدُ
حَمَلتَ نَفْسَكَ يا ضَعيفُ من الهوى ما لَيْسَ للجَلْدِ الخَلِيُّ به يدُ
ووردتَ جهلاً مورداً لا مَصْدَرُ عنه ، فقد أهلكَ ذاكَ المورِدُ

(١) أصمى العبد : رماه قتل مكانه . والنوافذ : السهام النافذة .

(٢) رنقه : كدره .

(٣) المراد بالفتح : مرعى الإبل ، من راد النعم في المرعى ربادا .

(٤) أسعد : أعان . وأنجد : دخل نجداً . (٥) الموعود : يوم القيامة .

أنى جَسَرْتَ على الفراقِ وأنتَ في قُربِ الدِّيارِ بهم معنى مُكَمِّدُ
فارقَهُم ثقةً بصبرِكَ عنهم فاصبرْ لِنيرانِ الأسيِّ يا مُوقِدُ
لو رُضتَ قلبَكَ في الدنوِّ بهجرهم لعلتَ بعدَ اللَّيْلِ هل تَنجَلِدُ

(١٢٧)

وقال :

ما يُنكرُ الأَخِيَاءَ من كَدَى لا جَزَعِي مُسْعِدِي ، ولا جَلَدِي
خَانَ اصْطَبَارِي ، وغازِ بعدَ نَوِي الأَحبابِ دَمِي ، وكانَ من عُدَدِي
وكَلِّمًا أَضْرِمْتَ حَشَايَ لَدُنْكَ رَاهِمًا ، تَأَوَّهْتُ ، ثمَّ قَلتَ : قَدِي (١)
فلو رَمَتِ بالثَّرارِ بَعْدَهُمُ أحناءُ صَدْرِي ، ما قَلتَ : وَبِكَ قَدِي
أَحبابًا ، دَعوَةً أَحسُّ لها - لو أَسْمَعْتُمْ - بَرْدًا على كَبَدِي
أَه لِعَيْشِي ، ما كانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، والزَّمانُ طَوَّعُ يَدِي
أَيَّامُ وَرَدِي من ماءِ أوجِهِكُمْ عَذْبٌ ، وقلبي بعدَ الرُّودِ صَدِي
فَفَرَّقْتَنَا النَّوِي ، فَوَاطَمِي إلى ارتِشافِ العُقارِ (٢) من بَرَدِ
ويا أُنحَى البرِّي ، أَعَيْدُكَ من لَوِي ، فكلُّ العُقوقِ في فَنَدِي (٣)
أَفِضْ مَعِي عِبْرَةَ التَّجَمُّلِ إِسْعافًا لِبائِكَ بِعَبْرَةِ الكَمَدِ

(١٢٨)

وقال :

دَعُونِي أُنحَى ، ما مَثَلُ وَجَدِي يُجَعِدُ عَسَى جَمراتُ في الجِوانِحِ تَمَجِدُ
أُجِئْتُ نَفْسِي كَتَمَ ما أَنَا كَأَظْمُ عليه ، وما لي بِالَّذِي رَمْتَهُ يَدُ

(١) قد : اسم فعل مرادة ليكن ، واسم مرادف لحسب . (٢) العقار : الحمر .

(٣) اليد بضم الفاء والنون : إنكار العقل من الهرم أو المرض ولا يستعمل في غير الكبير .

ووجدى بمن فارتت، لولا تجلدى
وما قدر^(١) ما يُجدى على التجلد!
كوجد ليدي، أو كوجد متمم
ومن مالك مع من فقدت وأربد^(٢)

(١٢٩)

وقال :

أيلامٌ مسلوبُ الفؤادِ فقيدُهُ
والسرُّ في يومِ الوداعِ كأنه
وإذا أقرتْ بالهوى زفراته
برح الخفاءِ ، وبانِ يأسكُ منهم
يُلبى الزمانُ هوى القلوبِ ، وحبهم
وكانَ دمعك حينَ يخطر ذكركم
تحمى الغمامَ : زفيرُ شوقك برقه
تبكى لأنتكِ الحامُ ، وطالما
ياراقدَ الأجفانِ عن قلبِ الحشا
ماذا عليكِ إذا بكى أحبابه
جحد الغرامِ ، فأنثته شهوده
قبس تصرم في الظلام وقوده
لم يغن عنه ، وإن أصر، جحوده
فإلام أنت جوى الفؤاد عميده
لا يضمحل ، ولا يربث^(٣) جديده
عقد وهى ، فانتال منه فريده
وتشيج دمعك وبله ورعوده
هاج الجوى لأبى الهوى تعريده
ولمان أفدى طزفه تسهيده
ذو غربة ناني المحل بعيده

(١٣٠)

وقال :

ولما تصافينا وأخلص ودنا
طرت هجرة لم محتسب ، وتقطعت
ورد بيأس كاشح وحسود
علائق وصل ، واستمر صدود

(١) في هامش الديوان : " وإن قل "

(٢) مالك بن نويرة وأخوه متم شاعران وليدين ربيعة وأربدين ربيعة شاعران . وانظر القلمة : (٣٣١) ص ٢١٠

(٣) رث : على .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكَانَتْ لَيْلِي الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرٌ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَفِي الْحَشَا لِيُغْضِمَهُمْ نَارٌ تَلْظِي وَقُودَهَا
إِذَا زُرْتُمَا طَالَتْ طَرِيقُ ، وَإِنْ أَعْدُ "أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي ، وَيَدْفُونُ بَعِيدَهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ بَقَلِي تَضَائِقَتْ ضُلُوعِي عَمَا تَحْتَهُنَّ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ كَسْتَيْنَا بَعْدَ الْفَةِ وَمَنْ نَقَلْنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى الْبَعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفَيْتَ سَبِيلُهُ عَنكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارِقًا مَنِ يَهْوَى ، فَأَجْدِي عَلَيْهِ أَنْ قَضَى ^(١) كَمَدَا
بِالْأَمْسِ رَاعَكَ بَيْنَ مَا احْتَسَبْتَ بِهِ عَسَى الْلِقَاءُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْهُ غَدَا

(١) قضي : مات .

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِصْرَ جَنَّانُ الْخُلْدِ : مَا اشْتَهَتْ النُّفُوسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَحَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحْبَبُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بِنَفْسِي بَعِيدُ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لُورَاهُ الْبُعْدُ رَقَّ لِي الْبُعْدُ
يَقْلِبِي مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لِبَسِّ يَبْرِدُهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدَ أَحْسَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتَ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَهَا بَرَدَ الزَّيْدُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ تَمَجِدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى غُرْبَةَ كَالصَّدِجِ فِي الْحَجْرِ الصَّلْدِ
وَقَدْ قِيلَ : فِي الْيَأْسِ الشَّمَاعِ مِنَ الْهَوَى وَدَانِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ تَمَجِدِ
بِلَادُ بِهَا صَاحِبَتْ شَرِخَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكِرَامَ ذَوِي وُدِّي
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَدَمَّتْ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أُبْدَى

(١٣٧)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ تَوَدَّعِيهِمْ وَقَدْ جَرَتْ بِنَجِيحٍ^(١) فَوْقَ خَدَّيْ مُرِيدٍ :
خُدَى بِنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَدُونَكَ ، وَالدمَعُ [المخضِبُ]^(٢) فِي غَدِّ

(١٣٨)

وقال :

قَدْ مَرَّنتِ قَلُوبُنَا عَلَى النَّوَى فَا تَسَكَّى مِنْ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرِهَا عَلَى لَغَى أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّنْدِ

(١٣٩)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس^(٣) :

أَتَمُّ فِيكُمْ لَانِمَى ، وَأَنْجِدَا ، وَمَا أَفَادَ سَلْوَةٌ إِذْ فَتَدَا^(٤)
أَرْشَدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوقِي عَنِ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَانِمَى فِيهِمْ ، أَعِدْ ذِكْرَهُمْ وَاللَّوَمَ فِيهِمْ ، وَأَتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا
رُوحَ بَذِكْرَاهُمْ فَوَادًا مُضْرَمًا لَوْمَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَشْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَسَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زَنَادًا أَصْلَدَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَانِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَمْ عَلَى أَنِّي بِهِمْ مَعْنَى الْقَلْبِ صَبٌّ أَبَدَا

(١) النجيج : دم الجوف . (٢) نكحة يياض بالأمل بمثابة يستقيم الوزن ويجمل المعنى .

(٣) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الظاهر العاطمي ، وهو الذي اتهم ولده نصر بقتل الخليفة ، فهربا من مصر .

وصحبا في خروجهما أسامة .

(٤) أتهم : أتى تهامة . وأنجد : دخل نجدا . وفند : خطا الرأي .

لا أَسْتَفِيقُ مِنْ هَوَىِّ لَأِ إِلَى
أَفْدَى خِيالًا زَارَ رَحْلِي مَوْهِنًا^(١)
عَهْدَتُهُ مُوسِنًا رَأْدُ^(٢) الضُّحَى
عُلَاةَ عَلَّيِ الشُّوقِ بِهَا
ثُمَّ هَيْبَتُ، لَا بِكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدْهَمًا، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصِ فَاتِ الْقَبِيصِ يَدِهِ
أَحْبَابِنَا وَحَبْدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْإِيَامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لِاضْطِبَّارِي مَدْدُ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجَوَى
يَا رَوْعَتَا لَطَائِرِ نَاحِ عَلَى
أُظُنُّهُ فَارِقُ الْأَفَّا ، كَمَا
أَدْمَى جِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَهِيحُ لِلْحَزِينِ بَيْتُهُ

ومنها :

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ بِنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَسَرَّهُ أَنْ جَارَ دَهْرًا وَاعْتَدَى :
أَمْنَتَ أَنْ يَسَّرْنَا فَيْكَ غَدَاً^(٥)

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .
(٢) رَأْدُ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس عند انقراض الأول من النهار وانسحاب ضوئها وذلك شاب النهار . وموسنا : من الوسن وهو شدّة النوم .
(٣) القُدْفُ : القلاة . (٤) الإسوة بالكسر وتضم : القدوة وما يأتي به الحزين . الجمع : إسم بالكسر ويضم .
(٥) راجع القطعة (٣٣٢) ص ٢١٠ .

قافية الذال

(١٤٠)

وقال :

صَدُوهُ ، وَهُوَ صَدِيٌّ^(١) الْفُوَادِ إِلَيْهِمْ ظَالِمٌ ، يَحُومُ عَلَيْهِمْ وَيَلُوذُ
وَبِعَهْدِهِمْ إِنْ حَافَظُوا مِيثَاقَهُ زَمَنَ الْوِصَالِ مِنَ الصُّدُودِ يَعُودُ
وَبَلِيَّةُ الْمَشْتَانِ أَنَّ هَمُومَهُ مَجْمُوعَةٌ ، وَفُوَادَهُ مَشْدُودٌ

قافية الراء

(١٤١)

وقال :

لَا غَرَوَ إِنْ هَجَرَ الْخِيَالُ الزَّائِرُ مَا يَسْتَرِيرُ الطَّيْفَ طَرْفٌ سَاهِرُ
دُونَ الْكِرَى خَطَرَاتُ هَمٍّ ذُنُودُهُ عَنِ نَاطِرِي ، فَهِيَ النَّوَارُ^(٢) النَّافِرُ
لَا سَوْرَةَ الصَّبَاءِ^(٣) تَصْرِيفُهُ ، وَلَا يُلْهِى فُوَادِي حِينَ يَطْرُقُ سَامِرُ
وَإِذَا فَرِعَتْ إِلَى الْأَمَانِي صَدْنِي يَأْسٌ يُحَقِّقُهُ الزَّمَانُ الْخَلَّازِرُ^(٤)
أَسْتَعِطِفُ الْأَيَّامَ ، وَهِيَ صِرَادِفُ وَالْوُمَهَا ، وَهِيَ الْمُصْرُ الْجَلَّازِرُ
وَتَرِيدُهَا الشَّكْوَى إِلَيْهَا قَسْوَةٌ وَلَقَلَّمَا يُسْكِي^(٥) الظُّلُومَ الْقَادِرُ
أَشْكُو حِرَاحَاتٍ بَقَلْبِي تُعْجِزُ الْآ سِي ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا السَّابِرُ

(١) الصدى : العطنان .

(٢) النوار : المرأة الغور من الرية .

(٣) الصباء : الخمر .

(٤) النخر : الفدر والغديعة ، أو أرقع الفدر .

(٥) أشكى : أزال شكايته .

غَيرت على دَخَلٍ، وروعاتُ النوى
وعلى الركائبِ، لو أباحَ الدمعُ لي
ساروا بقلبِ أسيرِهِمْ بعدهم
ناضتْ دُموعِي في المنازلِ وارعوي
إن لم أَسْمَعْ بها سحابَ أدمعِ
أَحْمَلُ الأطلالَ مَنَّةً عَارِضِ^(٣)
إني إِذْ نَبْشُونُ عَنِّي بِأَخْلٍ
يَقْرِفُن^(١) ما دَمَلَ الزَّمانُ الغابِرُ
نظراً إلى تلكِ الخدُورِ، جاذِرُ
مُتَلَدِّدِ^(٢)، فهو المقيمُ السائرُ
صَبْرِي، وراجِعِي الرقادُ النَّافرُ
ينجابُ خشيتها الغامُ الباكِرُ
وسحابُ دَمِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرُ
وَبِعَهْدِ مَنْ سَكَنَ المنازلَ نادرُ

(١٤٢)

وقال :

تَناءَوْا، وما شَطَّتْ بنا عنهم الدَّارُ
هُمُ جِيرَتِي، والبعدُ بِنِي وَبَيْنَهُم
لهم مَنِي العُتْبِي، إِذا ما تَجَرَّمُوا
أَجيرةَ قَلْبِي، وَالَّذينَ هَوَاهُمُ
تَظُنُّونَ أَن الصَّبْرَ يُجَدُّ بَعْدَكُمْ
إِذا عَن ذِكْرِكُمْ عَرَّتِي سَكْرَةٌ
حَفِظْتُ هَوَاكُمُ حِفْظَ جَفْنٍ لِمُقْلَةٍ
وعارُ يَكُمُ أَن تَعْتَرِيكُم مِلالَةٌ
ومالتَ بهم عَنَّا حُطوبٌ وأَقْدارُ
وأعجِبُ شَيْءٌ بَعْدُ مَنْ هُوَ لِي جَارُ
وبذُلَ الرِّضا، إن أَنصَفُونِي، أو جَارُوا
تَوافقَ إِعلانٍ عليه وإسْرارُ
على بَعْدِكُمْ، هِياتَ، صَبْرِي غَمَّارُ
كَأَنِّي سَقَانِي البابِلِيَّةَ نَحَّارُ^(٤)
وضاعتُ موداتٌ لِدَيْكُمُ وأَسْرارُ
وحاشي هَوَاكُمُ أَن يُدْنِسَهُ العارُ

(١) القرف : التمس في المرض . والذخل : القدر والمكر . والفبر : فساد الجرح .

(٢) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتغير متبدا وتلبث .

(٣) العارض : السحاب المترض في الأفق .

(٤) البابلية : نعت نسب إلى بابل : مكان فالداق .

أَعَاتِبِكُمْ ، أَرْجُو عَوَاطِفَ وُدِّكُمْ
 وَمَنْ عَجِبَ أَنِّي أَرِيقْتُ لِرَاقِدٍ
 أَحِينَ اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ ، وَاتَّادَنِي الْهَوَى
 تَصَدَّى لَصَدَّى ، وَاعْتَرَتْهُ مَلَالَةٌ
 فَهَلَّا وَدَمَعِي ، مَا أَرِيقَتْ جِمَامُهُ^(١)
 وَفِيكُمْ عَلَى مَا أَوْجَبَ الْعَتَبَ إِصْرَارُ
 وَالزَّمَنِي حَفَظَ الْمَوَدَّةَ غَدَارُ
 وَأَسَلَنِي مِنْ حُسْنِ صَبْرِي أَنْصَارُ
 قَضَتْ بِبِعَادِي ، وَالْمَلَلَاتُ أَطْوَارُ
 وَتَلْبِي لَمْ تُسَعِّرْ بِأَرْجَانِهِ النَّارُ

(١٤٣)

وقال^(٢) :

مَا أَنْتَ أَوْلَى مِنْ تَنَاءتِ دَارِهِ
 إِمَّا السُّلُوْ أَوْ الْحَمَامُ ، وَمَا سِوَى
 مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ لِقَاءٍ يُرْتَجَى
 هَذَا وَهُوَ فُكٌّ لِلِوَدَاعِ ، وَهَذِهِ
 فَاسْتَبِقِ دَمْعَكَ فَهُوَ أَوْلَى خَاذِلٍ
 مَدَدُ الدَّمُوعِ يَقِلُّ عَنْ أَمِدِ النَّوَى
 لَيْتَ الْمَطَايَا مَا خُلِقْنَ ، فَكَمْ دِيمٍ
 مَا مَاتَ صَبُّ إِتْرِ الْإِفِّ نَازِحٍ
 فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَبْحَثُ سَبِي سُوْقَهَا
 لَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَيْسِ نَاقَةٌ صَالِحٍ
 فَعَلَامَ قَلْبِكَ لَيْسَ نَحْبُو نَارَهُ
 هَذَيْنِ قَسْمٌ ثَالِثٌ تَخْتَارُهُ
 أَوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى وَنَهَارُهُ
 أَطْعَانُ مَنْ تَهَوَى ، وَتِلْكَ دِيَارُهُ
 بَعْدَ الْفِرَاقِ وَإِنْ طَمَا تِيَارُهُ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ لُحْيَةِ نَمْتَارُهُ^(٣)
 سَفَكَتُهُ يُثْقَلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
 وَجَدًّا بِهِ إِلَّا لَدَيْهَا ثَارُهُ
 حَتَّى يِعَافَ دِمَاءَهُنَّ زِرَارُهُ^(٤)
 مَا سَاعَنِي أَنِّي الْغَدَاةَ قُدَارُهُ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حد السيف .

(١) الحمام : مظم الماء .

(٣) امتاز : جلب الطعام .

(٥) قدار : عافرة ناقة صالح .

ما حَتَفُ أَنْفُسِنَا سِوَاهَا ، إِنَّمَا
 وَاهَاً لِمَغْلُوبِ الْعِزَاءِ تَنَاصَرْتُ
 هَاجَتْ لَهُ الدَّاءُ الْقَدِيمَ أُسَانُهُ
 كَتَمَ الْهُوَى ، حَتَّى وَنَتْ لُوَامَهُ
 وَمَحَجَّبٍ كَالْبَدْرِ : يَدْنُو نُورَهُ
 يَحِكِي الْغِزَالَةَ وَالْقَضِيبَ قَوْمَهُ
 بِي غَلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظُّلْمَا
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَازِرِي
 إِنْ لَمْ أَمُتْ أَسْفَأَ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكِ صَدَّهُ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَى وَيُصْبِحُ فِي لَطْفِي .
 مُتَضَادِدَ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهُوَى إِفْرَاقَهُ (٣)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الَّذِينَ مُعْظَمُ دَائِهِ
 فَارْقَتُهُ وَظَلَمَتْ أَنْتَ لَيْبِنِنَا

لَهِيَ الْجِمَامُ أَتِيحَ ، أَوْ إِذْأَرُهُ
 أَشْوَاقُهُ ، وَتَحَاذَلَتْ أَنْصَارُهُ
 وَنَقَى الْكِرَى عَنْ جَفْنِهِ سَمَّارُهُ
 فَطَفَفَتْ عَلَى دَمِجِ الْأَسَى أَسْرَارُهُ
 مِنْ عَيْنِ رَائِيهِ ، وَتَنَأَى دَارُهُ
 وَلِحَاطِظِهِ ، وَبِهَآؤُهُ ، وَنِفَارُهُ
 وَأَرَى الْوَرُودَ يَذُودُ عَنْهُ عَارُهُ
 مَاءَ الْفِرَاتِ لِأَنَّ بَدَتْ أَكْدَارُهُ
 مَا حِيَلْتِي ، وَغَدَاً يَسُطُّ مَرَارُهُ
 مَدَّقُ (١) الْوَدَادِ عَلَى النَّوَى غَدَّارُهُ
 رَوْضًا سِوَاكَ يَشْوقِي نُورَهُ
 أَبْدَى الْجَجَّاجِ ، وَسَاءَنِي إِضْرَارُهُ
 عَنْهُ الْعَفَافُ ، فَمَا عَسَى إِيْثَارُهُ
 مِنْ وَجْدِهِ ، يَسِيمُ الْمَطَى أَوَارُهُ (٢)
 وَإِبَانِهِ ، مَا يَسْتَقَرُّ قَرَارُهُ
 فَرَمْتَهُ مِنْكَ بِنُكْسِهِ سَنَجَارُهُ (٤)
 وَشَفَاؤُهُ رُؤْيَاهُ أَوْ أَخْبَارُهُ
 أَمْدًا ، فَظَالَ مَدَاهُ وَاسْتَرَارُهُ

(٢) الأوار: اللب .

(٤) سنجار: مدينة .

(١) مذاق الود: لم يخلصه فهو مذاق ومذاق .

(٣) أفرق من مرضه: برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي ناظري بفراقه ، ما أومضتُ أسفارهُ
ظنًّا سرى الإشفاقُ في ترجمه^(١) ولربما أزدى الشفيقَ حدارهُ
وإذا القنوطُ دبَّجى على ظلامه وضح الرجاءُ ، ولاح لي إسفارهُ^(٢)
ووثقتُ باللطفِ الخني من الذى تجرى بما يلقى الفتى أقدارهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لما سمعها ، قال : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسرقة ، فقصد التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبرُ فليس له نهى عليه ولا أمر^(٤)
وعاوده الوجدُ القديم ، فشقه^(٥) جوى ضاق عن كتمانهِ الصدرُ والصبرُ
كانَّ النوى لمْ منحترِمَ غيرَ شمله ولم يجرِ إلا بالذى ساءه القدرُ^(٦)
وهل لىنى الدنيا سرورٌ ، وإلما هو العيشُ والبؤسى ، أو الموتُ والقبرُ
وكلُّ اجتماعٍ مُرصدٌ لتفرُّقِ وكلُّ وصالٍ سوف يعقبه هجرُ
وما يدفعُ الخطبَ المُلمَّ إذا عرى سوى الصبرِ ، إلا أنه كاسه صبرُ
أسكانَ أخفافِ العواصمِ دعوةً بينى بروداً ، وهى فى كبدى جمرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : الطلق .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) مضمّن لبيت أبي فراس الحمداني :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر

أما لاروى نهى عليك ولا أمر

(٦) القدر محرّكة القضا . والحكم ، كالقدر يسكون الدال .

(٥) شفه الهم : هزله .

(٧) عجز بيت المتنبي :

بنى برودا وهو فى كبدى جمر

أرى بقلك أم ماء الغائمة أم بحر

لقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ فكلُّ زَمَانِي لَيْلَةٌ مَاهَا بَقَرٌ
أُعَاتِبُ آبَائِي عَلَيْكُمْ ، وَمَاهَا وَلَا لِيَالِي فِي الَّذِي بَيْنَنَا عُدْرٌ
لقد صَدَعَتْ بعد التَّفَرُّقِ شَمَلَنَا كصَدَعِ الصِّفَا، مَا إِنَّ لَهُ أَبَدًا جَبْرٌ
وما زالَ صَرفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا فَلَمَّا انقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
فويحَ زَمَانٍ فَزَقْتَنَا صَروْفُهُ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَفَرُّقِنَا نَذْرٌ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُمْ نَبَائِي مَضَجَعِي كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَأَذْهَلُ حَتَّى لَا أُجِيبُ مَنَادِيًّا وَأُبْهْتُ، لَا عَرَفْتُ لَدَيَّ ، وَلَا يُنْكِرُ^(٢)
وَأرْمِي فِجَاجَ الأَرْضِ نَحْوَ بِلَادِكُمْ بِطَرَفٍ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرٌ
أرَاقَ جِجَامٍ^(٣) الدَّمْعَ فِيكُمْ فَإِنْ دَعَا بِهِ الِوَجْدُ لِي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ قَزْرٌ
وَجَانِبَ طِيبِ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ فَمَا تَلَقَيْتُ مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شُفْرٌ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ يُمِيطُ بِهَا القَدَى وَهِيَاةَ ، عَرَضَ الأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرٌ
وَإِنِ وَعَدْتَنِي بِاقْتِرَائِكُمُ المُنَى نَهَيْتَنِي عَنِ تَصَدِيقِ موعِدِهَا مِصْرٌ
وَكَيفَ بِكُمْ ، وَالدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ وَدُونِكُمْ الأَعْدَاءُ وَاللَّجُجُ الخَضْرُ

(١) معجزيت لأبي صخر الهذلي (الحماسة ج ٢ : ٦١) :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها

فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٢) مضمون قول أبي صخر الهذلي :

وما هو إلا أن أراها بجلاء

فأبته لا عرف لدى ولا نكر

(٣) جمام : جمع جيم ، وهو من الماء ، مغلظه .

مهالكٌ لو سارت بها الريحُ عاقها الـوجي^(١)، وثأها عن تقحُّمها الذعرُ
ولم يبقِ إلا ذكرُ ما كانَ بيننا ولا عجبٌ للدهرِ أن يدرسَ الذكرُ
وروعةً شوقٍ تعتريني إليكمُ كما انتفضَ العصفورُ، بلله القطرُ^(٢)
فياروعتي ، لا تسكني بعدُ بعدهمُ وياسلوةَ الأيامِ ، موعِدك الحشرُ^(٣)

(١٤٥)

وقال ،

أحبابنا ، ما أشتكى بعدُ بعدهمُ سوى أنني باقٍ ، ولبي حاضِرُ
وما هكذا يقضى وقائي ، وإنما جرت بهواها لا هواي المقادرُ
وقد كان للينِ المُشتِّ أوائلُ وليس له ، حتى الماتِ ، أو آخرُ

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عينُ ، في ساعة التوديعِ يشغلكِ البكاءُ عن لذة^(٥) التوديعِ والنظرِ
خُذِي بِحِظِّكَ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَبَعْدَهُمْ^(٦) فَاجْهَدِي فِي الدَّمْعِ وَالسَّهْرِ^(٧)

(١) وجى الماشي : إذا حفى ، وهو أن يرق القدم والحافر وينسجج .

(٢) عجريت أبي صخر :

ولمى لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٣) عجريت أبي صخر :

فياحبها زدني جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعِدك الحشر

(٤) هذان البيتان رواهما العباد أيضا في الخريدة (١٠٤ : ١) ولباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب وفي الأصل « أنرا التسليم » .

(٦) رواية الخريدة « ثم اجهدى بعدهم للدمع والسهر » . ورواية لباب الآداب « ففى غد تفرغى للدمع ... » .

(٧) عبر عن هذا الحاطر فى بيتين آخرين ص ٦٦ (وانظر القطعة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مِصْرُ ، مَا دَرَيْتِ فِي وَهْمِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتِكَ خَلَوَاتِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوْلُ أَرْضٍ مَسَّ ثُرْبَتَهَا جَسْمِي ، وَلَا فَيْكِ أُرْطَانِي وَأَوْطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمَّتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوِّي ، تُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبِينَ ، رَجَايَ طِيءِ بَابِ الْعَيْشِ مُدَّ بِتَمِّ غُرُورِ
أُنْسِنِي الْأَيَّامُ كَيْفَ يَكُونُ بَعْدَكُمْ السَّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَادِمُعُ ، أَنْجِدْنِي عَلَى بُعْدِهِمْ فَقَدْ تَرَى قَلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدَ جَوِّي فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحْرًا نَارًا مِنْ لَفْظِي النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهِبٌ لِلشَّجْوَى مِثْلَ انْهَمَالِ الْمَدْمَعِ الْجَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أن من كان له بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأن المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفرنج كل ما فيه ، ولم يصلوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأن ملك الفرنج
أعطاهم خمسمائة دينار ، توصلوا بها إلى دمشق^(١) :

إلى الله أشكرو فرقة دميت لها جفوني، وأذكت بالهموم صميري
تمادت إلى أن لأذت النفس بالمتى وطارت بها الأشواق كل مطير
فلها قضى الله اللقاء تعرضت مساءه دهرى فى طريق سرورى

(١٥١)

وقال :

وجدت ووجدى بعدما كان قد عفا وراجعتى حلى، ووازرتى صبرى
هتوف الضحى مفجوعةً باليفها تهبج أشجان الفؤاد ، وما تدرى
ولو أنها إذ أعولت فاض دمعها لقلت: هي الخنساء، تبكى على صخر
ولكنها لم تذر دمعاً ، وأدمعى إذا قرنت بالقطر زادت على القطر

(١٥٢)

وقال :

كأنى مجول^(٢)، أو تكول، إذا جرى بسمعى عن غير اعتماد لكم ذكر
ولو أسعفتى مقلتاى بقطرة شفت داء أحشائى ، ولو أنها قطر^(٣)

(١) رويت الآيات الثلاثة فى الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) المجول : الواله من النساء والإبل .

(٣) القطر بالكسر : النحاس الذائب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نأوا ، فأدنتك منهم الذِّكْرُ ومثلتهم لقلبك الفِكرُ
يراهم بالودادِ قلبي ، على البعدِ ، وإن لم يدركهم النظرُ
وحسرتي أنني أنا المعرض النَّافي ، وما أعرضوا ، ولا هجروا
بعدت عنهم ، إذ كل عصرهم ٣٣٠ ربيع ، وليله سحرُ
ونافستني الأيام فيهم ، ومجنى العيش دان ، وروضه نصر^(١)

(١٥٤)

وقال :

غرضت^(٢) من الهجران ، والشمل جامعٌ ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهرُ
فلما تفرقنا ، وشطت بنا النوى تمنيت لو دام التجاورُ والهجرُ

(١٥٥)

وقال :

وصف الصبر لي جهولٌ بأمرى فارغ البال من همومي وفكري
مستريحٌ ما قلبه مثل قلبي لآ ، ولأدهره ظلومٌ كدهري
ماله بالهموم عهدٌ ، ولا اضطرَّ إلى الصبرِ باقتسارٍ وقهرٍ
وأنا ، الدهرُ ، في خطوبِ زمانٍ أشربُ الصبرَ فيه من حُسنِ صبري
صار لي عادةً ، فلو ضاق رحبُ الأَرْضِ عني ، ما ضاق بالصبرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الغرض محرقة : الضجر والملال . غرض كفرح .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

في ذلك الحىّ المُعْرِضِ لى هَوَىِّ ودَعَّتْهُ حذرا بطرفٍ مُعْرِضِ
أخشىّ عليه الكاشحين ، فكأهم غَضْبَانُ يُسَخِّطُهُ هَوَانَا ، لَأَرْضِي
فتلقت عيني المريضةُ بالبكا واليين ، تأملُ نظرةً من مُمْرِضِي
وقبأهم في الآل^(١) تطفو مثلما يطفو الحبابُ على الرحيقِ الأبيضِ
حتى إذا يئست دعت زفرائها فيصّ المدامع بالشجا المتعرّضِ

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من تصيدة في الملك الصالح رحمه الله :

أجيرة قلبى ، إن تدانوا ، وإن شطوا ومنية نفسى ، أنصفونى أو اشتطوا^(٢)
عصيت اللواحى فيكم ، وأطعتم مقالهم ، ما هكذا فى الهوى الشرطُ
ولو علموا مقدارَ حنئى منكم وهى بكم زال التنافسُ والغبطُ^(٣)
إذا كان حظى منكم فى دنوكم صدودٌ وهجرٌ ، فالتداني هو الشحطُ^(٤)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبى العلاء :

لمن جيرة سهوا النوال فلم ينظوا
يشط : بعد . واشتط : جار .
يظلمهم ما ظل يئنه الخط

(٣) الغبط من قولهم : غبطت الرجل أغبطه إذا تمتيت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسد أن

تريد إزالتها عنه .

(٤) الشحط : البعد . يقال شحطت الدار ، إذا بعدت .

إذا هَجَرُوا ، مثلُ التَّنَانِي إذا شَطَّوْا
لَدَيْنَا ، وَلَا عَالِيَهُ بِالْهَجْرِ يَخْطُ
جَرَتْ فِي دَمِي وَالرَّوْحُ فَهِيَ لَهَا خَلَطُ (١)
أَحْضُ هَوَاهُمْ فِي سُوَيْدَانِهِ وَخَطُ (٢)
وَجَيْبُ الدُّجَى عَنْ وَاضِعِ الصَّبْحِ مُنْحَطُ (٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ فِي مَغَارِبِهِ الْهَبَطُ (٤)
وَكَمْ لِلْوَيْ مِنْ دُونَ تَعْرِيْسِنَا سَقَطُ (٥)
وَيَهْرُهُ (٦) فِي جَانِبِ الْخَلْدِ أَنْ يَخْطُو
نُجُومُ الدُّجَى فِيهِ تَغُورُ ، وَتَنْغَطُ (٧)
وَمَا زَارَنِي مُذْ كَانَ مُسْتَبَقَطًا قَطُ
وَخَاْمَرَهَا مِنْ سُورَةِ الْوَجْدِ إِسْفَنْطُ (٩)
وَمَا قَدَّهُ مَا يُنْبِتُ الْبَانُ وَالْخَطُ
بِجِيدِكَ تَزْدَانُ الْقَلَانِدُ وَالْقُرْطُ
رُبًّا مَسَّهَا ، مِمَّا تَسْرِبَلْتِهِ ، مَرْطُ (١١)
وَلَوْنَ الدِّيَابِجِي شَعْرُكَ الْفَاحِمُ السَّبَطُ

فِيَا قَلْبُ مَهْلًا ، لَا تُرْعِ ، إِنْ قُرِبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لَا الْبَعْدُ يُبْنَى جَدِيدَهُ
أَحْبَبُهُمْ حَبِي الْحَيَاةَ ، مَحَبَّةُ
لَهُمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ وَالْهَوَى
يُعْلَانِي شَوْقِي بِزُورَةِ طَبَفِهِمْ
وَطَرْفِي يُرَاعِي النَّجْمَ حَيْرَانَ مِثْلَهُ
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرِحَالِنَا
وَكَيْفَ فَرَى عَرْضَ الْقَلَا مِنْ يَثُودِهِ
فَلَهَا اسْتَفَاضَ الْفَجْرُ كَالْبَحْرِ ، وَأَنْبَرَتْ
أَسْفَتُ عَلَى زَوْرٍ (٨) أَتَانِي بِهِ الْكَرَى
إِذَا مَاسَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالٍ عَقُولِنَا
يَقُولُونَ : خُوطُ ، أَوْ قَنَاةٌ قَوِيْمَةٌ
شَبِيهَةٌ أَمْ الْخَشْفُ (١٠) جِيدًا وَمُقْلَةً
تَرَوِّضُ جَوْ جَبِيْتِهِ ، وَتَضَوَّعَتْ
حَكِي وَجْهَكَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضَّحَى

(٢) وخطه : خالطه .

(٤) الهبط : التسفل .

يسقط الآوي بين المدخول لغومل

(٦) فرى : شق . ويتووده : يبلغ منه المجهود . والهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٧) غظه في الماء : غمسه ، فاذنط .

(٨) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صام ونام .

(٩) الاسفنت بكسر الهمزة : الخمر .

(١٠) الخشفت مثلثة : ولد الطي أول ما يولد .

(١١) المرط بكسر الميم : كساء من صوف أو خز .

ففتك ببتاك الحسام، إذا هوى
وما خلت آساد الشرى إذ تبهنست^(٢)
فيا عجباً من فاتر الطرف، فاتن
فأرداه فرد الحسن فرداً، وإنه
أيا ساكني مصر، رضانا لبعدكم
إذا عن ذكراكم ظللت كائني
وألزم كفي صدع قلب، أطاره
فهل لي إليكم، أو لكم بعد بعدكم
أراكم على بعد الديار بناظر
إذا عين التوديع أرسل لؤلؤاً
وما شفه إلا نوى من يوده
فراق أني لم تخبر الطير كونه
تلقتني مني سلطةً وصرمة^(٧)
وما كنت أدري أن للشوق زفرةً

على مفرد ثناؤه^(١) في المعرك القط
فرائس غزلان الصرمة^(٣)، إذ تعطو^(٤)
سطاً بكى، لم يزل في الوغى يسطو
ليهبه من رهط قاتله الرهط
عن العيش والأيام - لا تبعدوا - سخط
غريق بحار ما بلجتها شط
جوى الشوق، لولا أن تداركه الضبط
إياب، فقد طال التفرق والشط
لكل فراق من مدامعه قسط
من الدمع لم يجمع فرائده اللقط
وفرقه الأف هي الميتة العبط^(٥)
ولا رفعوا فيه الحدوج^(٦) ولا حطوا
ومن لي أني بعد وشك النوى سلط^(٨)
تزيد، كما ينمي، ويضطرم السقط^(٩)

(١) أى أن حسامه الباتك يشق الشخص نصفين . والقط والقذ والبنك : القطع .

(٢) تبهنس : تجتر . والتهنس : التبخر والأسد يهنس في مشيه ويتهنس أى يتبخر .

(٣) الصرمة : القطعة الضخمة من الرمل تصرم عن سائر الرمال .

(٤) تعطو : تناول . عطوته أعطوه إذا تناوته .

(٥) مات عبطة : إذا مات شاباً صحيحاً .

(٦) الحدج بالكسر : مركب للنساء، كالحنفة وجمه حدوح وأحداج .

(٧) الصرمة : العزبة .

(٨) السلط . الحديد من كل شئ .

(٩) المسقط مثالة : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري .

بِرَغْمِي أَنْ تُمَسِّيَ وَتُصْبِحَ دُونَكُمْ فَيَا فِ، لِأَيْدِي الْجُرْدِ فِي وَغَرِهَا لَنْظُ (١)
وَأَنْ تَنْزِلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلِي وَجِيرَانَكُمْ بَعْدَ الْكِرَامِ بِهَا الْقَبْطُ (٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوِّي لَمْ أَجِدْهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولَ الْبِكَاءِ يُمِيطُهُ
وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بِتَسْوِيفِهِ أَذْكَى جَوَاهُ قُنُوطُهُ
أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعِدُ مِنْ دِيمٍ فَلَمَّا تَقَضَى فَاضَ مِنْهَا عَيْطُهُ (٣)

قافية العين

(١٥٩)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرِكُمْ نَفْسٌ تَقُومُ لَهُ حَنَائِيَا أَضْلَعِي
أُنْسِيْتُ بَعْدَكُمْ السَّرُورَ ، وَأَنْكَرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا بِنَجْنِي مَضْجَعِي
أَلْقَى تَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تَلْقَائِكُمْ بِجُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّهٌ مُوجَعٍ
وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَنَارُ بُرُوقِهِ مِنْ زَفْرَتِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمَعِي

(١) اللفظ ويحرك : الصوت والجلبة أو أصوات مهمة لا تفهم ج ألفاظ . والجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(٢) انظر تمام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم وزعفران عيط ، بين العبطة بالضم : طرى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلبُ ، دَعَهُمْ ، فقد جَرَّبْتَ غَدْرَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ النَّعْيِ مَا يَزْعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ ما جَنَّوْهُ ، أَمِ الأَيَّامُ أَنْتَكِ بَعْدَ البَيْنِ ما صَنَعُوا
وَهَبَّهُمْ أَحْسَنُوا ، هَلْ يُرْجَعُهُمْ إِلَيْكَ وَجُدُكَ ، أَوْ يُدْنِيهِمُ الهَلْعُ
أَلَسْتَ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّبَابَ ، ولا أَعَزَّ مِنْهُ ، فَلَمْ لا رَدَّهُ الجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إلى مَتَى أُمْسِي وَأُضْحِي بِالنَّوَى مَرَوَعًا
مُرْتَحِلًا كَرُّهَا عَنِ الأَحْبَابِ ، أَوْ مُودَعًا
تُرَى اللَّيَالِي تَنْدَرْتُ أَلَّا تُرَى يَوْمًا مَعًا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أبو المعالي عبدُ العزيز بنُ الحسين المعروف بابن
الْحَبَّابِ^(٢) ، رحمه الله ، قد مدَّحَ الملكَ الصَّالحَ بقصيدةٍ ، أوَّلها :
أرَأَيْتَ بَيْنَ معاطِفِ الأَجْرَاعِ وَمَضَانَ ذاكِ البَارِقِ اللَّمَّاعِ
فَنَفَّذَ الملكُ الصَّالحُ إليه نُسخَتَها ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَها بقصيدةٍ على
وزنها ، وقافيتها ، فعارِضَها بهذه القصيدة وأوَّلها :

ما أَنْكُرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَماعِي شوقٌ دَعَا ، أَفلا أُجيبُ الدَّاعِي !
أُجيبُ دَاعِي الحَرْبِ فِي غَمراتِها وَيَصُدُّ عَنِ الغَرَامِ سَماعِي !

(١) يزع : يدفع . وذلك مجزيت للنبي صدره : أهل الحفيظة إلا أن تجرهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والنكت العصرية (ابن الحباب) .

هِيَات ، مَا قَى لِأَوَّلِ سَلْوَةٍ عَرَّضَتْ ، وَلَا نَاهَى النَّهَى بِمَطَاعِ
أَفْدَى الدِّيَارِ ، وَسَايَنِيهَا ، لِمَتِّمْ لَهْمُ الْأَحْبَةِ ، وَالرِّبَاعِ رِبَاعِي
سَلَبَنِي الْأَيَّامُ نِعْمَةً تُرِيهِمْ وَمَوَاهِبُ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِجَاعِ
فَزَعْتُ^(١) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ حَتَّى الْقَاءِ تَشْوِيقِي وَزَاعِي
أُودِعْتُ عَهْدَهُمْ عَلَى شَحَطِ النَّوَى قَلْبًا لَدَيْهِ الْعَهْدُ غَيْرُ مَضَاعِ
قَل لِّوَانِمِ : لَسْتُ بِالرَّاعِي الْهَوَى إِنْ مَرَّ لَوْمُكُمْ بِسَمْعِ وَاعِ
كُفُّوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أَبْنَاءِ الْهَوَى مُسْتَعَذِبُ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ
أَيْنَ السُّلُوِّ مِنَ الْمَرْوَعِ دَهْرَهُ بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعِ !
هُوَ وَالْأَحْبَةُ ، كَالْأَصَائِلِ وَالضُّعَا لَا يَحْظِيَانِ بِسَاعَةٍ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(١٦٣)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاكِ ، دَعُهُ ، فَقَلَّمَا يُصْعِقِي إِلَى نُصْحِ وَوَعِظِ بَالِغِ
تَلَحَّى الْحَبِّ ، وَقَلْبُهُ مِلَّانٌ مِنْ حَسْرَاتِهِ ، عَيْبًا ، بِقَلْبِ فَارِغِ
دَعِ لَوْمَهُ ، فَكَفَاهُ تَعْدِيبُ الْهَوَى وَاسْتَتِيقِ عَافِيَةَ النَّعِيمِ السَّابِغِ

قافية الفاء

(١٦٤)

وقال :

اسِيرٌ نَحْوِ بِلَادٍ لَا أُسْرِبُهَا إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هَيْجَتُ أُسْنِي
تَطُولُ أَرْضِي ، إِذَا يَمَمْتُ سَاحَتَهَا بَعْضًا لَهَا ، ثُمَّ تُطَوِي عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(١) بزغ عنه : انتهى عنه . وزرع إليه : اشتاق .

(١٦٥)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاقِ ، تَعْنِيْفُ الْمَشْوِقِ الصَّبِّ عُنْفُ
انظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجَفْنِ لَا يَحْفُ
وَسَقَامِ جَسْمِ كُلِّ سَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَسْفُ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ فَلَلِكِرَا مِ عَلَى أُولَى الضَّرَاءِ عَطْفُ

(١٦٦)

وقال ، وكان يلازمه بنصبيين خياط اسمه مهدي ، يُحِطُ ثياباً للغلمان
ولا يزال يحدثه حديث معاشه ومكسبه :

أَحْبَابَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْحَفَا
فَأِنِّي أَرَى النَّوَى مِنْ الصُّدُودِ أَتْلَفَا
سَتَّتِ الْأَيَّامُ ظُلْمًا شَمَلْنَا الْمُؤْتَلِفَا
وَكَدَّرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
وَأَوْقَفْتَنِي بَعْدَكُمْ مِنْ النَّوَى عَلَى شَفَا^(١)
حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَنَى
وَصَارَ بَعْدَ الْيَبِينِ نَدَى مَانِي مَهْدَى ، وَكَفَى
كَأَنَّيْ اعْتَصَمْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ الصَّدَقَا

(١) يريد : على شفا الهلاك .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهمُ الرَّدَّ ، إنَّ صَدُوا ، وإنَّ صَدَفُوا^(١) لا تُرَدُّ شَافِعًا إِلَّا هَوَاكَ لَمْ
بِه دَنَوْتَ ، وإِخْلَاصُ الهَوَى نَسَبٌ رأى الحسودُ تَدَانِي وَدَنَا ، فَسَعَى
وَمَا البَعِيدُ الَّذِي تَنَأَى الدِيَارُ بِهِ أجيْرَةَ القلبِ ، وَالْفُسْطَاطُ دَارُهُمْ
أَذْنَى التَّدَانِي الهَوَى ، وَالدَّارُ نَازِحَةٌ فَارَقْتُمْ مَكْرَهًا ، وَالقَلْبُ يُخْبِرُنِي
وَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِالدُّنْيَا غُنَيْتُ ، وَهَلْ وَلَسْتُ أَنْكُرُ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ
كَمْ فَاجَأَتْنِي اللَّيَالِي بِالخَطُوبِ ، فَمَا وَاسْتَرْجَعْتَ مَا أَعَارَتْ : مِنْ مَوَاهِبِهَا
وَلَا أَسِفْتُ لِأَمْرٍ فَاتٍ مَطْلَبُهُ

إِنَّ الكَرَامَ إِذَا اسْتَعَطَفْتَهُمْ غَطَفُوا
يَكْفِيكَ مَا اخْتَبَرُوا مِنْهُ ، وَمَا كَشَفُوا
كَمَا نَأَيْتَ ، وَإِفْرَاطُ الهَوَى تَلَفٌ
حَتَّى غَدَتْ بَيْنَ دَارَيْنَا نَوَى قُدْفُ
بَلْ مَنْ تَدَانَى ، وَعَنهُ القَلْبُ مَنْصَرَفٌ
لَمْ تُصِيبِ الدَّارُ ، لَكِنْ أَصِيبِ الكَلْفُ^(٢)
وَأَبْعَدُ البُعْدِ بَيْنَ الجِيْرَةِ الشَّنْفُ^(٣)
أَنْ لَيْسَ لِي يَوْضٌ مِنْكُمْ ، وَلَا خَلْفُ
يَعُوْضُنِي مِنْ نَفِيسِ الجَوْهَرِ الصَّدْفُ
كُلُّ الوَرَى لِزَايَا دَهْرِهِمْ هَدْفُ
رَأَتْ فُوَادِي مِنْ رَوَاعِيهَا يَجِفُ
فَا هَفَايَ عَلَى آثَارِهِ اللَّهْفُ^(٤)
لَكِنْ لُفْرَقَةٌ مِنْ فَارَقْتَهُ الأَسْفُ^(٥)

(١) صدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصعبت دارهم : دنت . والكلف : شدة الحب .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكر له .

(٤) اللهف : الحزن والتحسر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ ص ١٧٩

(١٦٨)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعْتَاضٌ ، ولا خَلْفٌ فكَيْفَ يَصْبِرُ عَنْهُمْ قَلْبُكَ الْكَلْفُ
إِنْ جَارَ صَرْفُ اللَّيْلِ فِي فِرَاقِهِمْ فليس عَنْهُمْ ، على الْحَالَاتِ ، مُنْصَرَفُ
هُمُ الْهُوَى ، إِنْ تَنَاءَوا عَنْكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ الْمُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوُدِّ أَوْ صَدَفُوا^(١)
لَا تَعْتَدِرِ بِالنَّوَى ، إِنْ الْهُوَى أَبَدًا سِيَّانِ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالنَّوَى الْقُدْفُ
فَالشَّوْقُ تُطْوِي لَهُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ ، كَمَا تُطْوِي إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
جَاهِزٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ اللَّائِمِينَ ، وَبِحُجِّهِمْ ؛ إِنْ كَثَمَانَ الْهُوَى تَلَفُ
فَكَاتِمُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَمْدٍ فَبِنَهْ لِإِصَابَاتِ ارْتَدَى هَدَفُ
كَسَاتِرِ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، مُحْرَقُهُ يَوْمًا وَتَنْكَشِفُ
هَلْ يَحْتَجِي الْحُبُّ ، أَوْ يُغْنِي الْجُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهُوَى أَجْفَانُكَ الذَّرْفُ
كَمْ مِنْ هَوَىٍّ لِلْغَالِي فِيهِ رَتْبَةٌ مَنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرْفُ
وَبِحِ الْمِفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَازِرُهُ وَلَا تَسْتُدُّ شَمْلِ الْحَى يَأْتَلِفُ
يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغْفًا وَقَلْبًا يَتَلَاقَى الْيَأْسُ وَالشَّغْفُ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ شَوْقِهِ ، وَارَى أَنْ سَوْفَ يَنْهَارُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ الْجُرْفُ
يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَمُوا^(٢) بَيْنِهِمْ ، وَعَنِ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
تَقْدِيمِكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْضَى لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(٣)
حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وَحَشًّا لِلْوَجْدِ تَرْتَجِفُ

(١) صدف : أعرض . (٢) بكروا : يرحوا . (٣) الدنف : المريض .

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَالِي يَرِقْ إِذَا شَكُوتُ بَيْتِي ، أَوْ أَرْدَانِي اللَّهْفُ
أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ نِقَّةً بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالتَّنْفِيزِ مُعْتَرِفُ
فَارَقْتُهُمْ ، وَهُمْ عَصُرُ الشَّبَابِ ، وَمَا مِنَ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصْرِهِ خَلْفُ
وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ مَنِي هَوَى بِسُوَيْدَا الْقَلْبِ مُلْتَحِفُ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ أَعْتَقُوا لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وُدِّنَا مَا رَفَقُوا^(٢)
مَلَكْتُهُمْ رِقِّي ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى فَأَبَى اعْتِسَافُ^(٣) جَمَاهِمُ أَنْ يَرْفُقُوا
لَهَجُوا بِهِجْرِي فِي الدُّنُو ، كَانْتَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ
أَمْسِيْعِي بِاللَّحْظِ خَوْفَ رَقِيْبِهِ وَالْدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى فَالآنَ لَسْتُ مِنَ التَّنْفَرِقِ أَفْرُقُ
هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالَنِي مِنْ صَرْفِهَا مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلِكَ أَشْفَقُ

ومنها :

وَيَهْجُنِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابَتِي وَرِقَاءُ مَا دَرَبَهَا قَضِيبُ مُورِقُ
عَجَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَيْنِ ، وَلَمْ يَهْجُ شَوْقُ الْقُلُوبِ كَأَعْجَمِي يَنْطِقُ
بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ وَدَمْعُهَا حُبْسَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٣ .

(٢) رَقَى : كَذَرَ .

(٣) الاعتساف : الظلم .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَبِّكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّكَابُ بِهِ ، وَيَبِيدُ سَمَلَقُ^(١)
 مَلَّ السَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَعَرَسُوا وَالشَّوْقُ يُوَضِعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعِنُّ^(٢)
 قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطَى ، وَحَثَّهَا أَشْوَأَهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
 بَارَتْ مَطَارِحَ لِحْظَهَا ، فَيَخَالُهَا الرَّانِي ، تَسَابِقَ لِحْظَهَا وَالْأَسْوَقُ^(٣)
 تَشْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِينَهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشْوَقُ
 مَعْقُولَةٌ بِيَدِ الْغَرَامِ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفَنِّدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُوقُ
 مَنِيَّتَ بِنَجْلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَجَشَّمَتْ مَا لَا تُطْلِقُ الْأَيْتُقُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا تَلْبُ ، كَمْ يَسْتَحْفُكُ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
 أَكْثَلُ هَذَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجْدِي عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفَرْقُ
 أَيْنَ تَصُونُ الْأَسْرَارَ فَيْكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فَيْكَ وَالْحُرْقُ
 لَكَ النَّاسِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ الدَّهْرُ بِشَمَلِ الْجَمِيعِ ، فَافْتَرَقُوا
 مَا أَنْتَ بَدَعٌ فِي سُخْطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى الدَّهْرِ سَاخِطٌ حَتَّى
 دَعَّ ذَا ، فَفِيهِ عَن لَوْمِنَا صَمٌّ وَهُوَ بِنَا - مَا عَلِمْتَهُ - عُقُقُ^(٦)

(١) سملق : قاع مصفف . والمهمه : المفازة البعيدة . ومتقاذف : تذفف السائر بها من مكان إلى آخر .

(٢) أوضعت الناقة : أمرعت في سيرها . وأعنت : أسرع .

(٣) الأسوق : جمع ساق .

(٤) جمع ناقة . وانظر تمام القصيدة ص ١٢٧ .

(٥) الخرق بالضم وبالتحرريك : ضد الرق ، والأيمن الرجل العمل والتصرف في الأمور ، والحقق .

(٦) عقى : ضد بر ، فهو عاقق . وعقق وعقق محركة وبضمتين .

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ قَلَقِي
هَنَّاكَ بَرُّكَ مِنْ دَائِي ، وَمَنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنْ الْحَبَّ مَوْرُدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي ، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى ، لَاهَوَى الْقَيْسِينَ ، ^(١) إِنَّهُمَا
فَإِنْ بَقِيَتْ ، وَبِي مَابِي ، فَقُلْ : رَجُلٌ
وَإِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرِيحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِبَارِي عِنْدَ نَائِبَةٍ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْفِرَاقِ ، وَمَا
فَمَا غَدَوْتُ سَمَلٍ غَيْرِ مُجْتَمِعٍ
وَلَا تَبَسَّمْتُ ، أُبَدِي لِلْعَدَا جَلْدًا
وَقَدْ غَرَضْتُ ^(٢) بَعِيشِي مِنْ مُفَارَقِي

أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الدَّفْقِ
وَنَوْمِ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي ، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ ، فَذُقِ
سَدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي ، وَفِي نُحْرِي
مِنْ مُدَّعٍ لَمْ يُعَالِجْهُ ، وَمُحْتَلِقِي
عَاشَا مَلِيًّا ، وَذَا مُرِفٍ عَلَى رَمَقِي
فِي الْمَيْتِينَ ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
فِيهَا مَنَّةٌ لِلْوَتِ فِي عُقْنِي
وَلَا فُوَادِي بِحَفَاقِي ، وَلَا قَلْبِي
مَالَا أُطِيقُ ، فِعَالِ الْقَادِرِ الْحَنِيقِ
بِفَاءِ صَبْرِي مَعَ الرَّوْعَاتِ وَالْفِرَاقِ
إِلَّا وَرَحْتُ بِهِمْ - غَيْرِ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَنِ
أَعْرَأْرُوعَ طَلَقَ الرَّاحَتَيْنِ تَقِي ^(٣)

(١) القيسان : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح .

(٢) غرض كفرح : ضمير ومل .

(٣) باقى القصيدة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفي وقلبي أدمعٌ وخفوقٌ
بكيتُ ، فاضحكتُ الوُشاةَ شباثةً كأنّي سحابٌ ، والوُشاةُ بروقُ

(١٧٣)

وقال :

ألفَ القلبِ ، وأجابَ داعيةَ النوى فبليتُ منه بهجرةٍ وفرافٍ
والصَّبُّ راحتُه البكاءُ ، ومدنأى إنسانُ عينيَ أنحأتِ آماقي
لو كنتُ أطمعُ في بقاءِ عهوده سكنتُ بلابلُ قلابي الخلفاقِ

(١٧٤)

وقال :

رفقاً بقلبِ الصَّبِّ ، رفقاً هو دونكم بالينِ يسقى
لا تحسبته يا خلى القلبِ بعد البعدِ يبقى
في زُمرةِ الشهداءِ يُحشَرُ في غدٍ ، إن ماتَ عشقاً

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أقولُ للعينِ في يومِ الفراقِ ، وقد فأضتْ بدمعٍ على الخلدَيْنِ مُستيقِ
تزوّدِي اليومَ من توديعهم نظراً ففى غَدٍ تفرغى ^(٢) للدمعِ والأرقِ ^(٣)

(١) هذه القصيدة مما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . ومساك الأبعاد ١٠ : ٥٠٣ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا العاطف في بيتين سبأ ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ ، وما رقم ١٣٧ و ١٤٦ .

(١٧٦)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ النَّائِيِ الْمُقِيمِ نَحْبَةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَهَجٍ مَعَ الْبَاسِ الْمِينِ بِذِكْرِهِ قَلَى الْحِشَا لِعِبَادِهِ خَفَاقِهِ
وَهُوَ الْحَلِيقُ بَانَ يَمُوتَ كَابَةً لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٧٧)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَا لِي إِلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَّتْ عَلَيَّ طَرِيقُهُ
فَهَلْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بَعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الْفُؤَادِ مَشُوقُهُ

(١٧٨)

وقال :

إِنْ تَقَطَّعَ الْأَيَّامُ مِنْكَ عَلائِقِي فَأَنَا الْمُوَاصِلُ بِالْوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ رِعِيهِ وَمَنْ الزَّيَارَةِ بِالْحِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ فِيهَا التَّجْمُلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأُمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلَمًا يَحْطِي الْمَفَارِقُ بِالرَّفِيقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغَيِّنُ صَمْتِي عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الْجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي الْخَافِقِ
هَنِي^(١) أَوْ كَفَفْتُ زَفَرَتِي وَمَدَامِعِي مَا حِيلَتِي ، وَشَجَا التَّجْمُلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالْحَمَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنُوحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَفْغَرْ لَهَا فَمَّ نَاطِقِ

(١) هذا البيت وما بعده اختيار الأسماء في مسالك الأبحار (١٠: ٦٠٣).

(١٧٩)

وقال :

طالَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفِتْنَا قَالَهَا قَصْرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَقَا !
كَأَنَّ الْمَاءَ سَهْلٌ حِينَ تُهْرَقُهُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْهَرَقَا
لَكِنَّ قُدْرَةَ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ^(١) عَنِ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَقَا^(٢)
يَرُدُّ شَمْلِي بَجَمْعًا ، وَقَلْبِي مَسْرُورًا ، وَيَأْبِسُ عُودِي كَاسِيَاوَرَقَا

(١٨٠)

وقال :

بِالْعُورِ أَهْلِكَ يَا بَيْتِينَ ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقِينَ ، فَأَيْنَ أَيْنَ الْمُلتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لَزِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هَوْلُ الْمُرتَقَى
كَمْ شِمْتُ بَرَقًا مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْءَهُ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَنْخَفَقَا
فَعَلَامَ أَجْزَعُ لِلْفِرَاقِ ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ أَرَأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تُرْزِمِي^(٣) وَمَ تَحْنِي يَا نَاقَ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَّتِ الْجَوَى وَالْأَشْوَاقَ
هِيَ النَّوَى ، فَمَا غَنَاءُ الْإِشْتِاقِ تَقَسَّمْتَنَا بِالشَّاتِ الْآفَاقِ
كَأَنَّهَا خَلَقٌ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدْمَى الْبِكَاءُ الْآمَاقَ
أَصْغَبَتِ الدَّارُ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقُ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقَ
كَالْبَرْقِ ، مَشْبُوبِ الضَّرَامِ خَفَاقَ

(١) في الأصل الضياء. تحريف والتصويب لانه مرهف مثبتا في هامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . (٣) أرزمت الافة : حنت على وندها .

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِيرَانَ النَّقَا هَلْ لَنَا بَعْدَ اقْتِرَاقٍ مُلْتَقٍ
عَانَتْنَا^(١) الدَّهْرُ ، فَأَضْحَى شَمْلَنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقًا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدَّ صَفِيرِ الْعَيْشِ طَرَقًا رَنَقًا^(٢)
كُلَّ شَيْءٍ غَيْرْتِ مَنَى النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالْحُرْقَا
حَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، فَآلَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغْبِطُ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

وقال :

أَشْتَاكُمُ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَتَسَوَّقِي
فَتَى أَفِيقٌ ، وَبَعْدَكُمْ يُذَكِّي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ نَلْتَقِي؟!

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَايَ "رُويَقَةَ" ، إِنِّي إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزِّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَلْتَدُّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "رُويَقَةُ" - رَوْتُقُ
إِذَا بَرَزْتَ بَيْنَ النَّسَاءِ حَبِيبَتَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْرِقُ
تُنَازِعُهُمْ نَزْرًا عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَتُعْرَضُ عَنِ لَمَوِ الْحَدَثِ وَتُطْرُقُ

(١) عانا : حسنا . (٢) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبتولت فيه كالملحوق . والرتق : الكدر .

(٣) رقا الدمع : جف .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال^(١) :

نَافَقَتْ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَاحِكُ جَدَلُ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي كَيْبُ ، مُكَمِّدُ ، بَاكُ
وَرَاحَةُ الْقَلْبِ فِي الشَّكْوَى ، وَلَذَّتْهَا لَوْ أَمَكَنْتَ ، لَا تُسَاوِي ذَلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَّ كَمَدًا عَلَيَّ مَنْ غَبَّتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِي بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَقِي الْإِبْدَالَ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَّتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعُدْدِ
زَفْرَاتُهُ نَمَّتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بِجَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدَّنُوِّ تَصْبِرِي وَأَنِّي الْفِرَاقُ فَبِزْ حُسْنِ تَجْمَلِ
فَالْعَمْرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفِ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آتِيٍّ مُسْتَقْبَلِ

(١) هذان البيتان رويًا لأسامة في معجم الأدباء : ٥ : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر : ٥ : ١٧٣ .

وقال :

نَفْسِي الفداء لمن قَبَلْتُهُ عَجَلًا واليُنْ يَعجِبُ من وَجِدِي ومن بَحَلِي
فقالَ عَنِّي فِيهِ ، ثُمَّ عَرَضَ لِي خَدًا ، بَحَرَى فِيهِ ماءُ الحَسَنِ والمَجَلِي
فأخْضَلْت أدمِي توريدَ وَجْتِهِ فزادَ إِسْراقَ ذاكَ الوردِ بِالْبَلِيلِ
فارتاعَ من حَرِّ أنْفاسِي ، وَحُرْقَةِ أَحْسَنِ شَانِي ، وَهَيَّ فَاهُ العَذْبَ بِالْقَبِيلِ
ورأهَ ما رَأَى من رَوْعِي ؛ فَبَكَى وقالَ : لا كانَ ذا توديعَ مُرْتَحِلِ

وقال :

وَنازِحَ ، فِي قُوادِي من هِوَاهُ صَدِي^(١) لم يروِ غلته بِالْعَلِّ والنَّهْلِ^(٢)
فِي فِيهِ ما فِي جِنانِ الخُلْدِ من دُرِّرٍ ومن أَقْاحِ ، وَمِن نَحْرِ ، وَمِن عَسَلِ
لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الِيبْنَ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ النَّوَى قَلْبِي من القُبَلِ

بِنَفْسِي عَدُولُ ، لَأَمَ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بذكرِكُمْ رَوْحَ الحِياَةِ عَدُولُ
لَحِي ناصِحًا فِيكُمْ ، فَأَذَكِي صَبَابِي وتُذَكِي الرِّياحَ النَّارَ ، وَهِيَ بَلِيلُ
أُسُوفُ^(٣) صَعِيدِ الأَرْضِ ، إِذْ وافقَ اسْمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الحِيبِ نُزُولُ
وأغْدُو على أُسْوانَ^(٤) أُسْوانَ فِي الحِشا

(١) الصدى : العطش . (٢) العل : الشرب بعد الشرب . والنيل : أول الشرب .

(٣) السوف : الشم .

(٤) أسوان ، بضم الهزة : مدينة سررة بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استجهلَكَ معامٌ ورُسومٌ إلا ليعلنَ سِرَكَ المكتومِ!
أو بعدَ ناهيةِ المشيبِ جهالةٌ يأبى الوقارُ عليكِ والتعلِيمِ^(١)
مأجرتَ في داجي الشبابِ، فكيفَ إذ وصحّتَ بفودكِ للشيبِ نُجومُ

ومنها :

أعواذي، كُفوا، فليسِ بِمُسمي نضحٌ، وبعضُ التاصحينَ ملومُ
وقرتَ دواعيَ اليبينِ سَميَ بعدهمُ فلنَ يعفُفُ ناصحٌ ويلومُ!
لي كلَّ يومٍ روعةٌ بمودعِ ونوى؛ فهَمي طارفٌ وقديمُ
وعلى الرُكائبِ ماطلُ بديوننا عسرُ القضاءِ مع اليسارِ، ظلومُ
متبسمٌ عن ذى غروبٍ^(٢) واضحِ يعزى إليه اللؤلؤُ المنظومُ
في وجهه ماءُ الملائحةِ حائرُ فقلوبنا الظمأى عليه تحومُ
أتبعتمُ قرحى الجفونِ كليلةً تُصحي بدمي تارةً وتغيمُ
مَسْمولةً^(٣) بمدامجِ حالتِ دما فكأئما إنسانها مكلومُ
يا نازحاً ضنَّ الزمانُ بقربه وجدى عليكِ، وإن رحلتِ، مُقيمُ

(١) حله تخلياً : جعله طلياً أو امره بالحلم .

(٢) غرب التيم : كثرة ريقه وباله وجهه غروب ، وغروب الألسان مانع ريقها وقيل أطرافها وحدتها وباطنها .

(٣) سمل عيه : قفاها .

لى مقلّة قَدَيْتَ بِيْعِدَكَ ، بَرَّهَا فَبِضُ الدَّمْرِجِ ، وَعَقَّهَا التَّهْوِيمُ (١)
ساوى بِعَادِكَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا كَلُّ ، كَمَا قَضَتْ الِهْمُومُ ، بِيَمِ
كَمْ أَنْشَأَتْ ذَكَرَكَ بَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ زَفْرَةٍ قَلْبِي بِهَا مَوْسُومُ
نَفْسُ يَقُومُ لَهُ اِعْوَجَاجُ أَضَالِي وَيَضِيْقُ عَنْ نَزْوَاتِهِ الِخِيُومُ (٢)
مَا أَخْطَأْتُ فَيْكَ النَّوَى عَادَاتِهَا لَكِنَّ تَقْرِيفَ (٣) الكَاوِمِ أَلِيمُ

(١٩٢)

وقال :

إِنْ لَمْ تُطْلِقًا يَوْمَ رَامَةٍ (٤) أَنْ تُسْعِدَا ، فَذَرَا المَلَامَةَ
عَقَّتْمَانِي أَنْ مَرَزْتُ بِمَنْزِلِ أَقْضَى ذِمَامَةَ
هُوَ مَنْزِلُ الأَحْبَابِ ، لَمْ يَدْعِ إِلَيَّ إِلَّا رَامَةَ
وَعَلَى حَقٍّ أَنْ تُصَا فَحُ سُبُّ أَجْفَانِي رَغَامَةَ
وَأَيْمُكَ ، لِأُرْوِيَنَّ ، وَلَوْ سَحَّ دَمِ أُوَامَةٍ (٥)
مَا الدَّمْعُ لِالأَطْلَالِ لَكِنْ أَهْلُهَا أَجْرُوا سِجَامَةَ (٦)
فِيلَا مَ لَوْمُكَ ! أُنْفَى رَغْبِي العُهُودِ عَلَى أَمَةٍ (٧)
وَاهَا لِقَلْبِي لَا يَقُو زُبْسَلُوةً ، تَشْفِي هِيَامَةَ
غَرَضًا لَيْبِنَ لَا يَزَا لُ مَقْرَطَسًا (٨) فِيهِ سِهَامَةَ
أَبْدًا يَدُ الأَيَّامِ تَقْرِيفُ (٩) كَلَّمَا ائْتَمَلْتِ كَلَامَةَ

(١) التهويم : هو الرأس من الناس . (٢) الخيزوم : الصدر .

(٣) القرف : النكس في المرض . (٤) رامة : موضع بالبادية . (٥) الأوام : شدة العطش

(٦) سيم الدمع : ما : سال ليلاً أو كثيراً . (٧) الأمة : بضم الميم : العيب قال الشاعر :

مهلا أبيت العن مو لا إن نياقت آه

(٨) في القاموس : القراطيس : كل آدم ينصب للضال . وروى قراطيس أصحاب القراطيس .

(٩) كلام : جمع كلم ، وهو الجرح . ووبان القصيدة في ص ١٤١ .

وقال :

إن لم أُنجِ بهوَاك قُلْنَ لَوَائِمِي : ذَا مُبِطَلٍ ، مَا السَّكْمُ شِيمَةٌ هَائِمِ
 وَإِنْ أَدْعَى خَوْفَ الوُشَاةِ ، فَمَا الهَوَى لِلخَوْفِ مُذْ خُلِقَ الهَوَى بِمَلَانِمِ
 لَا تَكْذِبَنَّ ، فَمَا لِأَبْنَاءِ الهَوَى رَأَى يَحْذَرُهُمْ عَوَاقِبَ نَادِمِ
 شَغَلَتْ قُلُوبَهُمْ بَرُوعَاتِ النَّوَى وَالهَجْرَ عَنْ خَوْفِ الزَّمَانِ العَارِمِ^(١)
 قَرَأَهُمْ صَوْرًا كَطَلٍّ مَائِلِ^(٢) لَا يَرَعَوُونَ لِزَاجِرٍ أَوْ لَانِمِ
 وَهَاهُ لِأَيَّامِ الحَمَى ، لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسْرُ بِدَائِمِ
 إِذْ أُجْتَنِبَ القَمَرُ المُرْدَى بِالدُّبْحِي يَجْلُو الشُّمُوسَ عَلَى القَضِيبِ النَّاعِمِ
 مُكْرَى بِنَاطِرِهِ ، وَرَاجَ رُضَايِهِ وَكُتُوسِهِ ، طَوَلَ الزَّمَانِ ، مَلَايِمِ
 مَا غَالَ عَقْلِي [قَطًّا]^(٣) سَحَرُ جُفُونِهِ إِلَّا جَعَلْتُ دُؤَابَيْهِ تَمَائِمِي
 ثُمَّ افْتَقْنَا بَغْتَةً ، فَإِذَا الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاهَةً حَالِمِ

وقال :

أَحِبَابَنَا ، مُذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِاهْتِمِّ
 وَحَمَلْتُ ثِقَلَ الشُّوقِ عَنْكُمْ ، وَإِنِّي لِأَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسُّقْمِ
 كَأَنِّي عَوَدٌ^(٤) أَوْ هُنَّ الثَّقَلُ صَحْبَهُ فَرَدُّوا عَلَيَّ ، ثِقَلُهُنَّ عَلَى رَغَمِ

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَأَوُوا ، وَالقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٥)
 جَهَلْتُ أَنْسِي بِكُمْ ، وَالدَّارُ دَانِيَةٌ حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمِي بِيَدِي النَّدَمُ

(١) عزم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكملة لسقط بالأصل يقتضيا الوزن .

(٤) العود : المصنوع من الإبل والشاة . (٥) مجازية تشبيحية صدره : " يا من يعز علينا أن نقارهم " .

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لَبِيْنَ مِنْ فَارَقْتُهُ وصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَشَا يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرِنُّ مِنْ جَزَعٌ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَكْظِمُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَدِّ الْقَدِيمِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشُّوقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْضَةٍ^(٢) تَتَرَمُّ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةً لَمْ تَنْضُ لَهَا دُمُوعٌ ، فِقَاضَتْ أَدْمِي ، مَرَّجُهَا دَمٌ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خَنَسَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا فِئْتِي فِي الْبَكَاءِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِمَحْرَبَتِ^(٣) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَى ، وَلَمْ يَطُلْ لَيْلُ الْيَامِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُرَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ
كَانِي السَّهْمُ يُفْرَدُ ، بِاعْتِمَادِ لِنَزْعِ الْقَوْسِ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلْطِيَةَ^(٤) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَعْرَ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَعْرَ ، وَإِنَّمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلٌ أَشْمٌ بِهِمْ^(٥)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَنَّمَا جُونُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهِ جُنُومٌ

(١) هو متهم بن نورية الذي حزن حزنا فاق تلاح على أخيه مالك ورناء رناء مؤثرا .

(٢) النبضة : مجتمع الشجر في مفيض ماء . (٣) حصن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناخم الشام . (٥) اليميم : الأسود .

ما زال مَطْرَحَ نَاطِرِي، حتى إذا
لَا حَتَّ بَفَوْدِي لِلسَّيْبِ مُجُومُ
فَارَقْتُهُ ، وَنَابِتُ عَنْهُ ، وَمَانَايُ
وَجِدِي بِهِ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْكَرِيمُ
فَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ بِسَهْلِهِ
وَبِهِمْ ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَايُ ، أَهْمِي
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَأَتَمَّا
بِي الْمَوْمُ^(١) أَوْلَعِبَتْ بِي الْخَرْطُومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

ما يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبِ مُعْنَى
ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالرَّوَصَلَ ، لَحْنًا
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ
وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجْنَا
كَلِمًا شَاهِدَ شَمَلًا جَامِعًا
طَارَ شَوْقًا ، وَهَفَا وَجْدًا ، وَأَنَا
عَاضُهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى
وَمِنَ الْغَيْبَةِ بِالْأَحْبَابِ حُزْنَا
فَرَقَى مِنْ رَحْمَةٍ عَادِلُهُ
وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا تَمَنَّى
وَيَجَهُ مِنْ زَفْرَةٍ تَعْنَادُهُ
وَهُمُومِ جَمَّةٍ ، تَطْرُقُ وَهْنَا^(٣)
بِازْمَانَ الْقُرْبِ ، سُقِيًّا لَكَ ، مِنْ
زَمَنِ ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أُغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَطِيلِ زَائِلِ
وَالْمَسْرَاتُ تَلَاثِي ، ثُمَّ تَفَنَى
سَاءَنَا مَا سَرَّنَا مِنْ عَيْشِنَا
بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَايُ وَمَجْنَى

(١) الموم : الحمى .

(٢) الخرطوم : الخمر .

(٣) الون : الطائفة من الليل ، وقيل نحو من نصفه .

فأقترفنا بعد ما كُنَّا صَدَى
وكذا الأيام: من عاداتها
خُلِقَ لِلدَّهْرِ: ما أُولَى امرأً
وكذا البَاخِلُ: ما أَسَدَى يَدًا
قُلْ لِأَحْبَابٍ نَأَتْ دَارُهُمْ
سَاءَ ظَنِّي بِأَصْطِبَارِي بَعْدَكُمْ
لَأُبَيِّنَنَّ الْجَوَى مِنْ كَبْدِي
وَأُذِيلَنَّ^(٣) دُمُوعًا لَو رَأَتْ
أَسْفًا ، لا بِلْ حِيَاءِ أَنِّي
لَأَصْفَا لِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَعَجِيبٌ ، وَالنَّانِي دُونَكُمْ
حَيْثُ كُنْتُمْ فِقْوَادِي دَارَكُمْ

إِنْ دَعَوْنَا ، وَكَفَانَا قَوْلُ : كُنَّا
أَنَّهَا تُعَقِبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزْنَا
نِعْمَةٌ مِنْهُ ، فَمَلَأَهُ^(١) ، وَهَنَا
قَطُّ ، إِلَّا كَدَّرَ الْمَنَّ ، وَمَنَّا^(٢)
وَعَلَى قُرْبِهِمْ أَفْرَعُ سِنًا :
وَلَقَدْ كُنْتُ بِهِ أَحْسَنُ ظَنًّا
مَوْضِعًا لَمْ يُبْتَدَلْ عَزَا وَضْنَا
فَيَضَنَّ الْمَزْنَ^(٤) خَالَتِهِنَّ مِرْنَا
بَعْدَكُمْ بَاقٍ ، وَإِنْ أَصْبَحْتُ مُضْنِي
مَا تَمَادَتْ مُدَّةُ الْبَيْنِ وَعِشْنَا
أَنْكُمْ مِنِّي إِلَى قَلْبِي أَدْنَى
وَعَلَى أَشْبَاحِكُمْ أَغْمِضُ جَفْنَا

(٢٠١)

وقال :

يَانَاقُ ، شَطَّتَ دَارُهُمْ ، حَفِي
مَا أَرَزَمْتُ^(٥) وَهَنَا لَفَقْدِ الْفَهَا
تَذَكَّرْتُ الْأَفَهَا ، فَهَيَّجَتْ
أَبْكَى اسْتِيَاقًا ، وَتَحْنٌ وَحِشَةٌ

وَأَعْلَنِي الْوَجْدَ الَّذِي تُحْنِي
إِلَّا رَمَتْ جَوَارِحِي بَوَهْنِ^(٦)
لَا عَجَّ شَوْقِي ، وَذَكَرْتُ خَدْنِي
فَقَدْ شَجَانِي حُزْنُهَا وَحُزْنِي

(١) ملاك الله حبيك : تمتك به .

(٢) المَنُ : الإِنْعَامُ . وَمَنْ عَلَيْهِ : عَدَدُهُ مَا فَعَلَهُ مِنَ الصَّنَاعِ .

(٣) أَذَالَ الشَّيْءَ : أَهَانَهُ . (٤) الْمَزْنَ : السَّحَابُ ، أَوْ أَيْضُهُ .

(٥) أَرَزَمْتُ النَّاقَةَ : حَتَّتْ عَلَى وَلَدِهَا . (٦) الْوَهْنُ : الضَّعْفُ .

حَسْبُكَ قَد طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَسَى
وَلَا تَمَلِّي مِنْ مَسِيرٍ وَسُرَى
حَتَّى تُتَابِحِي تَحْتَ بَانَاتِ الْحَمَى
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ، وَبَانَهُ
شَطُّوا. وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
لَمْ يُدَكِّرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
وَهُمْ أَعَزُّ إِنْ نَأَوْا، وَإِنْ دَنَوْا
نَفْسِي فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
هُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
ضَنًّا بِهِمْ عَنِ أَنْ يَطُورَ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْيَيْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ يَجَابُ دُجَى
حُبًّا بَحْرِي مَجْرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَمِي
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَضَرَ الصَّبَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفَتْ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزِمُ كَفَى قُوَادًا مَالَهُ
لَكِنِّي أَدْعُو لَجَمْعِ شَمَلِنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزَنِ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
وَأَمَّا نَأَيْتُ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَهُمْ إِلَى قَلْبِي لُدْنِي مِنِّي
بِالْدَمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: قَطْنِي^(٢)
مِمَّا حَرَى حَلْبِي^(٣)، وَضَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَشْمَانِهِمْ وَأَكْرَبِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَعْنِي
بِمَسْمُوحٍ، وَهُمْ مَكَانُ الضَّنِّ
فَوَدَى عَنِ الصَّبِجِ، وَيَذْوِي غُضْنِي
أَصَمَّ عَنِ كُلِّ نَصِيجِ أُذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْعِي غَنِي
وَعَادَتْ قَدْ أَدَمَتْ بِنَانِي سِنِي
مِنْ بَعْدِهِمْ رَوْحُ سَوَى التَّمَمِي
مُسِيرِ الشَّهْبِ، وَجَرَى الشُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال (٤) :

أَعْلَمْتُ مَا قُلْتُ بِهِ أَجْفَانَهُ
نَمَّتْ عَلَى حَسْرَاتِهِ زَقْرَاتُهُ
سَمَّتْ، فَبَا حَتْ بِالْهَوَى أَشْبَانَهُ
وَكَذَا يَنْمُ عَلَى الضَّرَامِ دُخَانَهُ

(١) قطنى : يكفى . (٢) الخلب : لحمة رقيقة تحمل بين الأضلاع . (٣) طار يطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المسالك لأمانة من هذه القصيدة الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والعاشر والحادس

وأخو الهوى مثل الكتاب: دليلُ ذا
 كَـ عِيَانِهِ ، ودليلُ ذَا عُنْوَانِهِ
 تَحَكَّى البروقُ فَوَادِهِ : فَضْرَامُهَا
 أَشْوَابُهُ ، وَخُفُوقُهَا خَفَقَانُهُ
 ضَمِنَ الهوى أَلَّا يَزَالَ أَخَا ضَنْيَ
 وَصَمَانَةَ^(١) ، قَوَفَى بِذَاكَ ضَمَانَهُ
 يَا مُدْعَى السُّلْوَانِ عَنْ أَحْبَابِهِ
 أَيْنَ السُّلُوبِ ، وَأَيْنَ مِنْكَ أُوَانُهُ
 شَطَّتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَفَا بِكَ الشَّـ
 قُوقُ المَبْرُحِ ، وَالتَّظَّتْ نِيرَانُهُ
 وَأَبَانَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَا عَسَى
 بَكَ فَاعِلُ هَذَا الهوى وَبِيَانُهُ
 كَأَمَّتْ وَاشِيكَ الهوى قَبْلَ النَّوَى
 فَبَدَّالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِتْمَانُهُ
 وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ
 وَبِقَدْرِ طَاعَتِكَ الهوى عَصِيَانُهُ
 فَإِذَا تَبَادَرَ مِنْ جُفُونِكَ خِلْتَهُ
 نَقْدًا وَهِيَ مَرَجَانُهُ وَجَمَانُهُ
 لَوْ أَيْقَنَ الحَقُّ الحَسْرَةَ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى لَحَلَّتْ رَحْمَةٌ أَضْغَانُهُ^(٢)
 بَيْنَ المَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجْرِهِمْ
 بَيْنَ طَوِيلِ بَرَحِهِ^(٣) وَزَمَانِهِ
 أَبْدَوَالَهُ مَلَلٌ^(٤) القَرِيبِ ، مَعَ النَّوَى
 وَتَحَلَّقَ الطَّيْفُ الطَّرِيقُ بِخُلَّتِهِمْ
 وَهَمُّ الصَّبَا : أَيَامُهُ مَحْبُوبَةٌ
 وَجَاهِلُهُمْ كَفَارَةٌ لِمَلَاهِمِ
 لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُمْ مَا أَضْرَمُوا
 وَجَهْلُهُمْ طَارَفُوا بِطُولِ صَدُودِهِمْ
 وَمَلَاهِمِ طَارَفِي ، وَهَمُّ إِنْسَانِهِ

(١) الضمان: المرض .

(٢) أضغان: جمع ضغن وهو الخقد .

(٣) البرح: الشدة .

(٤) في الأصل (ملك) تعزيف ولعل الصواب ما احتجنا به .

(٢٠٣)

وقال :

أهكذا أنا ، بآقي العمر مُعْتَرِبٌ نأء عن الأهل والأوطانِ والسكَنِ
لا تَسْتَقِرُّ جِيَادِي فِي مَعْرَسِهَا^(١) حَتَّى أُرَوِّعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّنِّ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ المَرُوعِ بِالنَّوَى أبدأ ، فلا وَطَنُ ، ولا خُلَّانُ
عِيدُ البَرِّيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وَإِذَا رَأَى السَّمَلَ الجَمِيعَ تَرَاخَمَتْ فِي قَلْبِهِ الأَمْوَاهُ وَالنَّيرَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ المَهْوَى دَهْرَ المَرُوعِ بِالنَّوَى شَطْرَيْنِ بَيْنَ شُؤْنِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدَّبْحِ كَالشَّمْعِ : يَنْقَطِرُ دَمْعُهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِيَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَأَ وَضَحَ الصَّبَاحُ رَأَيْتَهُ مِثْلَ الحَمَامِ يَنْوُحُ فَوْقَ غُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بجماعة ، في جفلة أهلها من الروم ، وكان بداره أولادٌ لغلام له ، مات
في الزلازل رحمه الله ، وضمَّ أولاده إليه ، وكان فيهم طفلٌ اسمه منصور ،

(١) المعرس : البيت .

الشجون : جمع شجن ، وهو ألم والحزن . والشنون : جمع شان وهو يجرى الدمع إلى العين .

وكان يألفه ، بفقلوا مع من جفَل من الأهل والحاشية إلى قلعة جعبر
ومنصور معهم :

منصور، دارك أضحت منك موحشةً قد أفقرت بعد سُكَّانٍ وجيرانِ
أضحى الذي كان منها أمس أضحكني وسرني ، هاجَ أشجاني وأبكاني
عهدتها نادياً للهو، مجتمعاً للأنس ، ملعبَ أترابٍ وولدانِ
فأصبحت ماها مما عهدتُ بها سوى صديّ ، كلما ناديتُ لبَّاني

(٢٠٧)

وقال :

وقد أفردتني الحادثاتُ ، فليس لي أنيسُ ، ولا في طارقِ الخطبِ أعوانُ
كأني من غيرِ الترابِ، نبتُ بي السيلادُ ، فالي في البسيطةِ أوطانُ
أجولُ ، كما جالت قذاةُ بمقلّةٍ وأسرى، وسارى النجمِ في الأفقِ حيرانُ

قافية الهاء

(٢٠٨)

وقال :

سلا قلبه : ما غال حسن سلوه ورداهُ في عيِّ الهوى وغلوه
وما بالله يشكو الفراق؟ وأين من قساوته شكوى الهوى وعتوه
وما خلته مهوى الهوى ومقبله ومأوى الأسي والبت عند هدوه
تنوب إليه في الصباح شجونه ويأوى إليه الهم عند هدوه

بِنَفْسِي مَنْ أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا^(١) ذُنُوهَ
فَأَذْكَرَ مَنْ لَمْ تُنْسِهَ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اشْتِيَاقًا بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَا وَيَرْتَاحُ فِي رَوْحَتِهِ وَغُدُوهَ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَنْ لِصَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ جَمَّةٌ لَهُ عَلَّلٌ^(٢) مِنْ بَرْدِهَا لَمْ يَرَوْهُ
يُغَانُ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مِنْ مُنُونِهِ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشُّوقُ نَحْرًا كَأَنَّهَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَتَاوَهُ

(٢١٠)

وقال^(٤) :

بِكَاءٍ مِثْلِي مِنْ وَشِكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرُ صَبْرِي بَعْدَ الْيَنِّ مُشْتَبَهُ
فَمَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي زَوْحٌ وَلَا رَفَهُ
أَكْثَمِ النَّاسِ أَتَجَانِي ، وَأَحْسَبُهَا تَخْفَى ، فَتُعْلِنُهَا الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنَّيَ مِنْ ذُهُولِ الْهَمِّ فِي سِنَةٍ وَنَظَرِي قَرِحُ الْأَجْفَانِ مُنْتَبَهُ
أَذْنِبْتُ ، ثُمَّ أَحَلَّتْ الذَّنْبُ مِنْ سَفَهُ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أَنْدَبُهُمْ^(٥) صَحَبْتُ نَوَاهُمْ حَيْثُمَا انْجَبُوهَا !

(١) الريا : الرج العلية .

(٢) اللل محركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباعا .

(٣) غين على قلبه غينا ؛ غشى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في نريدة القصر أيضا : ١٠٤ .

(٥) في النريدة « هلا » .

أَضْرَبِي نَاطِرٌ تَدْمِي مَحَابِرَهُ وَخَاطِرٌ، مُذْنَاوَا، حَيْرَانٌ مُنْشَدُهُ
فَمَا يَلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحٌ وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنظَرٌ نَزَهُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعْمَانَا فِي غَضَارَتِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَنَا بَلَهُ
وَعَيْشَانَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدْرٌ وَوَدْنَا لَمْ تَسُبْ إِخْلَاصَهُ الشُّبُهَهُ
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا نُسْرِبُهُ كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ (١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ ، زَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلْدِي كَمْ ذَا الْحَيْنِ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَثَوَاهُ
مَا غَابَ عَنِّي ، فَأَنْسَاهُ ، وَلَسْتُ أَرَى فِي الْخَلْقِ لِي عَوَضًا عَنْهُ ، فَأَسْأَلُهُ
قَدْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ ، وَأَحْفَظُهُ وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفْظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مِنْ فَارِقٍ أَحْبَابَهُ كَوَجَدُ مِنْ فَارِقٍ رَوْحَ الْحَيَاةِ
فَارَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِ عِنْدَهُ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ لِلْعَفَاةِ
مَنْ طَابَ لِلْجَانِي جَنَاهُ ، وَمَنْ كَفَرَ بِالْعَفْوِ ذُنُوبَ الْجَنَاهِ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدَّا غَيْرَهُ فَمَا أَرَدْنَا بِمَدِيحِ سِوَاهِ
فَنْ يُسَاوِي فَقَدْ هَذَا يُجْبُو بِ إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةِ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والصحيح من نردة القمر .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

بِأَبِي هَوَى فَارُقْتَهُ ، وَلِثَلْثِهِ لَوْ كَانَ يُوجَدُ مِثْلُهُ ، خُلِقَ الْهَوَى
حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ ، لَمْ يَحْوِ مِنْ قَتَنِ الْمَلَاخَةِ يُوسُفُ مَا قَدَّ حَوَى
فِي الْقَلْبِ مِنْهُ غُلَّةٌ ، فَلَوْ اغْتَدَى فِي مَاءِ خَدَيْهِ غَرِيْقًا ، مَا ارْتَوَى
يَلْحَى عَلَيْهِ خَلِيٌّ بِإِلِّ مَا دَرَى دَمْعَ الْغَرَامِ ، وَلَا دَرَى كَيْفَ الْجَوَى
مَنْ كَلَّفَ مَقَّتَ النَّصِيْحَةِ ، مَا لَهُ رُشْدُ الْحُبِّ ، وَلَا عَلَيْهِ إِنْ غَوَى
وَأَنَا الْمَرْوَعُ بِالنَّوَى ، لَوْ أَنْتَنِي أَحْبَبْتَهَا لِحَرَّتْ بِفُرْقَتِهَا نَوَى
فَعَلَامَ يَلْحَى اللَّائِمُونَ بِجَهْلِهِمْ مَنْ جُرْحُهُ فِي الْحُبِّ عِنْدَهُمْ شَوَى^(١)

..

(١) الشوى : الأمر المدين .

ما قاله في المكاتبات ، وما ينخرطُ في سلكها من المعاتبات

قافية الهمزة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم
الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد ، وكان ساراً إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز
سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى قليلي وصبحي في الظلام سواء
ففي أسودى قلبي وطرفي محله وإن بعدت أرض بنا وسما
ترحل غرباً ، وارتحلت مشرقاً وخلف ارتحال الطاعنين عناء
إذا زادنا الترحال بعداً ، فما الذي يقربنا إن كان ثم لقاء
بلى ، إن لطف الله يجمع شملنا الش تيت ، ويذني الدار كيف يشاء

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

لم يبق لي في هواكم أرب سلوتكم والقلوب تنقلب
وضعت عني أثقال حُبكم وحامل الحب مثقل تعب
وردى قذى ودكم ، وغضى أجفاً ني عليه ، من فعلكم محب

(١) هذا الشعر من مرديات باقوت ٥ : ١٩٦ والخريدة ١ : ١٠٠ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المطلع

والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَامَ دَمَعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
إِنْ كَانَ هَذَا الْآنَ تَعَبَدَنِي الْحُبُّ، فَقَدْ أَعْتَقْتَنِي الرَّيْبُ
أَرَيْتُونِي^(١) نَهَجَ السُّلُوءِ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطَّرُقُ عَنْهُ تَشَعِبُ
أَخِينَتُكُمْ فَوْقَ مَا تَوَهَّمَهُ النَّاسُ، وَخُتْمُ أَعْضَائِهِ مَا حَسِبُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديق له :

وقد كنت أرجو أن أراك ، وبديتنا مفاوز أذناها الشناخيب^(٢) والسهب^(٣)
فلما تدانينا يأست ، وزادني تباريح شوق ضقت ذرعاً بها ، القرب

(٢١٧)

وقال^(٤) :

تبدل^(٥) ، حتى قد مللت دتابه وأعرضت عنه ، لا أريد أفترابه
إذا سقطت من مفرق المرء شعرة تأفف منها أن تمس ثيابه

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أيأنازحاً لم أحسب بعد داره وقد كان ، لو نلت المنى ، قربه حسبي
تعرضت الأخطار دوت لقائنا وصد التناي عن مواصلة الكتب
وقد صار يأتي بعد حول مجرم^(٦) كتابك مقصوراً على اللوم والعتب
فيا أنس قلبي ، لا تزدني وحشة ويا روح كربني ، لا تكن سبب الكرب

(١) الرواية في باقوت وخريدة القصر "أرضعت لي سبل السلو"

(٢) الشخوبية : رأس الجبل . والجمع شاييب .

(٣) السهب : الفلاة . (٤) ما رواه الهادي لأسماء في الخريدة .

(٥) يقال - حول مجرم كعظم : تام . (٦) في الخريدة (نجيم) .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقٍ له :

يأمن به سلوئي عن كلِّ مُفْتَقِدٍ ومن مودته أدنى من النسبِ
شكوتَ همك بي لما اشتكيتُ، فلا زلتَ الموقى من الآلامِ والثوبِ
أبلَ جسمي من أوصابه ، وأرى قلبي من الهم لا ينفكُ ذا وصبِ
وداؤه باطنٌ ، لا طبَّ يبلغه إن لم يداركه لطفٌ غيرُ مُحْتَسَبِ
وما الذي ناله من دانه عجبٌ لكن سلامته من أعجب العجَبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس الدولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أيا غائباً ، يدنيه شوقى على النوى لآنت إلى قلبي من الفكرِ أقربُ
وما غاب من أفاقه : عيبي وخاطري له مطلع من ذا ، وفي تلك مغربُ
غبطك نعمى ، فزت دوني بنيلها ونفراً ، له ذيل على السحبِ يسحبُ
جوارك من يحمى على الدهرِ جاره ويطلب منه جوده كيف يطلبُ
هو البحرُ، تروى الأرض عند مسكونه وتغرق في تياره حين يغضبُ
فمن لى لو كنت الرسولَ بآبه لتبرد رؤياه حساً تتلهبُ
وأبلغ ما أنفقت في أملي له من العمرِ عشراً ، كأنها لى متعبُ
فأرق لى فيها نسيمُ أصالي ولا راق لى فيها من الهم مشربُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستعلى على الشرق مغرب
وأني ساوي من حماه إلى حمي يرى كل خطب دونه يتذبذب
لمت، وما موتي عجيب، وقد نأت بي الدار عنه ، بل بقائي أعجب

(٢٢١)

وقال ، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاء (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رصيت بعد الديار من القرب
ولكن آيامي قضت بستائنا ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
ولو جمعنا الدار بعد تفرق لكتم من الدنيا ونعمتها حسني

فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله) ، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحب ولا أطلب العتي (١) من الخلل بالعب
ولا أرتضي بالبعد من ذي مودة وأقع منه بالرسائل والكتب
ولا سيما إن قال لي متصنعا : ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبته بلا حشمة : ما أشبه العذر بالذنب
أخلاي ، لو رمت دنوا لما أبي سرى العيس (٢) بل ركض المطهمة القب
ولكنكم بعتم وفاء بغدرة غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله ، إن يعادكم لأعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) العتي : الرضا .

(٢) العيس : الإبل البيض يخالط ياحها شفرة . والمطهمة : البارة الجمال . والقب : الخيل المرتفعة .

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عِمَاسٌ^(١) بِالْحَرْبِ
نَجِيَّ الْهُدَى مَا لَمْ يَنْلِهِ بَنُو حَرْبٍ^(٢)
مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّيِّ وَالنَّهْبِ
دِمَاءَهُمْ ، لَاحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حِزْبِ
لِمَالِكِهِ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
وَلَا لَكُمْ فِيهَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبِ
يُجَاذِرُ أَيُّ تَدْنُو الصَّحَاحُ مِنَ الْجُرْبِ
عَلِيًّا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَائِمَ الثُّرْبِ
كَأَيَّمَانَا ، لِمَا هَمَّتْ بِنْدَى سَكْبِ
تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرْبِ^(٤)
بِنَائِكُ فِي تَقْوِيْفِ أِبْرَادِهِ الْقَشْبِ
بِمِسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسْبِي
عَلَى ظَمًا ، أَشْمَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودِنَا النَّيْلُ فِي الْجَدْبِ
بِأَوْطَانِنَا أَنْتَ الْعِنَايَةَ لِلرَّبِّ
بِسُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْلَفْتَ دَرَّةَ السُّحْبِ
بِكُرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخِصْبِ
عَلَى الْوُدِّ مِنْكُمْ فِي بِعَادٍ وَفِي قُرْبِ

وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا ظَنَّنَاهُ لَمْ نَكُنْ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْغَدْرِ مِنْ بَنِي
وَهَلْ نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
غَدَا وَالْغَا^(٣) كَالْكَلْبِ ظُلْمًا وَحِزْبَهُ
وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَفَا
وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدَ مِثْلَهُ
وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ دَنْبِهِ
وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ هَبَّ نَسِيمُهَا
سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُزْنَةٌ
فَأَضْحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحُونَ صَقِيلَةً
بِأَحْسَنِ ، بِمَجْدِ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى يَزُورُنَا
أَحْبَابِنَا ، يَا طَالَ مَا كَانَ قُرْبِكُمْ
وَكُنْتُمْ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقَيْتِكُمْ
تَرَكْتُمْ مُدُودَ النَّيْلِ ، يَرُوعِي بِهَا الظَّمَا
هُوَ الْآيَةُ الْعِظْمَى الَّتِي دَلَّ حَكْمُهَا
بِحَيْثُ الْأَمَانِي لَيْسَ تُخْلِفُ سَجْبُهَا
وَمَا اعْتَضْتُمْ مِنْهُمْ غَدَاةً نَقَلْتُمْ
وَأَيُّ عَلَى مَا قَدْ عَهَدْتُمْ مُحَافِظُ

(٢) هم بنو أمية .

(١) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .

(٤) الشرب : الشاربون .

(٣) ولغ الكلب في الإماء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .

أَحْبُّ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعْدُّكُمْ بلا مَرِيَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لِالصَّحْبِ
أَسَامَةٌ^(١) لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ أُسَامَةَ ومَرَهْفٌ^(٢) فِيهِ هَزَّةٌ الْمَرْهِفِ الْعَضْبِ^(٣)
فَإِنْ تَبُعِدُوا عَنَّا ، فَنِي حِفْظِ رَبِّكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فَنِي الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ

(٢٢٢)

وقال :

لَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشْتَتِ شَمَانَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتَ فِي غَرْبِ
لَقَدْ عَزَّهُ تَفْرِيقِ صَادِقٍ وَدَنَا وَأَعْجَزَهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي

(٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديق له ، سأله السفارة عند بعض الأمراء ، لرجل
سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مواهْبُهُ كمنهْلُ السَّحَابِ
مُجْكَمٌ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَّفْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
فَمَا بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بعيداً عند مُنْقَطِعِ السَّرَابِ
وَعَذْرُكَ فِي قَضَائِي قَضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، فَمَا عُدْرُ الْجَوَابِ

(٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكْنُونِ قَلْبِي
لَأَرَى دُونَهُ لَسْرِي سِتْرًا فِي مُنَاجَاتِهِ وَمُضْمُونِ كُنِّي

(١) أسامة في أول البيت هو ابن منقذ ، ولفظ أسامة بعده يريد به الأسد .

(٢) هو مرهف بن أسامة .

(٣) المرهف : السيف الدقيق . والعضب : القاطع .

لو اتتني صحيفتي في حياتي قلت : خذها ، فانظر قبائح ذنبي
وهو ان جاءه كتاب طواه وطواه عني اطراحا لعنبي
وأرى ان كتبه ليس فيها غير سي ، وغير نقصي وئلي
فلهذا عذرته ، ولعمري ان عذري لمؤلم مثل ضربتي

قافية الاء

(٢٢٥)

وقال^(١) :

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، وبأست منهم فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم فوادى كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا كآني ما سمعت ولا رأيت
تجنوا لي ذنوبا ما جنتها يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ، ما أضرت غدرا كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا ، وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

قافية الشاء

(٢٢٦)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه بهاء الدولة ، أبي المغيث منقذ (رحمه الله تعالى) :
أيا منقذي ، والحادثات تنوشني^(٢) ودافع همي إذ ترادف بعته
لساني عن شكري أيا ديك مفحم وأنت ، فأعلى من ثناء أبته

(١) رويت من هذه القصيدة في مسالك الأضار (١٠ : ٥٠٧) الآيات الأربعة الأولى .

(٢) النوش : تناول والطلب .

تَحَمَّلْتَ عَنِّي كُلَّ خَطْبٍ يَتُودُنِي ^(١) وَنَاهَلْتَنِي ^(٢) عَيْشِي ، وَقَدْ بَانَ حُجْبُهُ
فَدَى لَكَ ، يَا طَوْعَ الْإِخَاءِ أَمِينَهُ عَلَى غَيْبِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَتْهُ
نَسِيٌّ لِمَا يُؤَلِّي ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُولٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبْسُهُ
وَمَا أَشْتَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ تَجَلُّدًا عَلَى أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبَثُّهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عِنْتَكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدَاكَ حِثُّهُ
وَمَا زَالَ يَذْنِيهِ إِلَيْكَ حِفَاظُهُ وَعَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنكَ تَحْتُهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مُكْنَتُهُ
وَمَا ضَعَفْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَمَهْدِكَ : وَغَرُّ الْخَلْقِ فِي الْخَطْبِ وَعَنْتُهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحْجِمٌ مَرِيرُ الْقَوَى ، وَالدَّهْرُ قَدْ بَانَ نَسْكَتُهُ
كَظُومٌ عَلَى غَيْظٍ يَضِيقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آدَ ^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبَيْتُهُ
وَلَمْ أُرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَنِ مُرْشِدٍ ^(٤) لِي إِرْتُهُ
عَنِ الْمُنْتَرَى أَخْلَافٌ ^(٥) دَهْرٌ تَسَابَهَتْ أَطَايِبُهُ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَثُّهُ
نَدَاهُ رُبَيْعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَبِيهِ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مِلْتُهُ ^(٦)
يُضَاعِفُ دَاءَ الْحَاسِدِينَ كَالْهَى عَلَى أَنَّهُ يَسْفِي مِنَ الدَّاءِ نَفْسُهُ

(١) الأورد : الإتهال . ويقال آدنى يتودنى : أتقلقى .

(٢) التهلان : الزيان .

(٣) الوهوت : الشدة .

(٤) مرشد : جد أسامة .

(٥) مرى الناقة : مسح ضرعها ، نسي : استخرجه . والأخلاف : جمع خلف وهو الناقة كالضرع للشاة

(٦) الك : دوام المطر والندى . وأنت المطر : دام أياما لا يقطع . والوسمى : مطر الربيع الأول .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيَا لِلنَّفْسِ ، وَهَوِّ لِنَاظِرِيٍّ أَعَزُّ نَالِثٍ
وَنَجِيٍّ فِكْرِي دُونَ سَا نِرٍ مِنْ أَنَاجِيٍّ أَوْ أَحَادِثِ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهَوِّ أَوْ جَعُّ مَالِقِيَّتٍ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثِ
وَالْوَمُّ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتِيثِ شَمْلِي ، وَهُوَ عَابِثِ
إِنِّي عَلَقْتُ مِنْ اضْطِبَا رِي عَنْكَ أَسْبَابًا رَثَائِثِ ^(١)
عَاهِدَتُهُ إِلَّا تُضَعُ ضَعْفَهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكُمْ فِي كَفِّ ضَابِثِ ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خَطْبٌ ، لِعَمْرَأَيْكَ ، كَارِثِ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَائِي وَالتَّدَانِي فِي إِزْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، بَيْنَ أَهْلِ فِي بِلَادِي
مَسْتَوْحِشًا مَعَ كَثْرَةِ الْخُلَّانِ وَخَشَّةِ ذِي انْفِرَادِ
وَأَقْلُ مَالِقِيَّتُ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِيحِ الْبِعَادِ
شَوْقٌ إِلَيْكَ أَبَاحَ فَيْضِ مَدَامِعِي ، وَحَمَى رُقَادِي

(١) رث : بلى : (٢) ضبث به : قبض عليه بكفه .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَسَاكِنَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامَةَ بَيْنَنَا وَإِنْسَانَ عَيْنِي ، وَالْمِزَارَ بَعِيدُ
تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالزَّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنَّ عُمْرَ فِرَاقِنَا مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّقَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا عَجْزُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهَى بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَبِيدُ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُّ
فَقَابَلْتُ بِالْعُتْبِيِّ مَضِيضَ عَنَابِهِ وَلَمْ يَتَّجِهْهُمُ الْهَجَاجُ وَلَا الْجَدُّ
وَأَعْجَبَنِي عَيْي لَدِيهِ ، وَلَمْ أَزَلْ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصِمِي لِي الْهَجِجُ^(٢) الْلَذَّةُ^(٣) ،
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَى نَسْبَتِهِ وَمَا خَطَأُ مِنِّي أَنَا ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بُلَّغْتَهُ ، فَظَنَنْتَهُ لَكَفَّرَهُ حَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوُدُّ
فَأَهْلًا بَعْتِبُ تَسْتَرِيحُ بَيْتَهُ وَيُؤْمِنُنِي أَنْ يَسْتَمِرَّ بِكَ الْحَقْدُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعَهُ بِسَمْعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي أَنَا سَاءَ صَحْبَتِهِمْ فَاحْفَظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَّ
بَأَنِّي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ لَهُمْ وَاصِفًا شَوْقًا ، وَلَا شَاكِيًا وَجَدًا .

(١) يشير إلى قول لبيد لابنته :

إلى الحول ثم باسم السلام عليكما ومن بك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) عجز بيت لأبي فراس صدره ... سأسكت إجلالا لعلي أنه ...

خَذُوا بِرِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجوعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرَى مِنْكُمْ بَدَأَ
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِكُمْ أُنْدَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها (١) :

أَحِبَابِنَا ، خَطْبُ التَّفَرُّقِ شَاغِلٌ
لَأَسْرَعَ مَا حُلْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ بَعْدَمَا
وَلَا عَجَبٌ ، أَنْتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ :
كَأَنْتُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رِجَاءَنَا
مَلَّتُمْ ، فَلْتُمْ نَحْوَ دَاعِيَةِ التَّلَى
وَأَنْسَأَكُمْ حَفْظَ الْعَهْدِ مَلَالِكُمْ
وَإِنِّي لَتَنْتِنِي إِلَيْكُمْ حَفِيظِي
وَأُكْذِبُ رَأْيَ الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ
أَسْأَهُلُ فِيمَا رَابَ مِنْكُمْ ، وَدُونَ مَا
لَهَجْتُمْ بِهِجْرِي ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
وَأَغْضَى تَجَنُّبِكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى

عَنِ الْعَتَبِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَمَدِ الصَّدْرُ
تَصَرَّمٌ فِي حَفْنِي وَدَادِكُمْ الْعُمُرُ
عُهُودِكُمْ غَدْرٌ ، وَوُدُّكُمْ حَتْرٌ (٢)
بِزُنْحُرْفِهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرٌ (٣)
وَخُنْتُمْ ، فَدَتُّمُ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدْرُ
”كَمَا قَدْ تَنْسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ“
إِذَا مَا شَنَاكُمْ عَنِ مُحَافِظَتِي الْغَمْرُ (٤)
لَتَقْضُونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيْلَ النِّكْرُ
أُوْمَلُ : مِنْ إِنْصَافِكُمْ مَسَلِكٌ وَعَرُ
وَمَا قَرُبُ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْهَجْرُ
إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الزَّمَنُ النَّضْرُ

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : الغدر والخديعة أو أفتح الغدر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) الغمر : من لم يميز الأمور .

فلما تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ بِهَا يَنْفُضُ الْأَحْلَاسَ ^(١) فِي السَّفَرِ السَّنْفَرُ
أَسْرَمْتُ أَنْ خَلِئْتُمُ الدَّهْرَ سَاءَنَا وَقَرَّتْ بِنَا ، لَأَقَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخُزْرُ ^(٢)
وَجَاهَرَ بِالشَّحْنَاءِ قَوْمٌ عَهْدَتُهُمْ يَسُوءُهُمْ ، لَوْلَمْ أَغْبِ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا تَعَرَّضَ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كتاب :

وَكِتَابٍ مِنْكَ فَاجَانِي كَبْشِيرٍ جَاءَ بِالظَّفْرِ
رَدَلِي شَرِخَ الشَّبَابِ وَمَا غَالَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
ظَنَنَّهُ الرَّائِي مُكَاتِبَةً وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدًا أَحَلَّهُ الشُّوقُ قَلْبِي وَنَاطِرِي
مَا نَأَى مِنْ خَيَالِهِ حَاضِرٌ فِي صَمَائِرِي
وَالْتَّنَائِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ ضَائِرِ

(٢٣٥)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة من الرزم بطري ^(٣) :

يُكَائِرُ مَاءَ الرِّزْمِ ^(٤) عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطْرٍ ^(٥)
وَلَوْ لَمْ أَعْرِهَا بَعْدَكُمْ كَلَّ مِنْ بَكِي لِأَعْظَمَهَا عَنْ أَنْ يُكَائِرَهَا الْقَطْرُ

(١) المجلس : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . (٢) الأعين الخزر : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لعله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمينية فيه ماء كثير يصب في دجلة (ياقوت) .

(٥) القطر : الحاس الذائب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس الدولة ابن أخيه :
أشَمَسَ الدَّوْلَةَ ، اسْمَعِ بَثَّ شَوْقِ يَضِيقُ بِمِثْلِهِ ذَرْعُ الصَّبُورِ
لقد أَوْحَشْتَ دُنْيَا ، كُنْتَ أَنْبَى بِهَا ، وَسَلَبْتَنِي رَغَدَ السُّرُورِ
إذا ما الشَّمْسُ لم تَظْهَرْ بِأَرْضِ فما طَيبُ الحَيَاةِ بِغَيْرِ نُورِ
وإن أَصْبَحْتَ في خَلْدِي مُقِيًّا بِحَيْثُ يَجُولُ فِكْرِي من ضَمِيرِي
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ من بَعَادِ ورُؤْيَا العَيْنِ أَشْفَى للصدورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر
كاتباً افتتحه بهذه الأبيات :

أَحْبَابِنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفْرٌ ، إِلَيْكُمْ بِهَا فَقْرُ
وإن تَحَلُّ يَوْمًا بَقْعَةً من شُخُوصِكُمْ فلم يَحُلْ يَوْمًا من مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وإن تُنَنِّمُنَا عَنَّا المِهَامِهُ والسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا المَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رَحَلْتُمْ ، فَعَادَ الدَّهْرُ لَيْلًا بِأَسْرِهِ وِلَيْسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبَتِكُمْ بَحْرُ
تُرَى فَآضَ مَا أَلْقَى من الهمِّ وَالْأَسَى لِبَعْدِكُمْ ، فَاسْوَدَّ من صِبْغِهِ الدَّهْرُ
وَكَيْفَ أَلَوْمُ اللَّيْلِ إن طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَد غَابَ عَنِّي مِنْكُمْ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :

تَذَكَّرُهُ أَحْبَابَهُ الْإِنْجِمُ الزَّهْرُ فَيَا وَيْحَهُ مَاذَا به صَنَعَ الذِّكْرُ
هَمْ مِثْلُهَا : بَعْدًا ، وَنورًا ، وَرَفْعَةً وَلَكِنْ هَا ، إِذْ شُبِّهَتْ بِهِمْ ، الفَخْرُ

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم
سقى مصر جود الصالح الملك ، إنه
ففيها كرام أسعروا بجوانحي
ومن عادي الصبر الجميل ، وليس لي
إذا ما "أمين الدين" عن أذكاره
يذكرني الفاضلون ، وإن غدوا
إذا حضر النادی فرضوى راحة
ويعجني منه تدفق عليه
تناعت بنا الداران ، والأود مضقب^(١)
كان الليلي إذ قضت بفراقنا
أحل بها إن غاب عنها ، وإن أغب
فليت تلاقينا ، ولو بعض ساعة
لأحظى برؤياه ، وأشكر منه^(٢)

فن لي لو دام التذاني والهجر
هو الوابل المحي البرية لا القطر
بيعدهم جمرأ ، به يحرق الجر
على بعدهم ، لادر در النوى ، صبر
ذهلت ، كأتى خامرت لي الجر
جداول إن قيسوا به ، وهو البحر
وإن قال فالدر المنظم والسحر
وأعجب منه كيف يجمعه صدر
فالقرب شطر ، والبعد له شطر
قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
يحل بها ، فأعجب لما صنع الدهر
يحم^(٣) وشيكا ، قبل أن ينفد العمر
وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرن اهتماما منك يذكرني
عدت عنه ، فإنا أنكرت خلته^(٤)
في البعد ، حتى كأتى مضقب الدار^(١)
مع التاني ، وكم أنكرت من جار

(٢) حم الأمر بالضم : قضى .
(٤) الخلة بالضم : الصداقة .

(١) أصقت دارهم : دنت .
(٣) المن : الإنعام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء التّولة :

أصبحتُ بعدك يا شقيقَ النَّفسِ في بحرٍ من الهمِّ المبرِّجِ زانِحِ
متفرِّداً بالهمِّ ، من لى ساعةٍ بِرِفاقِ شَعياً ، أو عُلالةٍ دَاهِرِ

داهرُ : صاحبُ للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

كفى حزنًا أتى مقيمٌ ببلدةٍ يُعلِّني بعدَ الأحبةِ دَاهِرُ
يحدِّثني مما يُجمَعُ عقله أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرُ

وشعياً : صاحبُ للقاضي أبي المجد بن سليمان المعري (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

لقد ولّى زمانٌ نحنُ فيه فسقيًا للحمامِ به ورعياً
إسارُ بين أتراكِ ورومِ وفقدُ أحبةٍ ورِفاقُ شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كأبي ، ولولا أن يأمي قد نهى اش
وبعدُ ، فعندي وحشةٌ لو تقسّمت
نِياقي ، لذاب الطرسُ من حرِّ أنفاسي
على الخلقِ ، لم يستأنس النَّاسُ بالنَّاسِ

(١) الطرس : الصحيفة .

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَا لِي وَلِلشِّعَاءِ فِيمَا أُرْتَجِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيّ ، وَهُوَ شَفِيعِي
أَعَدَّتْ لِي مِنْ جُودِ كِفْلِكَ مَوْرِدِي فَصَفَا ، وَأَمْرِعَ مِنْ نَدَاكَ رَبِّبِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطَلْتُ^(١) مِنْ سَامِيئِهِ نَفْرًا يَجِدُكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِي
وَقَضَى بُبُعْدَى عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُقْيَا نَحْطِبِ رَمَانًا بِالنَّوَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اصْطِبَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلْبِي لَسُلْوَانٍ مُطْبِعٌ وَلَا السُّلْوَانَ عَنْكَ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبُيَّكَ مُضْمَرِ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّتْنِي الْأَمَانِي أَوْ لَسَرَّتْ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لُبُعْدِكَ ، وَالتَّبَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَفِ :

مُوَاصَلَتِي كُتِبِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اِهْتِنَاغًا ، بَلْ عَلَيْكَ تَأْسُفَا
وَلِي أَسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ نَفَعَ الْأَبِي فَمَنْ قَبْلَنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفَا

(٢) قلب شعاع : تفزقت همه وآراؤه ، فلاتجه لأمرجزم .

(٤) الاتباع : الاحتراق من المم .

(١) طلعت : كنت أطول منه .

(٣) من سرتى عنى المم .

ولكن نفسي قد تملكها الأسي وقلبي ، إذا سكنته بالآسي هفا
وما أحسب الأيام تقنع باللوي ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتني

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقدم أولها^(١) :

وابترني رأى عز الدين ، مُستلباً
أضافي عتبه هماً شجيتُ به
أنته عبي أحاديثٌ مُنخرقةٌ
لكنها وافقت من قلبه ملاً
وما الرضا ببعيد من خلائقه
ومنها :

يامن حوى قصبات السببِ أجمعها
أنفت مذهب عمرى فى رضاك، وما
لكنني اعتضتُ منه حُسن رأيكِ لى
حتى إذا أنا ما ثلثُ النجومَ جلاً
أريتني ، بعدِ بشر ، هجرةً وقلبي
فعدتُ صمغريد هماً ظفرتُ به
هني^(٤) أتيتُ بِجهلٍ ما قذفتُ به
فأرى اثنان فى تفضيله اختلفاً
رأيتُ مُنقَ عُمرٍ واجداً حلفاً
فَلِمْتُ منه العلاء والعزَّ والشرفاً
وقلتُ : قد نلتُ من أيامي الزلفاً^(٣)
وبعدِ برٍ ولطفٍ ، قسوةً وجفاً
كأنَّ مانلته من كنيِّ اختطفاً
فأين حللك^(٥) والفضلُ الذى عُرفاً

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) النغمو: السوغ والكثرة . (٣) الزلف : جمع زلفة وهي القرينة .

(٤) هذا البيت وتاليه رواهما أسامة أيضاً فى باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية باب الآداب (فأين فضلك والحلم ...) .

ولاً ، ومن يعلم الأسرار حلقه من
 ما حدثتني نفسي عند خلوتها
 لكنها شقوة حانت ، وأقضية
 تداولتني أمور غير واحدة
 وأقصدتني^(١) سهام الحاسدي على
 وبعد ما نالني ، إن جدت لي برضا
 وذاك ظني ، فإن يصدق فانت لما
 حاشاك تغدو ظنوني فيك محففة
 وجتني من زماني حسن رأيك لي
 ألفت منك حبرا منذ كنت ، وقد
 وغير مستنكر منك الحنو على
 فعد لأحسن ما عودت من حسن
 واسلم لنا ثالثا للتيرين علا
 أيامنا بك أعياد بأجمعها

ير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
 بما تعفني فيه إذا انكشفا
 حبتني الهمة مذ عامين والأسفا
 لو حمل الطود أدنى ثقلها نسفا
 فوزي بقربك حتى قرطسوا^(٢) الهدفا
 فقد غفرت لدهري كل ما سلفا
 رجوت أهل ، وإن يحقق فوا أسفا
 أو ينثني أملي بالياس منصرفا
 أكرم بها جنة ، لا البيض والزغفا^(٣)
 فقدته ، وشديد فقد ما ألفا
 مثلي ، ولو زاع يوما ضلة ، وهفا
 يامن إذا جاد وفي ، أو أذم^(٤) وفي
 وزد إذا نقصا ، واشرف إذا كسفا
 قدم لنا ما دجا ليل ، وما عكفا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها^(٥) :

لكنني أشكو قوارص من تلقائهم ، قلبي لها يحف
 وملاة منهم يبين على أثنائها الشان والشنف^(٦)

- (١) أقصد السهم : أصاب ، فقتل مكانه . (٢) قرطس ، أصاب القرطاس ، وهو كل آدم ينصب للنضال .
 (٣) الزغف : الدرغ اللية الواصة المحكمة ، أو الزريقة الحسة السلال .
 (٤) أذم له عليه : أخذه للذمة ، وفلانا : أجاره .
 (٥) انظر القصيدة ص ٢٩ وأولها : (باحث بسرك أدمع تكف) .
 (٦) الشنف بالتحريك : البفض والتسكر . والشان : البفض .

أَنْكَرْتُ قَسَوْنَهُمْ ، وَأَعْرَفُهُمْ كُرْمَاءَ ، إِمَّا اسْتَعْطَفُوا عَطَفُوا
 قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنِنَا وَشَجَّتْ أَسْبَابُهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
 وَإِذَا سَلِمْتَ ، أبا سَلَامَةَ ، لِي فُصَابُ كُلِّ رِزِيَّةٍ ظَلَفُ (١)
 لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فَلَيجهَدُوا فِي الْغَدْرِ ، أَوْ لِيُقِرُوا
 قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَا دَجَا السَّدْفُ (٢)
 وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ تُضْحِي إِلَى الرَّغَبَاتِ تَشْتَرُفُ (٣)
 فَعَدَوْتُ لِأَخْطَبًا أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِأَثَرِ شَيْءٍ فَانْتِ أَسْفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها (٤) :

يَابْنَ الْأَلَى جَمَعَ الْفَخَارَ لِيَبْتَهُمْ مَا شَتَّوْهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
 وَتَمَلَّكُوا رِقَّ الْأَكْرَامِ بِالَّذِي فَكُّوا بِهِ رِقَّ الْعُنَاةِ (٥) ، وَأَطْلَقُوا
 أَشْكُو إِلَى عَلَيْكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كِتْمَانِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَيِّقُ
 وَطَوَارِقًا لِلَّهِمَّ . أَقْرَبِيهَا الْكِرَى (٦) وَتَلَطَّ (٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
 لَوْ لَمْ أَمَنَّ النَّفْسَ أَنْكَ كَاشَفُ كُرْبَاتِهَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ عُقُوقِ مُحِبِّطِ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوَبِّقُ (٨)

(٢) السدف : الظلمة .

(٤) انظر ص ٨٧ .

(٦) أى أى أجل النوم قراها .

(٧) لظ بالمكان والظ به والظ عليه : أقام وأخ . والإلطاء : لزوم الشيء . والمثابة عليه .

(١) الظلف : كل مين .

(٣) تشترف : تتطلع .

(٥) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٨) أربقه : أهلكه .

لا تَلْزِمَنِي بِالْهَوَايِبِ وَحَمَلِهِ
دَعْنِي وَقَطِّعْ الْأَرْضِ دُونَ مَعَاهِرِ
تَغْلِي عَلَى صُدُورِهِمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
تَعَسَى إِذَا نَظَرُوا إِلَى عُيُونِهِمْ
كَسَدَتْ عَلَى بَصَائِعِي فِيهِمْ ، فَلَا
أَعْيَا عَلَى رِضَاهُمْ ، فَيَلْتَسْتُ مِنْ
إِنْ أَعْشَمَهُمْ ، قَالُوا : خَلُوبٌ^(٤) ، مَا ذِقُ^(٥)
قَدْ أَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَى ، وَعَيْشَهُمْ
فَأَسْمَحُ بِبُعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
فَلَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ أَقْلَهُ
وَعَسَى قُلُوبٌ أَعْضَلَتْ أَدْوَاؤُهَا
فَضَلُّ الْأَقَارِبِ بِرَّهِمْ وَخُونَهُمْ
أَتَنْظِي أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدَّهِمْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
لَا تَغْتَرِّزْ بِرَجَائِهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا
خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ أَحَادِيثَ الْمُنَى
وَأَعْنِ ، فَإِنَّ السَّبِيلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ^(٨)

إِنَّ احْتِمَالَ الْهَوْنِ^(١) فَعَلُّ مُرْهَقُ
كُلُّ عَلَى لَغْوِ جُرْمٍ مَحْتَقُ^(٢)
فَتَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى تَحْرُقُ
حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ دُونِي تُشْرِقُ
أَدْبِي ، وَلَا نَسِي ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ^(٣)
إِدْرَاكِهِ ، مَا النَّجْمُ شَيْءٌ يُلْحَقُ
أَوْ أَجْفُهُمْ ، قَالُوا : عَدُوُّ أَرْقُ
فَأَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبِي أَيْضًا شَقُوا
إِنَّ الَّذِي تَرْضَى عَلَيْهِ مُوقَقُ^(٥)
أَلَّا يُكَدِّرَ بِالْمُهْمُومِ ، وَيُمْدَقُ^(٥)
فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّفْرِيقِ تُفْرِقُ^(٦)
فَإِذَا جَفَوْنِي فَالْأَبَاعِدُ أَرْفَقُ
إِنِّي إِذَا عَيْدُ الْمُطَامِعِ ، أَنْرَقُ
مِنْهَا نُدُوبٌ^(٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
كَمْ قَدْ رَأَيْتَا مِنْ رَجَاءٍ يُخْفَقُ
إِنَّ الْأَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصْدُقُ
حَقًّا ، وَأَدْرِكُنِي قَيْلَ أَمْرُقُ

(١) الهوان : الهوان . (٢) الحلق : الغيظ . (٣) تقى : راج .
(٤) خلبه كصهره خلبا وخبلا وخبلا بكسر الأخيرين : خذعه . (٥) مذق الود : لم يخلصه .
(٦) أرفق من مرضه : برى . (٧) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقى على الجلد .
(٨) الربي : جمع زبية وهي الزاوية .

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها^(١) :

إيها ، بحمقك مجده الذين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقى
أو أنني بعد بعدى عنك مغتبط بالعيش ، إني به ، لا تكذبن ، شقى
يا ويح قلبي من شوق ، يقلقه إلى لقائك ماذا من نواك لقي
ونأظر قرحت أجزائه أسفا عليك في لحظة من دمه غرق
وبعد ما بي ، فإشفاقي يهددني بسوب رأيك بالتكدير والرتي
وأن قلبك قد رأت عليه من الـ وأشين بي جفوة، يهماء ، كالغسق^(٢)
ونافسوني في حسنى ظنونك بي حتى غدوت وسوء الشك في نسق
بهم تباريح أشواق إليك ، وما أجن : من زفراي بالحوى نطن
أما كفاهم نوى دارى ، وبعذك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصدق
وأنتى كل يوم قطب معركة دريئة السمر والهندية الذئق^(٣)
أغشى الوغى مفردا من أسرتى ، وهم هم إذا الخليل خاضت لحظة العلق^(٤)
هم المحامون ؛ والأشمال مسلمة والملتقون الردى بالأوجه الطلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يُغيره كيسي^(٥) ولا حمقى
وإنما قالة جاءت ، فضاقت لها صدرى ، ولو غيرك المعنى لم يضق
كذبها ، ثم ناجتني الظنون بأن الدهر ليس بمأمون ، فلا تتق

(١) انظر ما سبق من ٨٩

(٢) الهماء : الفلاة لا يتدى فيها . والأبيم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلة أول الليل . وران

مل قلبه : غلب .

(٣) الدريئة الخفقة ينلم العطن والرى عليها . والسمر : الرماح . والهندية : السيوف . والذئق : الحادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكيس : العقل .

كم قد أغص بما^(١) تمرى مذاقته ونقص البارد السلسال بالشرق
 توقع الخوف من أنت آمنه قد تنكأ الكلم كف الآسي الرفق
 فقلت : مالي وكنمي ما تخالجنى فيه الظنون كفعل المغضب الملق^(٢)
 أدعولمأبى صدى صوتى وموضع شكـ وای وحامل ثقلى حيث لم أطق
 فإن يكن ما نمتى زوراً ، وأحسبه فعنده العفو عن ذى الهفوة العقبى^(٣)
 وإن يكن ، وأحاشى إجمده ، تلجت عتبه حرّ حشاً بالهمّ محترق
 هو الأبى الذى تخشى بواده ويرتجى عفوه فى سورة الحنق
 عتبه تلقى ذنوبى قبل معذرتى وماء وجهى مصون فيه لم يرق
 لا غيرت رأيه الأيام فى ، ولا نالت مكافئ منه لقة^(٤) الحدق

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أحبابنا ، هلا سبقتم بوصولنا
 تشاغلتم بالهجر ، والوصل ممكن
 كأنا أخذنا من صروف زماننا
 أماناً ، ومن جور الحوادث^(٦) موثقاً
 صروف اللبالي قبل أن نتفرقا
 وليس إلينا فى الحوادث^(٦) مرتقى

(٢) الملق : الضيف .

(١) مرى الطام فهو مرى : هنى .

(٤) لقع فلانا بيمينه أصابه بها .

(٣) العقب : الماق .

(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامه فى تحريده القصر ١ : ١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .

(٦) فى التحريده ومعجم الأدباء (لحوادث) .

(٧) هذه رواية المصبرين السابقين وفى الأصل " اللبالي " وبما أثبتنا يستقيم الوزن .

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عزّ الدولة :
بَعُدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيَسْتُ مَنْ أَنْ نَلْتَقِ ، لَكُنْتِي أَلْتَقِي تَذَكُّرَكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأُغِيضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فِرَائِدُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فَتَنْفِيضُ سَطَطِ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :
أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْمُنَى قَضَى كَمَا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقُ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذُكْرَةٌ مِنْكَ خَلْتَهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظَاهُ ، فَهَوَّ خَفُوقُ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجْبًا لِلْيَاسِ كَيْفَ يَسُوقُ
وَمَا سَاءَ نِيَّ أَيْ لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقُ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :
لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأَبِيكَ مَا السُّلْوَانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَّ السُّلُو مِنْ الْغَرَامِ وَثَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجَوْيِ وَالْيَاسُ كُلُّ الْيَاسِ مِنْ إِفْرَاقِ (١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أَيْحَى الْهَوَى مِنْ دَانِهِ ، وَالسُّمُّ فِي الدَّرِيَّاقِ (٢)
سُقْمُ الْجَفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَهِيَ الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(١) الفرق المريض والمحموم : برز .

(٢) الدرّياق : الترياق .

وأغن^(١) راعني النوى بفراقه
أخلو بأفكارى ، لتدني شخصه
وأكرر التسأل عنه لجاهل
فإذا تسامح لى الزمان بقربه
بأنته وجدى ، وقلت : يرق لى
ويلومني فيه رفيق يدعى
إيهاً ، كلانا يشكى حرّ الهوى
أنت استضأت بناره متبصراً
أتلومني بعد الهبوب من الكرى
لأدر درك ، سوف يفردك الهوى
أسلمتني للوجد ، إن أرضاك أن
إن جرت عن نهج الكرام فرشد^(٢)
فاعد لمجد الدين ، تلق المجد ما
فإذا وصلت إلى أغرّ محجّب
فاربّع بربح لا يزال تزيله
وابلغ نحية نازح قدفت به
قد كان بالشاي يعرف برهة
أنضى الوجيف^(٣) ركابه وجياده

(١) جد أسامة .

(١) ظي أغن : يخرج صوته من خياشيمه .

(٣) الوجيف : ضرب من مير الخيل والإبل .

وهو الجليدُ على حُطوبِ زمانِه لا يَشْتَكِي منها سِوَى الأَشواقِ
يَنزُو لذكرِ أبى سَلامَةَ قلبُه فيكادُ يَمُرُقُ مِن حَشا وَصِفاقٍ^(١)
واهِتَفَ به : يا خَيرَ من أرجوهِ إِلا واهِـالَوا^(٢) أو أدعُوهُ يومَ تَلاقِ
بى لوعَتانَ عَليكَ يَضَعُفُ عنِهما جَلَدِي : من الأَشواقِ والإِشفاقِ
فالشوقُ أنتَ به العَليمُ ، وغالبُ الإِ شفاقٍ مما أنتَ فى مُلاقِ
وَإِذا أخطأتُكَ الحادِثاتُ ، فكلُّ ما ألقاهُ مَحمولٌ على الأَحداقِ
فأجابَه ، رَحِمَهُ اللهُ ، بقصيدةٍ أوَّلها :

أَتَظُنُّ أَنِّي بَعْدَ بَعْدِكَ باقِ أجزى عن الأَشواقِ بالأَشواقِ
يقول فيها :

أَبا المظفَرِ دَعوَةً تَشْفِي الظَّما مَنِي ، وَإِن أضحى بها إِحراقِ
لم أَسْتَكِنَ أبدا لِحَطَبِ نازِلِ إِلا لِبُعْدِكَ ، فهو غَيرُ مُطاقِ
فإذا أطعْتُ الوجدَ فِيكَ أطاعني قَلبي ، وَيُبِدِي ، إن عَصَبْتُ ، شِفاقِ
فإذا ذَكَرْتُكَ خَلْتُ أَنِّي شاربٌ ثَمَلٌ ، سَقاهُ من المَدامَةِ ساقِ
قال : ووقف مؤدبى الشَیْخُ الحالى أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ یوسفِ المَعروفِ
با بنِ المَنبَرَةِ ، رَحِمَهُ اللهُ ، على القصيدة ، فأجابني عنها بقصيدة أوَّلها :

يا راکِبَ الشَدَنِیَّةِ^(٣) العِیداقِ^(٤) وَمُتَابِعَ الرَمَلانِ^(٥) بالإعناقِ
فى فَنیةٍ وَصَلُوا البَرسى حَتى انبَرَتِ أجسامُهُمُ أخفی من الأَرماقِ

(١) الصفاق (كتاب) : الجلد الأسفل تحت الجلد الذى عليه الشعر ، أوما بين الجلد والمصران ، أوجد البطن كله .

(٢) اللاوا : الشدة . (٣) الشدنات محركة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو غل .

(٤) العيداق : الطويل .

(٥) زمل يزل (بضم الميم وكسرهما) : عدا مستندا فى أحد شقيه راضا جنبه الآخر . والإعناق : الإمراع .

من كل مهتز بكف نَعاسِه
 وَضَعِ النَّعَاسُ عَلَى الْأَكْفِ خُدُودَهُمْ
 إِمَّا بَلِغْهُمْ سَالِمِينَ ، فَبَلِّغُوا
 وَتَوَسَّمُوا ذَاكَ الْحَيَاةَ ، وَامْتَرُوا
 مِنْ آلِ مُنْفِذِ الَّذِينَ يَرَاصُهُمْ
 اللَّابِسِينَ مِنَ الْمَكَارِمِ جُنَّةً
 يَتَهَلَّلُونَ لَدَى النَّوَالِ ، وَفِي الْوَعَى
 بِأَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بَعَادِهِ
 لِي أَنَّهُ الشَّكِيُّ الشَّجِيُّ لِمَا هُوَ
 وَإِذَا الْجَفُونَ نَظَرْنَ بَعْدَكَ زُهَةً
 لَا تَطْلُبِينَ مِنِّي الْمَسْرَةَ؛ إِنِّي
 أَمَّا أَبُوكَ فِدَاؤُهُ مُسْتَحْكِمٌ
 كَيْفَ السُّلُوكُ لَهُ ، وَأَتَى صَبْرُهُ
 دُومُ مَهْجَةٍ تَزُورُ إِلَيْكَ ، وَمَقْلَةٌ
 لَمَّا عَلِمْتُ بِعَجْزِهِ عَنِ نَظْمِ مَا
 أَجْرَيْتُ طَرْفِي فِي سَبَاقِكَ دُونَهُ
 وَبَذَلْتُ جَهْدِي بِالنِّيَابَةِ عَنْهُ بِالْـ
 جَرِيًّا عَلَى شَغْنِي بِكُمْ ، وَمَحَبَّتِي لَكُمْ ، وَحَفِظِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ

هَزَّ الْوَلِيدِ ثَنَائَةَ الْمَخْرَاقِ (١)
 فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلا أَعْنَاقِ .
 أَوْفَى نَحِيَّةِ مُشْمِ لِعِرَاقِي
 تِلْكَ الْبِنَانِ مَفَاتِحَ الْأَرْزَاقِ
 مَلَأَى مِنَ الزُّوَارِ وَالطَّرَاقِ
 مَا لِلْعَايِبِ غَيْرَهَا مِنْ وَاقِ
 يَسْطُونَ بِالْإِرْعَادِ وَالْإِرَاقِ
 عَنِّي ، قَرُبْتُ مِنَ الرَّدَى الْمُعْتَاقِ
 إِمَّا ذُكِرْتُ ، وَلَوْعَةُ الْمَشْتَاقِ
 عَاقِبَتُهُنَّ بِدَمْعِي الْمَهْرَاقِ
 عَدْرَاءُ ، قَدْ مَتَّعْتَهَا بِطَلَاقِ
 مَا إِنْ لَهُ بِسِوَاكَ مِنْ إِفْرَاقِ (٢)
 عَنْ مُصْطَفَى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
 تَبْكِي عَلَيْكَ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ
 يُنْهِمِي إِلَيْكَ ، وَذَاكَ بِاسْتِحْقَاقِ
 وَعَهْدُهُ أَبَدًا مِنَ السَّبَاقِ !
 بِالْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ الْبَاقِ
 لَكُمْ ، وَحَفِظِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ

(١) المخرق : المندبل يلف ليضرب به . والثناية حبل من صوف أو شعر أو غيره .

(٢) أفرق : برى .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عزّ الدولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ مدّ^(١) منتهى أمد الفراق
وأسكنُ القلبَ الحُفُو قَ إليكمُ بمِنَى التَّلَاقِ
وأقولُ : قد رَقَّ الرِّمَا نُ لبرجِ وجدى واشتياقي
وإذا به مُستصغِرٌ ما قد لقيتُ ، وما أُلَاقِ
يقضى بتشتيتي وإر جاء اللقاء إلى التَّلَاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السَّيِّدِ ضياءِ الدِّين ، أبي عبدِ الله ، زيدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ
ابنِ عبيدِ الله الحُسيني ، نقيبِ الطالبين بالموصل :

ضياءُ الدِّين ، ما شوقُ دعائي فاسمعي بمصرَ من العِراقِ
بمحدودٍ ، فأشرحه ، ولا في قوى الأقلامِ تسطيرُ اشتياقي
ولكني سأرجئه ، وأرجو مشافهتي به عندَ التَّلَاقِ
إذا ما كنتُ جاركَ ذا اشتياقي إليك فكيفَ بي بعدَ الفراقِ
ولي شكوى من الأيامِ أضحت لها نفسِي تَرَدُّدُ في التَّرَاقِ^(٣)
أكفُ من أذاها فوقَ وسمي وأحملُ كارها غيرَ المطَاقِ
ويلزمني الإباءُ الصبرَ فيما ينوبُ ، وطعمه مرُّ المذاقِ
ومغفورٌ لها ، إن أسعفتني بقربك ، ما لقيتُ ، وما أُلَاقِ

(١) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا . (باقوت) .

(٢) يريد يوم التلاق : يوم القيامة .

(٣) التراق : جمع ترقة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترق فيه النفس .

وكتب إليه الملك الصالح رحمه الله هذه القصيدة بخط يده (١) :

أيها المُتَقَدِّىُّ (٢) ، أنت على البُعْدِ صديقٌ لنا ، ونعمَ الصديقُ
ليس فيما تأتيه من رِّ أفعالِكَ للطلابِ الحقوقِ عُقوقُ
فلهَذَا نَرَى مُوَاصِلَةَ الكُتُبِ تَبَاعاً إِلَيْكَ مِمَّا يَلِيقُ
وَنُتَاجِكَ بِالْمَهْمَاتِ إِذْ أَنْتَ بِالْقَائِمِ إِلَيْكَ خَلِيقُ
وَأَهْمُ الْأُمُورِ (٣) أَمْرُ جِهَادِ الكُفْرِ ، فَاسْمِعْ ، فَعِنْدَنَا التَّحْقِيقُ
وَأَصْلَتُهُمْ مَنَا السَّرَايَا (٤) فَأَشْبِجَا هُمُ (٥) بِكُورٍ مَنَا لَهُمْ ، وَطُرُوقُ
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادِ الْقَوْمَ قَتْلَ مَلَازِمٍ وَحَرِيقُ
وَانظُرْنَا بِرُحْمَنَا بُرَّةَ نُورِ السِّدِّينِ عَلَمَا مَنَا بَانَ سَيْفِيقُ
وَهُوَ الْآنَ فِي أَمَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا يَعْتَرِيهِ أَمْرٌ يَعُوقُ
مَا لِهَذَا الْمُهَمِّ مِثْلُكَ ، مَجْدَ السِّدِّينِ ، فَانْهَضْ بِهِ فَأَنْتَ حَقِيقُ
قَلِّ لَهُ ، لِأَعْدَائِهِ ، رَأَى وَلَا زَا لَ لَدَيْهِ لِكُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ :
أَنْتَ فِي حَسْمِ دَاءِ طَاطِغِيَةِ الْكُفَّارِ ذَاكَ الْمَرْجُوِّ وَالْمَرْمُوقُ
فَاغْتَمِّ بِالْجِهَادِ أَجْرَكَ ، كَيْ تُلْسِنِي رَفِيقًا لَهُ ، وَنِعْمَ الرَّفِيقُ

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كَمْ إِلَى كَمْ يُلْحَى الْحُبُّ الْمَشُوقُ (٦) وَهُوَ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى لَا يُفِيقُ
حَمَلُوهُ ، وَهُوَ الضَّعِيفُ مِنَ التَّعْنِيفِ فِيهِمْ وَاللَّوْمِ مَا لَا يُطِيقُ
شِجَعُوهُ عَلَى الْقَطِيعَةِ ، وَالصَّصَبُ مِنَ الصَّدِّ وَالْفِرَاقِ فَرُوقُ (٧)

(١) النص في الروضتين أيضا : ١١٦ . (٢) نسبة إلى متقد : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المتقدى .

(٣) في الروضتين : المههم . (٤) السرايا : جمع سرية . وهي الطائفة من الجيش .

(٥) أشجاء : أجزته . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرع .

وَلَحْوَهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي بُلْحَةِ الْغَرَامِ غَرِيقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَانِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ^(١) مَا لَا عَائِي الْمَعَانِي الطَّلِيْقُ
يَا عَدُوِّي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعَى ، الصَّهْدِيْقُ الصَّهْدُوْقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيْحٍ مَا يَلْسَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيْقٌ رَفِيْقُ
إِنَّمَا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حَمِيْمٌ ، وَلَا شَقِيْقٌ شَفِيْقُ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَهْجُوْبُ بِالْحَبِّ لِلْسَّلْوِ طَرِيْقُ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّأْتِي وَجْفَاهُ حَتَّى الْخِيَالُ الطَّرُوْقُ
وَإِذَا نَهَنَهُ الدَّمُوْعُ اسْتَجَمَّتْ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لُلْوُؤُ وَعَقِيْقُ^(٣)

(٢٥٥)

وَكَتَبَ إِلَى الْوَزِيْرِ نِظَامِ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللهُ :
نِظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خِلَاءً وَكَمْ صَلَيْتُ حَشَايَ لَفَى اسْتِيَانِي^(١)
فَلَمْ أَجْرَعْ لِفَجَائَاتِ النَّسَانِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوْعَاتِ الْهَرَاقِ
وَهَانَدَا لِيُعْسِدَكَ أَلْفَ هَمٍّ تَقِيْضُ لَهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَاتِي
أَمْنِي قَلْبِي الْخَفَاقَ شَوْقًا إِلَيْكَ بِقُرْبِ أَيَّامِ التَّلَاقِ

(٢٥٦)

وَكَتَبَ إِلَى شَمْسِ الدُّوَلَةِ ابْنِ أَخِيهِ .:

أَبَا الْحَارِثِ ، أَسَلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَذْمُ إِلَيْكَ الْبَسِيْنِ ، إِنَّ وَشِيْكَهُ^(١)
وَأَضَلَّتْ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِدًا
أَرْوْحُ وَأَعْدُو فِي هُمُوْمٍ تَعُوْدُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِ الْمَشُوْقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ^(٢)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بِأَرْضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمِّيْنِ : غَادِ ، وَطَارِقِ

(٢) جَمَّ وَاسْتَجَمَّ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ .
(٤) حَلَى النَّارَ : قَامَسَ حَرْمَا . وَاللَّظَى : النَّارُ أَوْ لَهَا .
(٦) حَرَقَ الْعَظْمَ عَرَقًا : أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِّ .

(١) الْوَسْبُ : الْمَرَضُ .
(٣) بَاقِي الْقَصِيْدَةِ مِنْ ص ١٨٨ .
(٥) وَشِيْكٌ : سَرِيْعٌ .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

أبا حَسَنٍ ، قَدْرَانَ^(١) ، بعدِ بَعَادِكُمْ
أَعْلَلُ نَفْسِي أَنْتِي سَأْبَهُ
إِذَا قَلْتُ : فِي أَعْقَابِ ذَا الْعَامِ نَلْتَقِي
وَأَقْتَلُ أَدْوَانِي بَعَادُ أَحِبَّتِي
وَقَدْ سَاءَتْ أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ
وَجَفْوَةٌ بِمَجْدِ الدِّينِ أَعْدَلُ شَاهِدِ
أَسَاءَ التَّنَانِي ظَنَّهُ بِي ، وَإِنِّي
جَفَانِي زَمَانًا لَا مَلَالًا ، وَإِنَّمَا
مَفَاوِزُ لَا يَسْتَطِيعُ قَطْعَ فِجَاجِهَا^(٥)
وَلَا ذَنْبَ إِلَّا لِلْبَعَادِ فَمَا لَنَا
عَلَى الْقَلْبِ ، هُمُ ، مَا أَرَاهُ يَزُولُ
إِذَا مَا التَّقِيْنَا ، وَالرَّجَاءُ مَطُولُ^(٣)
تَمَادَى ، وَأَيَّامُ الْهُمُومِ تَطُولُ
وَدَاءُ التَّنَانِي ، مَا عَلِمْتَ ، قَتُولُ
أَخِلَّائِي ، حَتَّى مَا يَدُومُ خَلِيلُ
عَلَى أَنْ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ تَحْوُلُ^(٣)
لِأَعْهَدِهِ فِي الْقُرْبِ ، وَهُوَ جَمِيلُ
نَهْتَهُ حُزُونٌ بَيْنَنَا^(٤) وَسُهُولُ
رَسُولُ ، وَلَوْ أَنَّ الْخِيَالَ رَسُولُ
دُنُونًا ، وَحِطَّيْ فِي الدُّنُوِّ قَلِيلُ

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كتابٌ غيرُ مختوم :

وَإِنِّي كِتَابُكَ مَفْتُوحًا ، فَبَشَّرَنِي
فَقُلْتُ : أَحَبُّهَا بَشْرِي إِلَى ، وَإِن
يَفْتَحُ سَبِيلَ الْإِقَاءِ الزَّبْرُ^(١) وَالْقَالَ
تَعَرَّضْتُ ، دُونَ مَا نَزَجُوهُ ، أَهْوَالُ

(١) المطل : التَّسْوِيفُ بِالْعِدَّةِ .

(١) ران : غلب .

(٢) في روايةٍ بِهَا مَشَّ الدِّيْرَانُ (دُونَا) .

(٣) تحوّل : تخزول .

(٤) زجر الطير : تفاعل به .

(٥) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

ثم اعترفتني أشواق ، مُجهلي كيف اطمانت بقلبي بعدك الحال
وكيف يبق ، وما ينفك ذأوجي خوفاً عليك ، وفي الأوجال^(١) آجال
وكتب إليه الشريف ضياء الدين أبو عبد الله زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني
وهو بظاهر الموصل :

أبا المظفر ، أشواق مبرحةً وما استقلت^(٢) بكم للين أجمال
وأتم حيث إطلائي بينكم وما نأت دار من يديه إطلال
فكيف بي إن غدا الهرماس^(٣) مشربكم وحال من دونكم مرث^(٤) وأحبال^(٥)
إذا تخبرك الرُجبان عن كيد تدمي^(٦) ، وعين لها سخ وتهمال
وعن مودع قلب قد رحلت به يعتاده لكم هم وبلبال^(٧)

(٢٥٩)

فأجابه :

يا خير من علقت كفي مودته وصدقت لي في علياه آمال
ماذا أقول ، وقلبي قد تخلف عن جسمي ، وزمت لوشك الين أجمال
وكم فجعتم بروعات الفراق ، ولا كهذه ، لم يرعني قط ترحال
وقبل وشك النوى قد كنت أهدرها كأن ذلك التوى قبلها فال
فإن تبادت بنا أيام فرقنا وكل ساعات بعدى عنك آجال
فاحفظ فؤادا مقبياً في ذراك ، ولا تسلبه للشوق ، إن الشوق قتال

(١) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .
(٢) استقلت : ارتحل .
(٣) الهرماس : نهر .
(٤) المرث : المفازة بلا نبات ، أو الأرض لا يجب ثراها ولا يثبت مرعاها .
(٥) الحبل من الرمل : المجتمع الكثير العسال .
(٦) تدمي كرمي : تلوث بالدم .
(٧) اللبال : الوسواس وشدة الهم .
(٨) زم البعير : خطمه ، وتقدم في السير .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظمه بخط يده :
أيها السائرُ المجدُّ إلى الشَّامِ تَبَارَى^(١) رِكَابُهُ وانْخِيُولُ
جُذَّ عَلَى بِلْدَةٍ بِهَا دَارُ مَجْدِ السِّدِّينِ^(٢) ، لا رِيْعَ رُبْعُهَا المَاهُولُ
وَتَعْرِفُ أَخْبَارَهُ ، وَاقره مَنَّا سَلَامًا فِيهِ العِتَابُ يَجُولُ
قُلْ لَهُ : أَنْتَ نِعْمَ ذَنْحُرُ الصِّدِّيقِ اليَوْمِ ، لَكِنَّكَ الصِّدِّيقُ المَلُوءُ
مَا ظَنَّنَّا بِأَنْ حَالِكَ فِي القُرْبِ وَلَا البَعْدِ بِالْمَلَالِ تَحُولُ^(٣)
لَا كِتَابٌ ، وَلَا جَوَابٌ ، وَلَا قَوْلٌ ، بِهِ لِلْيَقِينِ مَنَّا حُصُولُ
غَيْرَ أَنَا نُوَصِّلُ الكُتُبَ إِذْ قَصَرَ مِنْكَ البِرُّ الكَرِيمُ الوَصُولُ^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أَيْنَ سَمِعِي عَمَّا يَقُولُ العَذُولُ أَنَا بِالْهَجْرِ والنَّوَى مَشغُولُ
وَسَبِيلُ السُّلُوِّ بَادٍ لِعَيْنِي ، وَلَكِنْ مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
مَا قَلِيلُ الغَرَامِ ، يَامَسْتَرِيحِ القَلْبِ ، مِمَّا يَلْقَى المَحَبُّ ، قَلِيلُ
بِالْهُوَى هَامٌ فِي الفَلَاقِ قَيْسُ لَيْلٍ وَهِيَ مَاتَ عُرْوَةٌ^(٥) وَجَمِيلُ
فَاعْفِ مِنْ لَوْمِكَ المَحَبِّ ، كِفَاهُ مِنْ جَوَاهِ تَسْبِيحِهِ وَالتَّحْوِيلُ
لَا تَظَنَّ وَجَدَ مَنْ فَارَقَ الأَظْمَعَانَ يَحْتَشِنُ حَادٍ عَجُولُ
تَقْطَعُ اليَدَ حَامِلَاتِ شُمُوسًا مَا لَهَا فِي سِوَى الخُدُورِ أَقُولُ
كُلُّ شَمْسٍ تُنِيرُ فَوْقَ قَضِيبٍ يَتَهَادَى بِهِ كَثِيبٌ مَهِيلُ
لَا وَلَا وَجَدَ نَازِحَ فَارَقَ الأَوَّ طَانَ ، يَهْتَاجُهُ الضُّحَى وَالأَصْبِلُ

(٢) لقب أسامة .

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٤) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٣) حال الشئ : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منبج العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفران . وجميل هو جميل بثينة .

كَلَّمَا لَأَمَّهُ الْعِذُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفْرَةٌ وَعَوِيلٌ^(٢)
مِثْلُ وَجْدِي لِفِرْقَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
وَمِنْهَا :

يَا أَمِيرَ الْجِيوشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي نَعْلِهِ وَفِيهَا يَقُولُ
أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتَ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضَيْنِ ، عَنْهُ تَزُولُ
فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طُرًّا عَلَيَّ أَنْيُّ مَلُوكُ
مَنْ يَمِلُّ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْقِيلُ
لَا تَرْغَبِي بِالْعَيْبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ^(٣) التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
لِي رُسُومٌ ، مِنْهَا مَوَاصِلَةُ الْكُنُوبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
فَأَعْذَنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي نَفْسٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
فِي وُدِّي لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى تَلْسِي ، فَيُبْدُو لَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
وَتَرَى أَنَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَيْعُهُ التَّجْمِيلُ^(٤)

قافية الميم

(٢٦١)

وقال ، وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدّم أولها^(٥) :

أَبْنِي السُّرَى وَالْبَيْدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانَ بِكُمْ عُرَامَةً^(٦)
هَلْ فِيكُمْ مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةَ

(٢) العويل : رفع الصوت باليكاء .

(١) مرى : استخرج .

(٤) له أنه يريد بالتجميل ردّ الشيء عن تفرقة . أو من أجل الحساب :

(٣) رسم بكذا : أمر به .

يقده اللى الجملة . وبالهامش قفلا عن خط ولده مرهف بالهاشية :

• وترى ريع ما زرعت من الإنعام عندي لم يحصه التأميل .

(٦) السرى : سيرة عامة الليل . والبيد : الفلا . وعرام الزمان :

(٥) انظر ما سبق ص ٩٧ .

وَتَحِيَّةٌ كَشَدَا فَبِتَقِ الْمَسْكَ ، صَفَقَ بِالْمُدَامَةِ^(١)
 تَهْدَى ، يَضْوَعُ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا . مَلَامَةٌ
 مِنْ جَامِعِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونٍ مُقَامَةٌ
 وَقَعْنَ^(٣) غَارِبَهُ الْخَطْوُ بُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَا بِي الظَّلَامَةَ
 يَابِنِ الْخَضْرَاءِ^(٤) الْكِرَامِ ، أَوْلَى الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
 مِنْ كُلِّ بَسَامٍ تَسُحُّ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةٌ^(٥)
 خَضِلِ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّ عَلَى الْجَوْ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ^(٦)
 أَسَامٌ حَسَفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةً
 هِيَاتَ لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً^(٧)
 وَعَلَامَ يَخْشَى النَّاسَ مَنْ لَمْ يَخْشَ فِي حَالِ حَمَامَةٍ
 مَنْ لَا تَرَاهُ لِإِثْرِ شَيْءٍ فَاثَتْ يَبْدَى النَّدَامَةَ
 وَإِذَا حَوَى الرِّغْبَاتِ أَمْضَى لِلْعَلَا^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةٌ
 لَوْ أَنْكَرْتَ أَجْفَانَهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةٌ
 (٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير

إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وكيف أشكر من أسدى إلى يداً سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام
 رأى مكاني على بعدي ، وقد عشت عني عيون أخلائي ، وآيبي
 محافظاً لعهودي ، حين أفردني ظلي ، وأعرض عني طيف أخلاي

(١) فق الطيب : خلطه . والتصفيق تحويل الشراب من إناه إلى إناه . مزوجاً ليصفو .

(٢) ضاع المسك : تحرك ، فانتشرت رائحته . (٣) وقته كوضته : كويته .

(٤) الخضراء : جمع خضرم وهو الجواد المطا . والسيد المحول .

(٥) السام : الذهب والفضة . (٦) القتام : الفيار . والمحل : الجذب .

(٧) الامتصام : الظلم . (٨) في رواية بها مش الديوان (للندي) . (٩) انظر ما سبق ص ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتبتُ إلى الأمير السَّيِّدِ الشَّرِيفِ النَّقِيبِ ضِيَاءِ الدِّينِ ، أَعْتَذِرُ مِنْ تَأَخُّرِ
كِتَابِي عَنْهُ ، فِي وَرْقِ أَصْفَرٍ :

قَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ وَمَا كَذَا يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْحَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرْسِ مِنْ وَجَلٍ فَإِنْ صَفَحَتْ جَرَى فِي وَجْنَتِيهِ دَمٌ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِي الْأَيَّامُ عَنْ وَطْرِي لِنَابَ عَنِ قَلْبِي فِي سَعِيهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدَ عَذْرَى فَقَدْ أَفْرَحْتُ مِنْ أَسْفٍ جَفْنِي ، وَأَدْمَى بِنَائِي بَعْدَكَ النَّدْمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ^(١)
لِمَ لَا تَصَامَمْتُ عَنْ دَاعِيِ الْفِرَاقِ ، وَمَا بَالِي صَلَبْتُ لَظَاهُ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
فَإِنْ تُقَلِّبِي اللَّيَالِي عَثْرَتِي ، وَأَفْزُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَيُعَادُ اللَّقَا الرَّدْمُ^(٢)

فكتب إليه جوابا عنها أبياتا أولها :

جَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ تَعْصَفَ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَيَّ مِنْ إِبْطَانِهِ
فَاعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولَهُ وَلَقِيتُ قَاصِيَةَ الْمَنَى بِمَلْقَائِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوان الصَّنَاعَةِ ، قَبْلَ أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ (رَحِمَهُ اللَّهُ)
فِي كُلِّ سَنَةٍ خُرُوجُ كَثَانٍ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَحَالَ بِهَا تِجَارَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنِ ثَمَنِ
كُسُوفَةِ قَبْضَتِهَا مِنْهُمْ ، وَتَمَادَى مُقَامَهُمْ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ نَحَرَاجَ مِنْهَا ،

(١) مضمون قول أبي الطيب المنبجي (٢٥٤ ط مبدئية) :

يا من يعز علينا أن نأرقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بمكة .

فُنِعُوا مِنَ الْإِطْلَاقِ ، وَوَصَلُوا إِلَى الشَّامِ ، وَلَمْ يَقْبِضُوا مِمَّا لَهُمْ فِي جِهَتِهِ شَيْئًا ، فَسَأَلُوهُ فِي رَقْعَةٍ يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةً ، ضَمِنَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

يُلَاطُ^(١) بِاللَّذِينَ مِنْ مَوْلَاهُ مُسَلِّمُهُ حَتَّى يُجَلِّصَهُ السُّلْطَانَ وَالْحَكْمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُؤَالِي مِنْهُ الْعَهْدَ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ بِدَرٍّ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبَلُّهُ^(٣) نَعِيمُ

فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ بِجَدِيدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَحْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْإِطْلَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ بِنَحْوِهِ :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ وَبِالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَحِمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ شَرِيعَةً سَنَّا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
وَكَلَّمَا رَامَ وَإِشْ نَقَضَ مَذْهَبَهَا أَضْحَتْ تَوَكَّدَهُ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى عَلَى أَحَدٍ^(٤) وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْتُمْ عَدْلَكُمْ ظَلَمْتُمْ^(٥)
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كَرُمْتُ أَخْلَاقَهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ^(٦) الْأَدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعَرَبُ ، أَقْتَلُ دَاءَ يَهْلِكُونَ بِهِ أَنْ تَمْلِكَ الْحَكْمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجْمُ
تَرْفَعَتْ مِنْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، هَمَّةً مِنْ نُجُومِهِ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا الْهَمِّمُ

(٢) البدر : جمع بدرة ، وهي كبرى فيه سبعة آلاف دينار .

(٤) أزرى عليه : عابه .

لديهم حكوا فيما بما علوا

(٦) فنز : راج .

(١) أظ الفريم : مع من الحق .

(٣) الويل : المطر الشديد الضخم .

(٥) يشير إلى قصيدة أسامة الميمية التي مطلعها :

ولو اقلنا رجونا عدلهم ظلموا

(واظفر ص ٤٠)

إذا تأنرت الآدابُ وامتنعت
 وإن نظمت قريضاً في مكاتبه
 لله كُنْبٌ توالى ضمنها دُرٌّ
 يَقْلُ في فضلها أمثالها ، فإذا
 سألت ما قد أجبناه ، وما برحت
 إن أمسك الغيثُ فانظر ما تجيء به
 ولو حللت يوادينا على وجيل
 والأرض ما برحت مثل الرجال
 كذلك إن قل حظُّ الودِّ عندكم
 يا غائبين ، وقد أضحت منازلهم
 قولوا لنا : هل وجدتم مع جفائكم
 بالسَّهْلِ منها اعتصمتم عن معانيدكم
 قالوا : المعارفُ في أهلِ النهيِ ذمٌّ
 وما نلُّطُ^(٣) بدينٍ تدعون به
 بل عندنا إن سألتهم واثقين بنا
 بعدتم ، ومنا الآن قروبكم
 لو أبصرت ، لارأت سوءَ أعيونكم
 تقدّمت لك في إحرازها قدّم
 فالبحرُ ما زال منه الدرُّ يُنظّم
 من بحرِ عليك قالوا : إنما كلّم
 تلوتها ، فهى الأمثالُ والحكمُ
 قصادنا في الذي نحويه تحتكم
 أنواؤنا^(١) ، فهى مهمما شتتها ديم
 أيقنت من غيرِ شكٍ أنه الحرمُ
 يرى من الرجالِ لها الإثراءُ والعُدْمُ
 فالحظُّ كالرزقِ ما بين الورىِ قسّم
 صدورنا ، هل علمتم أنها حرمُ
 رحابها اليومِ أحمى أم حصونكم
 والناسُ من قبلُ بالأجبالِ تعصم
 وقد غدا بيننا العرفانُ والذمُّ^(٢)
 حتى يخلصه السلطانُ والحكمُ
 في حاجةٍ نعم ، جوابها نعم
 فكيف يعتادنا في ودكم سأم
 جوارحى اليومِ فيكم وهى تخنصم

(٢) يشير إلى قول المتنبي (٢٥٤ ط هندية) :

وبينا لو دعيتم ذاك معرفة إن المعارف في أهل النهي ذم

(١) النو : المطر .

(٣) انظر ما سبق ص ١٤٤ .

تقول عيني لقلبي : قد ظفرت بهم
وقول قلبي لعيني : إن حظيت بهم
دوني ، ومالك مثل أدمع عجم^(١)
مع بعدهم فلي الأشواق والألم
وفاؤه ، وبئو الدنيا له خدم
إذا رأيت مليكا ظل يملكه

(٢٦٥)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(٢) :

يا راكباً تقطع للبيداء همته
بلغ أميرى : معين الدين ، مالك^(٣)
والعيس تعجز عما تُدرك الهمم
من نازح الدار ، لكن وده أم^(٤)
وقل له : أنت خير الترك فضلك الحياء ، والدين ، والإقدام ، والكرم
وأنت أعدل من يُسكى إليه ، ولي
هل في القضية يأمن فضل دولته
تضييع واجب حق بعد ما شهدت
وما ظننتك تنسى حق معرفتي
ولا اعتقدت الذي بنى وبينك : من
لكن ثقاتك ما زالوا يغشهم^(٥)
بأعوك بالبخس ، ييغون الغنى ، ولهم
وعدل سيرته بين الورى علم
به النصيحة ، والإخلاص ، والخدم
إن المعارف في أهل النهى ذم^(٦)
وِد ، وإن أجلب الأعداء ، ينصم
حتى استوت عندك الأنوار والظلم^(٧)
لو أنهم عدموك ، الويل ، والعدم

(٢) انظر القصيدة ص ٤٠ .

(١) عجم الدع : سال .

(٤) الأم : القرب .

(٣) المالك : الرسالة .

(٥) مضمون قول المتنبي : (يا أعدل الناس إلا في مما ملئني فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)

(٦) عجزيت للثني وانظر الهامش (٢) بالصفحة السابقة .

(٧) في المفردة (بتنهم) تحريف .

(٧) أجلبوا : تجمعوا .

(٩) مضمون قول المتنبي (٢٥٣ ط هندية) :

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

(وما انتفاع أسمى الدنيا بناظره)

والله ما نصَّحوا ، لما استشرتهم
 كم حرفوا من مقالٍ في سفارتهم
 أين الحمية^(١) والنفس الأبية ، إذ
 هلا أنفت حياة ، أو محافظة
 أسلمتنا ، وسيوف الهند مغمدة
 وكنت أحسب من والأك في حرم
 وأن جارك جارٌ للسموئل^(٢) ، لا
 وما طمان^(٥) بأولى من أسامة بالـ
 هبنا جنينا ذنوباً ، لا يكفرها
 ألقيتهم في يد الإفريج مبعأ
 هم الأعدى ، وقاك الله شرهم
 إذا نهضت إلى مجد توثله^(٦)
 وإن عرتك من الأيام نائبة
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيابتها^(٧)
 رشفت آجن^(٩) عيش ، كله كدر
 وإن أتاهم بقولٍ عنك مُحتملي

وكأهم ذو هوى في الرأي متهم
 وكم سَعَوْا بفسادٍ ، ضلَّ سعيهم
 ساموك حُطَّة خسف عارها بصم^(٣)
 من فعل ما أنكرته العرب والعجم
 ولم يرو سنان السهمري^(٣) دم
 لا يعتريه به شيب ولا هرم
 يخشى الأعدى ، ولا تغتاله التقم
 وفاء ، لكن جرى بالكائن القلم
 عذر ، فإذا جنى الأطفال والحرم
 رضا عدأ بسخط الرحمن فعلهم
 وهم بزغمهم الأعوان والخدم
 تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 فكلهم للذي يبكيك مبيتهم
 بحد عزمك ، وهو الصارم الخدم^(٨)
 ووردهم من نذاك السلسل الشم^(١٠)
 وإس ، فذاك الذي يحبي ، ويحترم^(١١)

(٢) وصم الشيء : عابه . وسامه : كلفه .

(١) الحمية : الأفة .

(٤) السموئل بن عادياء .

(٣) السهمري : الزع الطلب .

(٥) طمان خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء . زنكي بن آق سقر هرب من خدمته إلى دمشق فظله أتابك الشهيد
 ولج فيه فاشتمل عليه معين الدين أنزلي نيسية وحماه . فلما ألح في طلبه سيره إلى العرب إلى البرية ، وقام له بما احتاجه إلى
 أن رده إلى خدمته بدمشق (وأنظر الروضتين ١ : ١١٣) .

(٧) غيابة كل شيء : ما سترك منه .

(٦) أهله : أصله .

(٩) الآجن : الماء المنعير الطعم واللون .

(٨) الخدم : القاطع .

(١١) حياه : أعطاه .

(١٠) الشم : البارء .

وكل من ملت عنه قريوه ، ومن
 بغياً ، وكفراً لما أوليت من منن
 جربهم مثل تجربي ، لتخبرهم
 هل فيهم رجل يغني غنای إذا
 أم فيهم من له في الخطب ضاق به
 لكن رأيتك أدانهم ، وأبعدني
 وما سخطت بعادي إذ رعبت به
 ولست آسي^(٥) على الترحال عن بلد
 تعلقت بجبال الشمس منه^(٦) يدي
 لكن فراقك آساني ، وآسفني
 فاسلم ، فاعشت لي فالدهر طوع يدي
 والآك فهو الذي يقصى ، ويهتضم^(١)
 ومرتع البغي ، لولا جهلهم ، وخم^(٢)
 فالرجال إذا ما جربوا قيم
 جلا الحوادث حد السيف والقلم
 ذرع الرجال يد يسطو بها وقم
 فليت أنا بقدر الحب نقسم^(٣)
 وما لخرج إذا أرضاكم ألم^(٤)
 شهب البراة سواء فيه والرخم^(٦)
 ثم انتنت وهي صفر^(٨) ، ملؤها ندم
 ففي الجوانح نار منه تضطرم
 وكل مانالي من بؤسه نعم^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها إلى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة أبي عبد الله
 محمد بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه في فكك
 أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي من أسر الفرنج ، وكان أسر

- (١) الاعتصام : الظلم .
 (٢) أرض ونحة : لا يجمع كلوها .
 (٣) مجزيت المتني :
 (٤) مجزيت المتني :
 (٥) أسيت عليه : حزنت .
 (٦) مجزيت المتني :
 (٧) ضرب من الصقور . والشبهة : يياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رنحة وهي طائر ضعيف .
 (٨) صفر : خالية .
 (٩) اقتصر معجم الأدباء . وتكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف في التقديم والتأخير أحياناً .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتح
ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يا ناصر الدين ، يا بن الأكرمين ، ومن يُغتنى ندى كفه عن وابل الدية^(١)
ومن حوى السبق في فضل ، وفي ورع
أنت العبي ، على ما فيك من لسن
تولى الجميل بلا من تكدره
هذا ابن عمك في أسر الفرنج ، له
يدعوك ، لابل أنا الداعي نذاك له
وأنت أكرم من تنبيه عاطفة القربى ، ويرجوه للعلی ذوو الرحيم
ومن تكن أنت مولاه وناصره
لا تحوجني إلى من الرجال ، فما
ولا تظني أدعو سواك ، ولا
علام أرتشف الرق^(٢) الأجاج ، وقد
أنا ابن عمك ، فاجعلني بفك أحى
فمك مثلي لا يغلو بما بذل المبتاع فيه ، ولا يُستام^(٤) بالقيم

فلم يحرّكه الشعر ، ولا سعى في خلاصه ، ولا أعان عليه ، وأدخر الله تعالى
أجر خلاصه وحسن ذكره ، لاولى الملك العادل نور الدين أدام الله أيامه ، فوهبه
فارساً من مقدّمى الداوية^(٥) ، يقال له المشطوب ، قد بذل الفرنج فيه عشرة آلاف
دينار ، فاستخلص به أخاه من الأسر .

(١) الذيم : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .
(٢) في الأصل : العذب . والتصحيح من رواية علي هامش النسخة . ورق المساء كفرح ونصر رقا بسكون النون
فتحها وروفا : كدر . والأجاج : الملح المر .
(٣) استام السلمة : طلب بيعها .
(٤) الداوية : طائفة من الفرنج الصليبيين .
(٥) نجوم : كل .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة رحمه الله :

هَذَا كِتَابٌ قَفِيٌّ أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَّطَتْ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارَهُ وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا^(٢) إِخْوَانُهُ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ يَبُوحُ بِسِرِّهِ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوَى إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُومُهُ وَتَذُودُهُ^(٤) عَنِ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفَتْ مُقَارَعَةَ الْحِكَاةِ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى^(٦) الْهَوَاجِرِ^(٧) ، لَا يَبْنِي ذَمْلَانَهُ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْمَعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمٌ حَرْبٍ تَلْتَلِطِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ خَوْفِ الْحِمَامِ ، وَلَا يُرَاعِ جَنَانَهُ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ إِلَيْكُمْ ، وَالْمَهَامُهُ بَيْنَنَا حَيْنَ الْوَيْفِ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسَ وَجِدٍ تُبِينُهَا

- (١) لم توافقه . (٤) التردد : الطرد والدفع .
(٢) تفرقوا أيدي سبأ : تبددوا . (٥) الحكاة : جمع كمي ، وهو الشجاع .
(٣) بها مش النسخة (بيته) رواية . (٦) السرى : سير عامق الليل .
(٧) قال ناقة مجهزة : فائقة في الشحم والسير . والمهجر : النجيب الجميل والجميل من كل شيء . والفاثق الفاضل على غيره .
(٨) ككثف) والهاجر .
(٤) الذميل ضرب من سير الإبل ، قيل هو السير اللين . ذمل يذمل ذميلا وذملانا ٢

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى الفداء لمن أذودُ بذكره
عني عوادي همّ والأشجان
وإذا فررتُ من الخطوب جعلته
فتي^(١) فيفرقها^(٢) امتناع مكاني
وكان معجزة المسيح كتابه
فإذا قضيت^(٣) من الأسي أحياني

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

وإن امرأ أضحى "بإربيل" داره
وفي شيزر^(٤) أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم
ومعدورة أن تستهل جفونه^(٥)

قافية الهاء.

(٢٧١)

ومما يلحق بهذا الباب قوله يعاتب^(٦) :

إن ألقه سره قربي ، وآتسه
وإن أغب صدعني معرضاً، ولها
كأني ميت ، في النوم يبهجه
لقاؤه ، ثم ينسأه إذا انتبها

(١) الفنة : الطائفة .

(٢) يفرقها : يفرعها .

(٣) قضى : مات . والأسي : الحزن .

(٤) إربيل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت ليني منفذ بالقرب من حماة بالشام .

(٥) في هامش الديوان عن نسخة (شونو) . والشونون : جمع شان وهو مجرى الدمع إلى العين . واستهل المطر :

اشد انصايه .

(٦) البيتان من مختارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وافى كآبكَ مُعَلِّناً بِمِلاَمَةٍ قَدَحَتْ زِنَاداً فِي الجَوَانِحِ وَأَرِيّاً^(١)
وَقَرَأْتُهُ ، فوجدتُ طَرْفِي ضَاحِكاً فَرِحاً بِرُؤْيَتِهِ ، وَقَلْبِي بِأَكْبَا
وَتَعَمَّدَتْنِي نَافِذَاتُ سِهَامِهِ حَتَّى إِذَا أَصْمِنَ^(٢) عُدْنَ مَكَاوِيَا
وَتَطَلَّعَتْ مِنْهُ أَرَاقِمُ رَمْلَةٍ يُرْدِي السَّلِيمَ لُعَابُهَا وَالرَّاقِيَا^(٣)
فَكَانَ ذَاكَ الطَّرْسَ^(٤) أَضْحَى سَلَّةَ الحَاوِي ، وَهَاتِيكَ السُّطُورُ أَفَاعِيَا

(١) وردت النار : اتقنت .

(٢) أصمى الصيد : رماه ، قتلته ، كانه .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أخت الحيات وأطلبها لقاس . ويردى : يهلك . والسليم : اللدنيغ .

(٤) الطرس : الصحيفة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصفُ الرِّزْلَةَ الكائنة بشير :^(١)
رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّعْدُ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَّتْ حَيْطَانُهُ ، فَأَمَلَتْهَا شِمَالُ بَزْمِرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبٌ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَاحِكًا السَّيْنِ ، وَلِلجَوِّ بِالْغَمَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَذُوبٌ بِهِ السُّحُبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَذُوبُ
أَبْذَنْبُ أَصَابَهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلَا رِضْ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

وَصَاحِبِ لَا تَمَلُّ^(٣) الدَّهْرَ صَحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي ، وَيَسْعَى سَعَى مَجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مِنْهُ تَصَاحِبِينَ ، لَمَّا بَدَأَ لِنَظَرِيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبَدِ

(١) راجع ص ٧ و ١٦٤ و ٢٩٦ وورد معظمه في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ٥ : ١٩٤ ، ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٦٤

(٣) الراوية في ياقوت والخريدة (لا أمل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشمعة :

أُنْبِسِي فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشْبِهِي : نُحُولًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلُونًا ، وَأَدْمَعًا
أَوَاجُهُ وَجَهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتَهُ مِنْبِرًا إِلَى مَنْ أُمَّهُ مَتَطَّلَعًا
كُلِّبَسَ جِسْمِي سَقَمَ جَفْنِيهِ حَيْثُمَا بَدَأَ لِي عَايِنْتُ الْمَلَاةَ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْشَانِهَا النَّارُ وَاللَّذْعُ
تَذُوبُ جُزْيٍ ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِينٌ ، مَا لِشَيْبَتِهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَاتَبَأْ غَيْرَ دَمْعِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكَ قَبْلَهَا كُلَّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَسَلَّ عَنْكَ الْهَمُومَ إِذْ طَرَقَتْ بِنْتِ كَرِيمٍ ، فِي الْكَاسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلَّتْ : أَيْدِي السَّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فراه يفريه : شقه . وهذا البيت والبيت بعده مما اختاره مسالك الأبحار للأسامة (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِعِهِ تَاجًا ، به تَرْتَدِي وَتَنْتَطِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْتَقِرُّ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَقُوا
وَأَيْنَ مِنْ هَمِّي الْمُدَامُ ، وَقَدْ سَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الطَّرِيقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

عَجِبَ لِمَحْتَجِبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ الدَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خَلَاتِقُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتَنِي قَابَلْتُهُ ، فَفَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَانِي أَنْ أَفَارِقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقلمة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أقلامٌ مبريةٌ وسكين :

وافتك حالكه السواد ، يحالها صَبَغَ الشَّبَابُ النَّاطِرُ الْمَتَوَسِّمُ
فيها رماح انحطت مرهفة الشبا^(٥) تُرْدِي الطَّعِينَ ، وَلَا يَضْرُجُهَا^(٦) دَمٌ
من كل أهيف إن جرى في طرسه نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
بيض الأيادي في سواد لعابه فَكَأَنَّما الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
تحوى مسلطة^(٧) عليها ، يَحْتَدِي مِنْ حُدَّهَا الْمَاضِي الْحَسَامُ الْمَخْذَمُ^(٨)
تأديبها لهم بقطع رؤوسهم إِنْ قَصَّرُوا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرَسُّمُ
فانعم بحسن قبولها متطولا فَاالشُّكْرُ لَا يَحْوِيهِ إِلَّا مَنْعُمُ

(٥) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء .

(٦) ضرجه : لطفه .

(٧) المسلطة هنا يراد بها : السكين .

(٨) المخذم : القاطع .

(١) ترتدي : تلبس الزداد . وتنتطق : تلبس المنطقة .

(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٣ .

(٣) لم أسبر : لم أختبر .

(٤) نوع من الجلود .

باب الملح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ،
في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيرز ، وكان ينفّر
من ذكرها له :

قولا لرقيم^(١) في حلة^(٢) العرب :
بما استجازت عينك سفك دمي
جارك أولى برغي ذمته
لولاك ، والدهر كله عجب
هذا هوي ، كنت في بلهنية
أبسترق الكريم ذا النسب الوا
ويحمل الثأر من به خور^(٤)
نشدتك الله في احتمال دمي
ما فات قومي آل المهلب من
فلا تربقي دما لدى أدب

إليك أشكو ما يصنع اسمك بي
وأخذ قلبي في جحلة السلب
إن أنت راعيت حرمة الصقب^(٣)
ما خفرت في ذمة العرب
عنه ، فيا للرجال للعجب
ضح عبدا مستعجم النسب
عن احتمال الحجال والقلب^(٥)
فعشيري ما يفوتهم طلي
قبلي ثأر في سالف الحقب
بسطو بأقلامه على القضب^(٦)

(١) التريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) الحلة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) الخور : الضعف .

(٥) الحجال : الخلاخيل . والقلب : سوار المرأة .

(٦) نقضب : السيف .

قافية الشاء

(٢٨١)

وقال بمحسن الطوبان^(١) على سبيل الدُّعابة :
متى أرى الطُّوبانَ قد مهَّدت حيطانَه السُّودَ المحارِثُ
ما فيه إلا رِيحُ عادٍ ، وأجلاف طغام^(٢) ، وبراعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ، في سوداء :
شبيهة حباتِ القلوبِ ، لك الهوى وهل لفؤادٍ عن سويدانه صبرُ
على تحريكِ الدَّابِجِ زها الدُّرُّ مثلها زهت في دياجى الليل أنجه الزهرُ
لأنتِ شَبَابٌ ما يَشِينُ سواده بياضُ مشيبٍ ، والشبابُ هو العمرُ
لقد أكثرَ اللوامُ فيك ، وجهلهم إذا عَفَّوني في هواك ، هو العُدْرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمصر ، وكان له جارٌّ من الأمراء يعرف بفخر الملك بن طَلَّيب ،
وقعت في داره نارٌ فاحترقت ، وقصد المجون معه والعبث :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسراً إلى الإقرار بالأقدارِ
ما أوقد ابنُ طَلَّيبٍ قطُّ يداره ناراً ، وكان هلاكها بالنارِ

(١) الطوبان : حصن من أعمال حصن أرحمة . (باقوت) .

(٢) الطغام : أوغاد الناس .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال (١) :

أميرنا (٢) زاهدٌ، والنَّاسُ قد زهدوا له ؛ فكلُّ على الطَّاعات (٣) مُنكشُ
أيامه ، مثل شهر الصَّوم : طاهرة (٤) من المعاصي ، وفيها الجوعُ ، والعطشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رمانٌ مصرٌ كأنه ذرةٌ آكله شاخصٌ (٥) من الغصص
والريقُ فيها ، فدع سواه ، إذا أساغه المرءُ كان بالنَّغص
وليس يرصى اللبيبُ عيشته فيها ، ولكن زريقٌ (٦) في الققص

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إذا صاحبتَ عمرًا في طريقٍ فقد سارتَ ظلكَ في الطريقِ
فإن لم تلقَ إنسانًا سواه تُرافقه ، فأنت بلا رفيقِ

(١) هذان البيتان ممدودان بالألف في النسخة الأصلية : ١٠٣ ، وياقوت في معجم البلدان ٥ : ٢٠٤ ، والروضتين ٢ : ١٢٩

(٢) في النسخة وياقوت "سلطاننا" .

(٣) في المصدرين السابقين "الغيرات" .

(٤) في المصدرين السابقين "خالية" .

(٥) شخص بصره : فتح عينيه وجعل لا يظرف .

(٦) زريق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

غابُوا هَوَى شَادِنٍ فِي رِجْلِهِ قَصْرٌ^(١) مِنْ سُكْرِ الْحَاظِهِ فِي مَشِيهِ تَمَلُّ^(٢)
وَمَا هَوَى خُوطِ بَانَ مَاسٍ مِنْ هَيْفِ عَيْبٍ، وَإِنْ كَانَ عَيْبًا فَهُوَ مُحْتَمَلٌ

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتاز بقريه له من أعمال بالوا^(٤) ، تسمى لغي كوم ، كثيرة الفواكه والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاحها أرمن لا يعرفون العربية :

نزلت بأرض (بالوا) ، وهى حصنٌ علًا ، حتّى تمنطق بالنجوم
بروم ، لا تلائمهم طابعى وما العربى ذو إلفِ روم
سلامهم (هزار^(٥) باريك) ماذا شبيهه سلام خزان النعيم
وإن كلمتهم قالوا : (اشكديم)^(٦) ولست بعالم معنى (اشكديم)
وما تسوى^(٧) (لغى كوم) وإنهى سجًا^(٧) ليلي بها ، وصفًا نسي
وبرد مياهها ، وجنى جنان تحيط بها ، ويانعة الكروم
مقاني بين قوم ، إن تداعوا سمعت دعاء أصداء^(٩) وبوم

(١) الشاهن : ولد الظبية لوى واستغنى عن أمه .

(٢) الخوط : الفصن الناعم .

(٤) فى باقوت : بالوقلة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أذن الروم وخراسان .

(٥) وهذه ألفاظ غير عربية .

(٧) يقال هو لا يساوى شيئاً . ولا يسوى كيرضى قليلة . (٨) سجًا : سكن .

(٩) أصداء : جمع صدى : ما يردده الجبل على الصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولد له اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المحجون :
عتيقٌ كاهلالٍ ، إذا تبدَّى لسارى الليلِ من تحتِ الغيومِ
تقولُ ، إذا به الأترابُ حفُّوا : أهذا البدرُ ما بينَ النُّجومِ

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيٌّ قوألُ ، إسمه رضوانٌ ، حسنُ الصَّنَاعَةِ والوجه ، على سبيلِ المحجون :
يا ساكني جنَّةٍ ، رضوانُ حازنُها هنيئُ العيشِ في روجٍ وريحانِ
مرؤا النَّسيمِ ، إذا ما الفجرُ أيقظه بجمله طيبَ نَسْرِ^(١) منه أحياني
أو فابعثوا نعمةً منه يعيشُ بها قلبي ، فقد مات مُدَّ حينٍ وأزمانِ
ظبيُّ أغن^(٢) تردى بالدُّبحي ، وجلا شمسُ النهارِ ، على غصنٍ من البانِ
في فيه ما في جنانِ الخلدِ : من دررٍ ومن رحيقٍ ، ومن مسكٍ ، ومرجانِ
إذا بدأ وشداً في مجلسٍ ظنُّروا بمنية النفسِ من حُسنٍ وإحسانِ
لا تنسني يا أبانصر^(٣) ، إذا حضرتُ قلوبكم بين مرزومٍ وطرخاني^(٤)
كن لي وكيلًا على الرؤيا ، ووكل لي سواك يسمع عني شدو رضوان

(١) النشر : الريح العلية .

(٢) الأغن من الغرلان وغيرها : الذي في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطروشا . اه قلا عن الديوان .

(٤) طرخان : اسم للرئيس الشريف : كلمة خراسانية . وزم القرية : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَغَنَّى مِنْ قَلَانِدِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوِي ، وَأَشْجَانِي
نَسِيمَهُ يَتَلَقَانِي بِزَوْرَتِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَانِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوا لِي بِبَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُهَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
مَنْظَرٌ مَبِهُجٌ ، وَقَوْمٌ سَرَاءُ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بِنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمَّ ظَلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النُّسُوانِ
وَهِيَ جَنِيَّةٌ كَأَقْبَجٍ مَا شَرَّهَهُ رَبَّنَا مِنَ الْغَيْلَانِ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا شُمُوسًا فِي غُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبَانِ
شَغَلْتَنَا السَّبْعُونَ وَالْحِجُّ عَنْهُمْ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْعِيَانِ

(١) السراة : السادة .

(٢) أم ظلوم : عجوز كانت في الدار التي نزلها ببغداد فيبحة المنظر . اه قلاعن هاشم الديوان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضلِ عَبَّاسِ بنِ أَبِي الفُتُوحِ (١) ، شَفَاعَةٌ لِإنسان :

لقد عمَّ جُودُ الأفضَلِ السَّيِّدِ الوَرَى وأغنى غِنَاءَ الغَيْثِ حيثُ يَصُوبُ
أعدتُ ربيعَ النَّاسِ في كُلِّ بَلَدَةٍ فليسَ بها لِلرَّائِدِينَ جُذُوبُ
وجادتُ لهمُ بِالمالِ يُمنَاكَ ، إنَّهَا بذُولٍ على بُحْلِ الزَّمانِ وَهُوبُ
”وفي“ (٢) كُلُّ حَىٍّ قد خَبَطَتِ بِنِعْمَةٍ حُتَّى لِنَاسٍ من تَدَاكِ ذُنُوبُ“ (٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملكِ الصَّالِحِ من قَصِيدَةٍ سياتى أولُها :

غرَّني لامعُ السَّرَابِ ، وهذا السَّبْحُ دُونِي عَذْبُ المِياهِ شَرُوبُ
سرتُ أَسْتَقْرِئُ المَحُولَ ، وفي أَرَضِي مَرَعِي عَيْنِ (٤) ، ووَادِ قَشِيبُ
وسحابُ منه تَعَلَّمتِ السَّحَابُ ، وإن لم تُشهِهْ ، كيفَ تَصُوبُ
سوءُ حِظِّ أَنَايَ عن الملكِ الصَّالِحِ ، والحِظُّ يَنْتَهِي وَيُثُوبُ (٥)
وإلى بابِهِ مَالِي ، ولِلآبِ بَيْتِي (٦) حُسْنُ القَبُولِ حينَ يُنِيبُ (٧)

(١) وزير مصرى قتلَه الفرنج سنة ٥٥٥ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لعقمة بن عبدة كافي اللسان (خطب) وشاس اسم أمى عقمة . وخطبه بنعمة : أعطاه .

(٣) الذنوب : الحظ والنصيب . (٤) العين : بقرة الوحش .

(٥) تاب : رجع . (٦) الآبق : الهارب .

(٧) أناب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَا لَ مَقِيماً بِيَابِهِ ، لَا يَغِيبُ
 إِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ^(١) الدَّ اِنِّي فِئْتِي ذَاكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
 وَمَتَى مَا قُرْبْتُ مِنْهُ فَحَظِّي مِنْ عُلَاهُ التَّقْرِيبُ وَالتَّرْحِيبُ
 وَبِمَا نِلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقاً لَا أَحُوبُ^(٢)
 لَا ثِنَانِي الْعِبَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَا لَتَ أَعَادِ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
 أَوْ يُرَوِّى بِرُؤْيِي وَجْهَهُ الْمِمْسُونَ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرْفِي السَّكُوبُ
 وَيَقُولُ الْأَنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنْ ذَا لَعَجِيبُ
 خِفَاتِي ، وَإِنْ بَلِغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطِيبُ
 يَا أَخَا الْبِيدِ وَالسَّرَى ، وَأَخِي السَّبْرَ ، إِذَا عَقْنِي أَخٌ وَنَسِيبُ
 قُلْ لِيغِيهِ الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَلِيلِ ، وَغَوِي إِنْ أَرَهَقْتَنِي الْخَطُوبُ
 كَاشِفِ الْغَمَّةِ الْمُبِيرِ عَلَى الشَّحْبِ بِجُودِ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ^(٣)
 يَا رَبِّي الْمَرْيَعِ ، حَاشَاكَ أَنْ تُمَجِّلَ رَبِّي ، وَأَنْتَ ذُنُحْرِي ، الْجُدُوبُ
 أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهراً لِحَا^(٤) عُو دِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَنْسُ سَايِبُ
 وَخُطُوباً رَمَى بِهَا حَادِثُ الدَّ هِرِ سَوَادِي^(٥) ، وَكَأَنَّ مُصِيبُ
 أَذْهَبَتْ تَالِدِي^(٦) وَطَارْفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمُرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
 فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مِصْرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقٍ فِي^(٧) ، وَذَا مَنُوبُ
 وَإِبَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ ضَعِيفاً ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّكُوبُ

(١) تزح : بعد . (٢) الحوب : الإثم .

(٣) الصوب : الانصباب . (٤) لحا الشجرة : قشرها .

(٥) السواد : الشخص . (٦) التالد : ما ولد عندك من مالك أو نتج : والطارف : الحديث من المال .

(٧) القري : الغنيمة .

وِيرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِسَوَى الصَّامِ لِحْجٌ غُلًّا فِي حَمَلِهِ تَعْذِيبُ
 مَا اعْتَذَارُ الْمُنَى إِذَا مَطَّلْتَنِي بِطَلَابِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
 أَوْ لَيْسَتْ مِصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بِحَرِّ ، وَكُلُّ عَيْدٍ خَصِيبُ
 وَالنَّدَى طَبْعُكَ الْكَرِيمُ ؛ فَمَا أَهْنَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُثِيبُ
 جَاءَنِي وَالْبِحَادُ دُونِي ، كَمَا جَاءَ بَتَّ فَيَافِي^(١) الْبِلَادِ رِيحٌ هَبَّوْبُ
 وَعَجِيبُ أَنْ الْمَوَاهِبَ تَسْرِي وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفِدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
 سُنَّةٌ سَنَاهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
 مَنْ تَنَائَى طَوَى إِلَيْهِ الْفَيَافِي^(١) وَهَرَمَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
 وَلَهُ بِالنَّزَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سَبْطَةٌ ، وَصَدْرٌ رَحِيبُ
 وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّ مَتِ الدُّنْيَا سُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فأجابه بهذه القصيدة ، وقد تقدم أولها^(٣) :

يَا أَخْلَايَ بِالشَّامِ لَنْزِ غِبْمٌ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
 غَضَبَتْنَا الْأَيَّامُ قَرَبَكُمْ مِنَّا ، وَلَا بَدَأْنَا تَرْدَ الْغُصُوبِ
 وَلَكُمْ ، إِنْ نَشِطْتُمْ عِنْدَنَا الْإِكْرَامَ ، وَالرَّفْدُ^(٤) ، وَالْمَحَلُّ الْخَصِيبُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
 وَبِنَا يَدْرُكُ الْمُؤْمَلُ مَا يَرَى جُوهَ قَدَمًا ، وَيُنْقَدُ الْمَكْرُوبُ
 نَحْنُ كَالسَّحْبِ : بِالْبُورِقِ وَالرَّعْدِ لَدِينَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهيبُ

(١) الفيافي : جمع فيفا ، وهي المقازاة لا ما ، فيها .

(٢) المسترفد : المستعين . (٣) مطلع القصيدة .

بأبي شخصك الذي لا يغيب عن حياتي ، وهو البعيد القريب

وانظر ص ٧ و ص ١٥٣ و ٢٩٦ . وجزء كبير من النص في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨ .

(٤) الردف : العطاء ، والصلة . (٥) النضار : الذهب الخالص .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرَمَاتِ نَصُوبٌ^(١)
 كَرَهُ الشَّامَ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بِالْأَلَا يُقِيمَ فِيهِ لَيْبٌ
 إِنْ نَجَّاتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَقَهَا زَلْزَلٌ^(٢) وَخُطُوبٌ
 وَمِنْهَا :

أَنْ ظَنِّي ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَهَامِ الرَّبِيِّ : مِنْهَا الْمُخْطَى ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
 إِنْ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةَ الْقُدْسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
 مَنَزَلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَحْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
 تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمْرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسَ فِيهَا الصَّلِيبُ
 لَوْ رَأَى الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فِعْلًا ذَكَرُوا^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
 أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوبٌ
 وَمِنْهَا :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسَبٌ
 وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
 وَلَكَ الرِّبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكْنَتْ ، إِذْ تَشَبَّ الْحُرُوبُ
 أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرِيبٌ
 وَإِذَا مَا حَرَّضْتَ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيهَا تَقْوَلُهُ ، وَالْخَطِيبُ
 وَإِذَا مَا أَشْرَتْ فَالْحَزْمُ لَا يُنْكَرُ أَنْ التَّدْيِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
 لَكَ رَأْيٌ مُذَقِّطٌ^(٦) ، إِنْ ضَعَفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبٌ^(٧)

(١) الصُّوبُ : الْإِنصَابُ .

(٢) يُشِيرُ إِلَى الزَّلْزَلَةِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي حَدَثَتْ بِالشَّامِ وَأَتَتْ عَلَى شِيزَرُومَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ أَسَامَةَ . رَاجِعْ مَقْدَمَةَ الدِّيَوَانِ .

(٣) فِي هَاشِمِ الدِّيَوَانِ : زَعَمُوا . (٤) فِي الرُّوضَتَيْنِ : فِي الدِّينِ .

(٥) فِي الرُّوضَتَيْنِ : قَرَضَتْ . (٦) فِي الرُّوضَتَيْنِ : يَقْطَانُ .

(٧) الصَّلِيبُ : الشَّدِيدُ .

فانهض الآن مُسرِعاً ، فبأمتنا لك ما زال يُدرك المَطْلُوبُ
 والقرعنا رسالةً عند نُورِ الدِّينِ ، ما في إلقائها ما يريبُ
 قُلْ له ، دَامَ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ من لباس الإقبالِ بردُ قَشِيبٍ: (١)
 أَيُّهَا الْعَادِلُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ بَيْنَ شَبَابٍ ، وَلِلْحُرُوبِ شَائِبٌ (٢)
 وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَزْمِ مِنْهُ تُجَلَى الْكُرُوبُ
 وَعَدَا مِنْهُ لِلْفَرَنْجِ إِذَا لَا قَوْهَ يَوْمٌ مِنَ الزَّمَانِ عَصِيبُ
 إِنْ يَرُمُ (٣) نَزَفَ حَقْدَهُمْ فَلأَشْطَانِ (٤) قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبُ (٥)
 غَيْرِنَا مِنْ يَقُولُ مَا لَيْسَ بِمُضِيهِ بِفَعْلٍ ، وَغَيْرُكَ الْمَكْدُوبُ
 قَدْ كَتَبْنَا إِلَيْكَ ، فَأَوْضَحْ لَنَا الْآنَ (٦) بِمِذَا عَنِ الْكِتَابِ مُجِيبُ
 قَصْدُنَا أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ وَأَجَلٌ فِي مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
 فَلَدِينَا مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا ضَا قَ بَادِنَاهُمْ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
 وَعَلَيْنَا أَنْ يَسْتَهْلَ (٧) عَلَى الشَّامِ مَكَانَ الْغَيْوِثِ مَا لَ صَبِيبُ
 أَوْ تَرَاهَا مِثْلَ الْعَرُوسِ : تَرَاهَا كَلَّهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا مَحْضُوبُ
 لَطَائِنِ السُّيُوفِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِبُ
 وَلِجَمْعِ الْحَشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ سَلْبٌ مُهْمَلٌ لَهُمْ وَنُوبُ
 وَيَحْوِلُ الْإِلَهَ ذَاكَ ، وَمِنْ غَا لَبِ رَبِّي فَإِنَّهُ مَغْلُوبُ (٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم .

(٤) الشطن محرقة : الحبل الطويل .

(٥) القلب : البر .

(٦) اشتد انصبا به .

(٨) هذه القصيدة وصفت لما أصاب القدس في عهد الحروب الصليبية واستنأض من الوزير المصري الملك الصالح

الملك الناصر نور الدين محمود كي يجتمع شمل البلدين لطرد العدو من الوطن المغتصب .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يا مُتَهَيِّ الأَمَلِ امْتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيِّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الخُطُوبِ بَلْحَا
هَدَى نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ المَاضِي عَقِيمًا ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نُنَجَّا
أَتَتِكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطَيْمَةً^(١) لَا كَتَسْتُ مِنْ نُشْرِهِ^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فِيَا أَحَا العِزِّمِ يَطْوِي البِيْدَ مُنْصَلِتًا فِي سَيْرِهِ عَنِ مَسِيرِ العَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قَلْ لِلهَدْبِ فِي فَضْلِ ، وَفِي خُلُقٍ وَاللَبْلِغِ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَرَّحَا
مَنْ يَنْثُرُ الدَّرَّ فِي نَثْرِ الكَاتِبَةِ إِنْسَاءً ، وَيَنْظُمُهُ فِي النَّظْمِ إِنْ مَدَحَا
مَنْ لَفْظُهُ تُسَكَّرُ الصَّاحِي فَصَاحْتُهُ^(٦) وَلَوْ وَعَى فَضْلَهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا :
أَتَتِكَ مُعْرِبَةَ الأَنْبِيَاءِ مُعْرِبَةً عَنِ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الوُدِّ ، أَوْ تَزَحَا

(١) الطيئة : المسك .

(٢) النثر : الريح الطيبة .

(٣) الأرج : توهج ربح الطيب .

(٤) اهل أول القصيدة في باب الغزل ص ١١ قوله : أرته غرته في الجبر مصلحتي .

أو قوله : عقائل الحلى أم سرب الميا سحبا ...

(٥) الوحى : العجلة والإسراع . وانصلت : مضى وسبق .

(٦) - في دماش الديوان : بلاغته .

فاسمع ، فلا زلت للخيرات مُستمعاً
 مولاى إن سدَّ عني باب أنعمه
 ولم يجذ لي بطرف من مواهبه
 بعوده السكب إن أكذت^(٢) محابله^(٣)
 وكم له من يدٍ عندي تزيد على
 أقل ما نلت من جدوى^(٤) يديه غنى
 لقد غنيت به عنه ، كما غني السغد
 بغير السحب عنها ، بعد ما طفحا
 لكن بقلبي هم زاد سورته
 أظن بي العجز في الحرب العوان ، وهل
 ومنها :

فقل له ، جدد الله البقاء له .
 كم قد بعثت إلى عايك من أمل
 وأنت من لو حبا الدنيا بأجمعها
 وما سلبت فذنب الدهر معتق
 ما شق جيب الدجى صبح وما وضحأ :
 أنلتني به ، وكم من مطلب نجحا
 لم يرضه ما حبا منها وما منحا
 وصرفه ما جنى جرماً ولا اجترحا^(٥)

تافية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كناس سرب المها عريسة الأسد^(٧) فكيف بالوصل للستهتر^(٨) الكمد
 والبيض ، دون خدور البيض ، مصلته
 حكمت جداول ماو غير مطرد

(١) أبزل . (٢) أكدى : بخل ، أو قل خيره . أو قل عطاءه . (٣) فخايله : جمع فخيلة من خال بمعنى ظان .
 (٤) الجدوى : العطية . (٥) سورة الشى : حدثه . ويخجو : يسكن . وقدح بالزند : رام الإبراء به .
 (٦) صرف الدهر : نوائبه . واجترح : اكتسب .
 (٧) الكناس : مستتر الظني في الشجر . والمها : بقرة الوحش . والعريسة : ماوى الأسد .
 (٨) استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله : قتن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

وكلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَهْدَمٌ ذَرَبٌ^(١) بَمَذَوَّةِ النَّارِ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تُقَدِّ
 إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذِي لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مَيْلِ ذِي الْأَوْدِ
 وَالْيَيْضُ وَالسُّمْرُ لَا تَرَوَى بِغَيْرِ دِمٍّ مِنْ كُلِّ جَانِثَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّبْدِ
 صَدِينَ حَتَّى جَلَّاهَا فِي النُّحُورِ وَفِي السُّهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلًّا^(٤) كُلُّ صَدِّ
 مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّبْفَدِ^(٥)
 وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكِسَادِ ، فَمَا تَرَى سِوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدِ
 مَنْ عَدَلُهُ أَمَّنَ الشَّاءَ الْمُهْمَلِ فِي عَرَيْنٍ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةَ الْأَسَدِ
 مَنْ يَلْتَقِي الْمُنْذِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَنُوهُ قَصْدًا بَعْفُوغَيْرٍ مُقْتَصِدِ
 يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُورًا بِهَا جَدَلًا فَمَنْهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) وَلَا نَكِدِ
 وَمَا تَدَمَّرَ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَّأَ عَنْ مُحِيًّا بِالْحِمَاءِ نَدِ
 كَالْمَشْرِفِيَّةِ فِيهَا حُسْنُ رَوْنِقِهَا فِي السَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالغُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُنْقَدِي ، وَيَدُ الزَّمَانِ تَنْوُشِنِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدْيٍ ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
 حَتَّامَ أَنْتَ لِتَقْبِلَ هَيَّ حَامِلٌ وَمَا يَبْيِضُ^(٩) الدَّهْرُ مِنِّي جَابِرُ
 وَمَقَارِعُ دُونِي الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَئِدُ حَامِرُ

- (١) الهدم : القاطع من الأسته . والدرب : الحاد .
 (٢) أود : اعوج .
 (٣) أود : اعوج .
 (٤) الغل : العنق . والعنق : العنق .
 (٥) الصدف محركة . الوثاق .
 (٦) من الحيل : قطعه .
 (٧) تنوشني : تناولني .
 (٨) أقال جدده : رفعه من سقوطه . والجد : الحظ . وكبا : انكب على وجهه .
 (٩) هاض : كبر .
 (١٠) استلام : لبس الامة وهي الدرع . والحاسر : المتكشف .

مهلاً ، فِدَى لِكَ مَهْجَةً دَافَعْتَ مِنْ حَوَائِبِهَا^(١) ، إِذْ لَيْسَ غَيْرَكَ نَاصِرٌ
خَفِضَ عَلَيْكَ ؛ فَلِلْأُمُورِ نَهَايَةٌ وَإِلَى النِّهَايَةِ كُلِّ شَيْءٍ صَاوِرٌ

(٢٩٨)

وقال يمدح الأمير معين الدين أنزوقد لقي الفرنج فهزموهم :
كُلَّ يَوْمٍ فَتَحَ مَبِينٌ ، وَنَصَرَ وَاعْتَلَأَ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهَرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غِرٌّ
صَدَقَ النَّعْتُ فِيكَ ، أَنْتَ مَعِينُ الدِّينِ ، إِنْ النُّعُوتُ فَأَلْ وَزَجْرُ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ؛ فَلَا فَلَ غِرَّارِيكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ يَاسِيفَهُ الْخِزْمَ^(٣) عِزًّا ، وَذَلَّ شِرْكَهُ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِكَ مَا تَوَقَّلُ ؛ إِنْ اللَّاهُ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تُضَمِّرُ الْجِهَادَ مُسْرًا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أَمَكَانَ جَهْرُ
كُلِّ ذَخِرِ الْمُلُوكِ يَفْتِي وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لِلنَّدَى مَالِكِ الْمُبَاحِ ، وَمَا مَا لُكُ إِلَّا جُرْدٌ^(٤) ، وَبَيْضُ ، وَسُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكِنَّا بَعْدَنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
فُحْرْمَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيْعَ مَا كُنَّا زَرَعْنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمْرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْتَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفَعُ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتُرُ
كَانَ حِظِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(٢) أعتبه : أعطاه العتي وهو الرضا .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر .

(١) الحوایا : النفس .

(٣) خذمه : قطعه .

لَا تَنَامِي مَنْ كَانَ ظِلِّكَ فِي الْعُسْرِ وَضِيْقِ الزَّمَانِ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسْنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مِثْلِكَ فَضْلٌ ، يَرُوبُهُ بَدْوٌ وَحَضْرُ
فَاقٍ ، وَاسْلَمَ ، وَزَدَ عَلَى رَغَمِ أَعْدَاكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ بَحْرُ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعْدَايَكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَبَّضَتْ جَبْرُ^(١)

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتُرُ السُّدْحَانَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلنُّورِ
يُورِي إِسَاءَاتِي ، وَيُبْدِي مِحْسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغِيبِي وَمَحْضِرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عباس رحمه الله :

يَا مَنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعُلَا وَيَرِي الثَّنَاءَ أَجَلَ ذُنْحِرٍ يُذْنَحُرُ
أَغْرَبْتَ فِي بَذْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبْتُ الْعُلِيَاءَ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَا يُبْمَهُرُ
وَسَعَيْتَ لِلجِدِّ الَّذِي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُرُونَةٌ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلْتَ جُودَكَ لِلْعَفَاةِ^(٢) ، فَطَاهَمَ
كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتَنِيهَا ، أَثْمَرْتُ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَيْدِي تُثْمَرُ
وَكَرَامَةٌ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشِكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكُرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِي يَزِينُ ، وَإِنَّمَا بِنَاءٌ مِنْ بِنَائِي عَلَيْهِ يُفَخَّرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالرُّوسِيِّ : ذَا^(٥) مِنْ قَطْرِهِ نَبْتُ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان .

(١) أغب : جاء يوما وترك يوما . وتبعض : انكسر .

(٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف .

(٣) أغرب : أتى بالغير .

(٥) الروسي : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدم أول^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصا لِح لا تهتدى له الغير^(٢)
أنهاني، ثم علني جوده الغم ر ، فبعدي عن بابه صدر^(٣)
فقل لمن ستره بعادي : ما تبعد أرض يؤمها المطر
ماضرتني البعد عن ندى ملك يبلغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلاب جوده ، فلن يرجو مقام ، وللندي سفر
أبقت عطاياه لي غناي ، كما تبقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال أيام تزهو تيباً ، وتفتخر
أطال باعي جميل رأيك ، فال أحداث دوني في باعها قصر
وشد أزري ، حتى رجيت أن يحمل عني أثقال ما أزر
أنشرت لي أسرتي، فشكري، ما فاه في، في البلاد منتشر
وانتشتهم من يد الخطوب، ولا ملجأ منها ينجي ولا وزر
سيرهم فضلك الذي أعجز الوصف ، ولم تتل مثله السير
فأغل ، ودم، ما علا النهار ، وما أضاء في حندس الدجى القمر^(٥)
مشرفاً عصرنا البهيم^(٦) ، فأيامك فيه الأوضاح والغر^(٧)

(١) أزل القصيدة :

أوا فادتك منهم الذكر ومظتهم قلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النهل : أول الشرب . والعلل : الشرب بعد الشرب . والنمر : الماء الكثير . والصدر : الرجوع .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

(٥) الحندس : الظلمة .

(٤) أنشأه : ترجمه .

(٦) البهيم : الأسود .

(٧) الأوضاح : جمع وضع ، وهو يبيض الصبح . والغر جمع غرة ، وهي يبيض في الجبهة .

وَأَجْتَنَاهَا بِنْتَ يَوْمَهَا ، ثُمَّ عَمَّرُ الدَّهْرِ ، حَتَّى يَفْنَى ، لَهَا عَمْرُ
يَضُوعُ مِنْهَا فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَرْبٌ نَسَاءٌ كَأَنَّهُ قَطْرٌ^(١)
وَلَوْ رَأَى الْجَوْهَرِيُّ أَلْفَاظَهَا الْغُرَّ لَمَا شَكَ أَنْهَا دُرٌّ
هَذَا ، وَفِيهَا ، إِنْ رُمْتُ شُكْرًا لِإِنْعَاءِ مَكَ أَوْ حَصْرٍ بَعْضُهُ ، حَصْرٌ

(٣٠٢)

وقال :

سَأْرَحَلُّ عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَ قَالَ بِشُكْرِ يَفْعَمُ الْآفَاقَ نَشْرًا^(٢)
وَمَا شُكْرِي لِمَا أَوْلَيْتَ كُفًءٌ وَلَكِنِّي سَأَلِي فِيهِ عُدْرًا^(٣)

قافية السين

(٣٠٣)

وقال :

لَلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَتِيٍّ أَبَدَتْ بِهِ أَيَّامُنَا بِبَشَرِ الزَّمَانِ الْعَاسِ
صَدَقَتْ أَمَانِي الْخَيْرِ فِيهِ ، فَلَمْ تَدْعُ صَدْرًا يُضْمُّ عَلَى فَوَادِ آيسِ
نَالَ^(٤) الْعُلَا ، حَتَّى أَقْرَبَ بِفَضْلِهِ وَعُلَاهُ كُلُّ مُعَانِدٍ وَمُنَافِسِ
جُودٌ كَمَا الْمُنْزِنِ طَلَقُ خَالِصِ مِنْ مَنِّ مَنَانٍ وَمَنْعٍ مَمَّا كَسِ^(٥)
وَمَوَاهِبٌ لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْوَرَى مَا كَانَ يُوجَدُ فِيهِمْ مِنْ بَائِسِ
وَنَدَى يَدٍ لَوْ أَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي الْأَرْضِ أَمْرَ كُلِّ عَوْدٍ يَابِسِ

(١) القطر بالضم : العود الذي يتجرب به . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) قلاه : أبيضه . وفضمه الطيب : سد خياشيمه . والنشر : الريح الطيبة .

(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فقبله .

(٤) بهامش الديوان (حاز) رواية .

(٥) ما كسه في البيع : شاحه .

قافية الطاء

(٣٠٤)

وقال في الملك الصالح من قصيدة مضى أولها^(١) :

ومن عَلِقَتْ بالصَّالِحِ الْمَلِكُ كَفَّهُ
ومن دُونِهِ، إن رَابَ خَطْبُ، ذَوَابِلُ
فَلَيْسَ لَهُ دُونَ الْعُلَا وَالْغَنَى شَرْطُ
وَبِيضٌ، وَجَرْدٌ، لَا الْقَتَادَةَ وَالْخَرْطُ^(٢)
وَأَمَّارَتْ جُدُودِي مَذَّعَلَتْ بِجِبِلِهِ
وَكَانَ لَهَا فِي خَطْبِ عَشْوَانِهَا خَبْطُ
لَهُ نَائِلٌ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمِيلٍ
«إِذَا جِيرَةٌ سَمِيحًا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا^(٣)»
عَلَى كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةٌ مِنْ نَوَالِهِ
وَفِي كُلِّ جَيْدٍ مِنْ صِنَائِعِهِ قُرْطُ
وَكَمْ أَمِيلٍ جَفَدَ أُنَى الْيَأْسِ دُونَهُ
تَلَقَّاهُ مِنْ إِنْعَامِهِ نَائِلٌ سَبْطُ
وَكُنْتُ أُرْتَحِي مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغَنَى
إِذَا مَا عَدَا فِي كَفِّهِ الرَّفْعُ وَالْحَطُّ
فَلَمَّا وَرَى زَنْدُ الْمَعَالِي بِكَفِّهِ
وَقَالَ نَدَاهُ لِلْوَفُودِ : أَلَا حَطُّوا
نَأَتْ بِي الْيَالِي عِنْدَهُ ، لَكِنَّ جُودَهُ
أَتَانِي ، وَلَمْ يَحْجِزْهُ نَائِيٌّ وَلَا شَطُّ
كَذَا الْغَيْثُ يَسْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ
فَكُلُّ لَهُ مِنْ فَيْضِ وَابِلِهِ قَسْطُ
وَإِنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا
لَمَنْ زَاغَ ، أَوْ حَاذَاهُ مِنْ أَفْقِهَا خَطُّ
فَأَنْزَرُ حَنْتِي مِنْ مَوَاهِبِ الْغَنَى
وَأَيْسُرُ تَخْوِيلِي^(٥) الْعَشِيرَةَ وَالرَّهْطُ

(١) مطلع القصيدة :

أجيرة قلبى إن تدانوا وإن شطوا .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر . والخروط : الدابة الجوح تجذب رسلها من يد مسكها ، ثم تمضى ، والجمع : خرط . والذوابل : الرماح ، والجرود : الخليل القصيرة الشعر . (٣) العشوا : الظالة .

(٤) مطلع قصيدة أبي العلاء المعرى :

لئن جيرة سموا النوال فلم ينطوا يظلمهم ما ظل بينته الخلط

وأعطى : أعطى .

(٥) خوله : أعطاه متفضلا .

حَبَانِي نَفُوسًا ، لَا تَقْبِسًا مِنَ اللَّهِ (١)
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رُزِيكَ ، لِإِنَّهُمْ
 بَنُوا الْحَرْبِ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبَنُوا النَّدَى
 إِذَا مَا اخْتَبَوْا (٢) فَالرَّاسِيَاتُ رَجَاحَةٌ
 لَهُمْ جَبَلٌ ، لَا زَعْرَعُ الْخَلْطُ رَكْنَهُ
 أَقْرَ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ
 فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 فَأَجَابَهُ مَحْرُضًا عَلَى الْجِهَادِ (٣) :

هِيَ الْبَدْرُ ، لَكِنَّ الثَّرِيًّا لَهَا قُرْطُ
 مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظَلَالِلُ
 تَسُومُ صَرِيعًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ
 فَمَا اخْضَرَّتْ تَرْبُ (٤) الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهَا
 وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوِضِ إِلَّا لِأَنَّهُ
 وَلَا طَارَ ذِكْرُ الظَّبْيِ إِلَّا لِأَنَّهُ (٥)
 مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَ الصَّبْحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي

- (١) اللهي بالضم : العطايا ، مفردة لهوة .
 (٢) جمع أشخط . والشمط : بياض يحاط سواد الشعر .
 (٣) احتجى باللوب : اشتبه به .
 (٤) نخط يخط نخطا ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كأنه نخط ، والنحط شبه الزفير .
 (٥) مات عطبة : شابا صحيحا .
 (٦) النص بعضه في الخريدة المطبوعة ١ : ١٧٦ ، والروضتين ١ : ١١٩ . وثلاثة أبيات منه في نقد الجان :
 القسم الثاني ، ومرآة الزمان ج ٨ .
 (٧) السمط : القلادة .
 (٨) في العقد والمرآة : نوب .
 (٩) المرط بالكسر : كساء من صوف أو خز ، جمعه مروط .
 (١٠) في الخريدة : وقد غدا .
 (١١) العطو ، رفع الرأس واليدين .
 (١٥)

إلى العَرَبِ الأَحَاضِ يُعْزَى قَبِيلُهَا
ولما غَدَت كالعَاج ، زُيِّنَ صَدْرُهَا
وَأُرْسِلَ فَوْقَ الخَدِّ صُدُغٌ مَكَلَّلٌ
ذَوَائِبُ زَارَ الخَصِرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ
يُنَافِي سَنَا الكَافُورِ إِنْ مُشِطَتْ بِهِ
وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَأَذَكْرْنَا ذَاكَ البِعَادُ مَعَاثِرًا
وَأَلْقَوْنَا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَوَادَ مُحِبِّهِمْ
وَلَيْسَ تَسْقُ الشُّفْنُ أُمُوجَهُ ، وَلَا
أَحْبَابِنَا بِالشَّامِ ، عَفْتُمُ جَوَارِنَا
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلِ زَاخِرَا
وَقَدْ عَشْتُمُ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى
وَكُتْمٌ لَنَا دُونَ الأَقْرَابِ أُسْرَةٌ
وَإِنَّا أَنَاسٌ ، لَيْسَ يَبْرِحُ جَارُنَا
وَيَمْتَاخُنَا^(٧) زُورَانَا ، فَكَاثِمَا
وَيُصْبِحُ بَسَطُ الكَفِّ بِالمَالِ عِنْدَنَا
وَتَحْرِقُ شَرْقَ الأَرْضِ والغَرْبَ خَيْلُنَا
وِظْلَمَاءٌ لِلشَّهْبِ الدَّارِي إِذَا سَرَتْ

وقد ضَمَّهَا فِي الحَسَنِ مَعَ يُوسُفٍ سَبِطُ^(٢)
بِحَقِّينَ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهُمَا الخَرْطُ
كَمَا انْسَابَ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ^(٣)
تَحَدَّرَ ، لَا جَعَدُ النَّبَاتِ ، وَلَا سَبِطُ
وَيُخْفِي سَوَادَ المِسْكِ ، فَهَوَلَهَا خَلِطُ
تَسَاوَى الرِّضَاوِ السَّخَطُ والقَرْبُ والشَّحَطُ^(٤)
نَاوَا ، فَكَأَنَّا مَا لَقِينَاهُمْ قَطُّ
إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لِلجَنَّةِ شَطُّ
بِسَاحِلِهِ لِلعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُّ
بِجَاوِرِكُمْ فِي أَرْضِهَا الخَوْفُ والقَحْطُ
بِمِصْرٍ لِيُغْنِي عَنْكُمْ ذَلِكَ الخُطُّ^(٥)
رِضَاكُمُ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوْفُكُمْ ، سُخْطُ
وَنَحْنُ لَكُمْ ، مِنْ دُونَ رَهْطِكُمْ ، رَهْطُ
يَحْكُمُ فِي الأَمْوَالِ مِنَّا ، فَيَشْتِطُّ^(٦)
غَدَا لَّهُمْ شَرْطٌ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَكُلُّ مَلِيكِ عِنْدَهُ القَبْضُ والبَسْطُ
عَلَيْهَا الشَّبَابُ المَرْدُ ، وَالجِلَّةُ الشَّمْطُ^(٨)
هَنَاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبِطُ

(٢) فِي الخَرْيْدَةِ : سَبِطُ .

(٤) الشَّحَطُ : البَعْدُ .

(٦) اشْتِطَّ : جَاوَزَ الخَدَّ .

(٧) المُنْتَحِ : الاستِقْطَاءُ . (٨) جَمْعُ أَشْمَطَ . والشَّمْطُ : بَيَاضُ شَعْرِ الرَّأْسِ يَخَالِطُ سَوَادَهُ . وَالجِلَّةُ : جَمْعُ جَلِيلٍ .

(١) الأَحَاضُ : جَمْعُ مَحْضٍ وَهُوَ الخَالِصُ .

(٣) الرُّقْطَةُ : سَوَادٌ يَشُوبُهُ نَقَطٌ بَيَاضٌ أَوْ عَكْسُهُ .

(٥) الخُطُّ بَالِضٌ : مَوْضِعُ الحَى .

كَمَا أَوَّلَ الْفَجْرَيْنِ سَقَطُ^(١) يُسَلُّ مِنْ
 سَلَلْنَا بِهَا بِيضَ السَّيْفِ ، فَلَاحَ فِي
 سَيْفٍ لَهَا فِي كُلِّ دِرْعٍ وَجُنَّةٍ^(٢)
 ذَخَرْنَا سَطَاهاَ لِلْفَرَجِ ؛ لِأَنَّهَا
 لَمْ قَسَطُهم فِي الْحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا هَا
 وَقَدْ كَانُوا فِي الصُّلْحِ ، لَكِنْ جَوَابُهُمْ
 سَطُورٌ خَيْرٌ لَا تُدْبِئُ دِيَارَهُمْ
 وَحَرْبٌ لَهَا الْأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ ؛ لَمَّا
 إِذَا أُرْسِلَتْ فَرَعًا مِنَ النَّقْعِ فَاحِمًا
 كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنْامُلٌ حَاسِبٍ
 رَدَدْنَا بِهَا ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا
 فَقُولُوا نُورِ الدِّينِ : لَيْسَ لِلْحَائِفِ السَّجِرَاتِ إِلَّا الْكَيْ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٣)
 وَحَسْمٌ أَصُولِ الدَّاءِ أَوْلَى لِعَاقِلٍ
 لَيْبٍ ، إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْمُدْنَفِ الْخِلْطُ^(٤)
 فَدَعِ عَنكَ مِيلاً لِلْفَرَجِ وَهُدَنَةً
 بِهَا أَبْدًا يُخْطِي سِوَاهُمْ ، وَلَمْ يُخْطُوا
 تَأَمَّلْ ، فَكَمْ شَرِطٌ شَرِطَتْ عَلَيْهِمْ
 قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدْرٌ بِهِ تُقْضَى الشَّرْطُ
 وَشَرٌّ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْنَّا بِكُلِّ مَا
 سَأَلْتَ ، وَجَهَّزْنَا الْجِيُوشَ ، وَلَنْ يُبْطُوا^(٥)

(١) السقط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري .
 (٢) الجنة : كل ما رقى .
 (٣) الفسط بالفتح : الجور والمدول عن الحق .
 (٤) الخبط : سيف البحرين ومرقا السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح . والخبط الثانية المراد بها الكتابة .
 (٥) أث النبات يث . كثير والثف . وهو أثيث . كثير عظيم .
 (٦) بط الجرح وغيره يبطه بطا ويجه بجا : إذا شقه .
 (٧) الخلاط بالكسر : أن يخاط الرجل في عقله .
 (٨) في الروضتين : لم .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عِذْرَاءَ، زَفَّهَا إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمَحْضُ وَالكَرْمُ السَّبْطُ^(١)
 هَدِيًّا^(٢) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنِ وَفَائِنَا وَإِنْعَامِنَا، ذَا النَّاجِ زَانَ، وَذَا الْقُرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَسْتَطُّ إِنْ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣) (أَجِيرَةَ قَلْبِي، إِنْ تَدَانَوْنَا وَإِنْ شَطُّوْنَا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلْنَا بَجُودِ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ النَّدَى الصَّالِحُ الَّذِي بِحَارٍ نَدَاهُ كَلْهَنَ شَرَائِعُ^(٥)
 يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عُظْمٍ مِنْهُ^(٧) كَأَنَّ عَطَايَاهُ لَدَيْهِ وَدَائِعُ
 يَحْكُمُ مُسْتَطُّ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ فَتَعْجَبُ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فإليك بنت الفكر، من بعد المدى تُهْدَى، فَشَرَّفَهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
 وصدائقها الإكرام، لا ما سبق في نَحْلِ الْكِرَامِ : مِنْ لَهَى^(٨) وَمَتَاعِ
 فهي الكريمة، ليس في أعراقها عَرَقٌ إِلَى الْأَطْمَاعِ بِالْتِرَاعِ^(٩)

- (١) السبب : السخى . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .
 (٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الشريعة : المورد .
 (٦) منت عليه : عددت له ما فعلته من الصنائع . (٧) المنز : الإنعام .
 (٨) اللهم جمع لهوة وهي العطية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .
 (٩) نزع إلى الشيء : ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجوادُ الذي يلقاهُ مادحُه وإن غَلا، فوقَ ما تُنخِي وما وصَفا
مَعَدُّلٌ في الذِّدى ، لَكِنَّ راحَتَه تَأبِي مع العَدْلِ إِلا البَدَلِ والسَّرِفا
صَعِبُ الإِباوِ ، إِذا ما هَجَتِ سَورَتَه ^(١) نَزُرُ الرِّضا ، إِذا اسْتَعطَفْتَه عَطَفا
بَادى الحُقُودِ على أَعْدانِه ، إِذا نالَتْهُمُ قَدْرَةٌ مِنْه حِبا ^(٢) ، وَعَفا
نَغَشَى مَوارِدَ مِنْ أَخلاقِه كَرُمَتِ وِرْدًا ، وَنَزاتُ مِنْها رَوضَةٌ أَنفا ^(٣)
مَسْتَهْتَرٌ ^(٤) بِالْمَعالى ، لا يَزالُ على تَقَلَّبِ الدَّهْرِ مَشغُوفًا بِها كَلِفا
إِنْ أَخْلَفَ الغَيْثُ لَمْ تُخْلِفِ مواهِبُه أو فَظَّ دَهْرٌ على أبنائِه لَطُفا
عَدُلُ القَضِيَّةِ إِلا في مواهِبِه لَمْ يَقْضِ في المَمالِ إِلا جارا وَعَتِفا
تَعَمُّ نِعْماءُ ذَا نَقْصٍ وَذا شَرِيفِ كائِنَ البَحْرِ يَجوى الدَّرَّ وَالصِّدْفا
مَنْزَهَ الخَلْقِ عَنِ فِعْلي يُعابُ بِهِ فَمَ تَرى لِكِمالِ عَنه مُنْصَرِّفا

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها ^(٥) :

مَنْ كانَ لِي مِنْ حِماهُ خَيسٌ ^(٦) ذِي لَيدٍ ضارٍ ، ولى مِنْ نَداهُ رَوضَةٌ أَنفا ^(٣)
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِي مِنْ جَدوى يَدِيهِ غَنى وَفي ذُرّاهِ مِنْ الأَيامِ لِي كَنفا

(١) السورة : الحدة والبطش . (٢) حبا : أعطى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهتر بكذا : فتن به ، وذهب عقله ، وانصرفت همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكركم الود إن صدوا ، وإن صدقوا راجع ص ٨٥ .

(٦) الخليس : موضع الأسد .

الملك الصالح الهادي الذي شهدت
ملك أقل عطاياه الغني ، فإذا
أغر ، أروع ، في كفيه سحب ندى
هو الوزير الذي يأوي إلى وزر^(٢)
تريه آراؤه في يومه غده
بصيرة كشفت ما في القلوب له
سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
ولم تزف إلى كفء سواه ، وما
حبر ، إذا الليل آواه بجنده^(٥)
ومحرب^(٦) ما أنى المحراب مبهلا
مسهد ، وعيون الخلق هاجعة
وتشرق الأرض من لآلاء غرته
لم يدبر ما القصد^(٩) في جود ، ويعجبه
إذا حبا^(١٠) عادت الآمال راضية
يأيها الملك الموفى بدمته
إليك يا عادلا في حكمه ، وعلى
أشكوزمانا قضى بالجور في ، ولم
لحت^(١٣) نوابه عودي ، وأنقد مو

بفضل أيامه الأنباء والصحف
أدناك منه ، فأدنى حظك الشرف
تمنار^(١) سحب الحيا منها ، وتغترف
منه الأنام ، فيكفوا كل ما كلفوا
فيحسم الخطب فيه قبل ينكشف^(٣)
وأطلعت عليه قبل ينكشف
طوعا ، وفيها على خطابها صلف
زالت إلى مجده تصبو ، وتشرق^(٤)
بحر من العلم طام ليس يتزف
إلا وأدمعه من خشية تكف^(٧)
على التهجيد والقرآن معتكف
في دسته^(٨) ، فتكاد الشمس تنكسف
في بذل أمواله الإفراط والسرف
وإن سطا كادت الآفاق ترتجف
ومن تجلى عن الدنيا به السدف^(١١)
أمواله من قضايا جوده الجنف^(١٢)
يزل يجور على مثلي ويعتسف
جودي ، وشنت شملي ، وهو مؤلف

(١) الميرة : جلب الطعام .
(٢) اكتنفته القوم : كانوا منه بمنة وبسرة .
(٣) الخندس : الظلمة .
(٤) تكف : تقطر .
(٥) القصد : الاقتصاد .
(٦) السدف : الظلمة .
(٧) الوزر : الملجأ والمعصم .
(٨) في المصباح : استشرفت الشيء : رفعت البصر أنظر إليه .
(٩) الحرب : رجل الحرب الشجاع .
(١٠) القسبت : صدر البيت - معرب .
(١١) حبا : أعطى .
(١٢) الجنف : الحور .
(١٣) لخا العود : قشره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً
فاجمع بجودك شماً كان مجتمعا
وانشر بمعرفك المعروف مبيهم
فهو القريب مرالاةً ومعتقداً
وعش على رغم من يسناك مقتدراً
فأجابه :

آدابك العرُّ بحرٌ ، ماله طَرْفُ
نقول ، لما أتانا ما بعثت به :
خطُّ تترَّهت الأزهارُ حين بدا
إن نظمه طرَّقَ الأسماعَ كان لها
رقت حواشي كلامٍ أنت ناظمة
وردت بحرَ القوافي فاغرقت ، كما
زهت على البدر نوراً ، إذ أتت بسوا
قرطست^(٧) رميا ، وكم رامٍ بأسهمه
بخاطرٍ فاق غرر العَدِّ ، لا وشلُّ
إذا تطلَّع فوق الأرض ذو أدبٍ

في كل سمح بدأ من حُسنه طَرْفُ
هذا كتابٌ أتى ، أم روضةٌ أنفُ^(٣)
كأنه الدرُّ ، عنه فُتح الصَّدْفُ
وإن حوت عَطَلاً من حلية ، شنفُ^(٤)
فيه ، بجاء كزهر الرِّوضِ يُقتطفُ
قد حلَّ يوماً بمدَّ النيلِ مُغتْرِفُ
دِ النَّقْسِ^(٥) يشبهه من خده كَأَفُ^(٦)
إذا تُحَقِّق منه يسلم الهدفُ
ولا يبرِّض^(٨) إذا ما حلَّ يتنزفُ
فأنت منه على العيوقِ^(٩) تسترِفُ

(١) الطلقة بالضمه : الماء الصافي ، قل أوكثر والجمع نطاف ونطف .

(٢) شاد : أبغضه .

(٣) روضة أنف : لم ترع .

(٤) الشنف بالفتح : القرط .

(٥) النقس : المداد .

(٦) الكاف : سواد في صفرة .

(٧) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو أديم ينصب للنضال .

(٨) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل .

(٩) العيوق : نجم .

فَأنت مُدَّرِعٌ مِنْهَا وَمُلْتَحِفٌ
 فَعَنْ قَوَافِكِ شَيْلَتْ دُونَنا السَّجْفُ^(٢)
 كَمَا الْقُلُوبُ تُلاقِيها فَتَخْتَفُ
 شَوْقٌ تَجَدَّدُ مِنْه الْوَجْدُ^(٣) وَالْأَسْفُ
 يَحِيطُ بِالْقَلْبِ مِنْ أَرْجَانِهِ التَّلْفُ
 إِنْ^(٤) كُنْتَ عَنَّا عَلَى الْأَحْوالِ تَخْتَلِفُ
 حُرِّ ، وَكُلُّ قَضايَاهُ بِها جَنْفٌ^(٥)
 إِنْفاقَكَ الصَّبْرُ فِي شَرَعِ الْهُوى سَرَفُ
 الْأَجْرِ الْجَزِيلِ ، وَفِي إِحْرازِهِ شَرَفُ
 جَنابِنَا^(٦) دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَنْعَطِفُ
 ظَلَّتْ إِلَى بَيْتِهِ الرُّكبانُ تَخْتَلِفُ
 نُوفِي لِمَنْ ضَمَّهُ فِي قَرِينِنا كَنْفٌ^(٧)
 عَفْواً ، وَنَسْرَهُ فِي حِينِ يَنْكَشِفُ
 يَرْدُنَا الصَّفْحُ أَوْ يَعْتاقِنَا الْأَنْفُ^(٨)
 وَليْسَ يُدْرِكُنَا كَبْرٌ وَلا صَلْفٌ^(٩)
 وَلا لِمَوْعِدِنَا يَوْمَ النَّدى خُلْفُ
 إِذا دَنَا مُجْتَبِينَ مِنْها ، وَمُقْتَطِفُ
 قَدْ ضَلَّ مِنْ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ يَعْتَسِفُ^(١٠)

وَإِنْ تَعَرَّى دَعَى مِنْ فَضائِلِهِ
 إِذا تَخَنَّى لِقَبِيحٍ^(١) وَجَهُ قَافِيَةٍ
 لِأَعْيُنِ النَّاسِ نَهَبٌ مِنْ مَحاسِنِها
 إِذا ذَكَرناكَ مَجْدَ الدِّينِ ، عاودَنا
 وَدُونَ ما قَدْ وَجَدناهُ لَفَرَقْتُمْ
 وَلَوْ عَرَفْتَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ لَمَّا
 وَلا عَجيبٌ إِذا حَافَ الزَّمانُ عَلَى
 فِلا تَكُنْ جازِعاً ، إِنْ التَّجالُوزَ عَنْ
 فَإِنْ حَصَلَتْ عَلَى الصَّبْرِ اِحتَوَيْتَ عَلَى
 يا مَنْ جَفاناً ، وَلَوْ قَدْ شاءَ كانَ إِلى
 وَحَقِّ مَنْ أَمَّهُ وَفدُ المَجْبِيجِ ، وَمَنْ
 إنا لَنُوفِي عَلَى حَالِ الْبِعادِ ، كَمَا
 وَنَعْفُرُ الذَّنْبَ إِنْ رَامَ الْمَسِيءُ بِنَا
 وَإِنْ جَنَى مَنْ رَأى أَنّا نَعاقِبُهُ
 نَعَمَ ، وَنَحْفَظُ عِنْدَ الْغَيْبِ صَاحِبِنَا
 فَمَا لِإِعادِنَا يَوْمَ الْوَعْغَى مِيلٌ
 فَعِنْدِنَا جَنَّةٌ تَدنو النِّمارُ بِها
 هَدَى مُصاحِبِنَا ضَوْءَ النَّهارِ ، وَكَمْ

(١) فِي الْأَصْلِ (لَفْتَح) تَحْرِيفٌ . .

(٢) الْوَجْدُ : شِدَّةُ الْحَزَنِ .

(٣) السَّجْفُ : الظُّلْمُ . وَالجَنْفُ : المِيلُ وَالجُورُ .

(٤) الْجَنابُ : الْفِئاءُ وَالنَّاحِيَةُ .

(٥) الْأَنْفُ : الْاسْتِكاْفُ .

(٦) الصَّفْحُ : أَنْ تَمْلُحَ بِما لَيْسَ عِنْدَكَ .

(٧) السَّجْفُ : السَّرُّ .

(٨) إِنْ زائِدَةٌ بَعْدَ ما .

(٩) الْجَنابُ : الْفِئاءُ وَالنَّاحِيَةُ .

(١٠) الْأَنْفُ : الْاسْتِكاْفُ .

(١١) اعْتَسَفَ : حَبِطَ عَلَى غَيْرِ هِدايَةٍ .

فَلِإِنَّا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوعٌ لَمْ تَزَلْ تَكْفُفُ
كُنْفِي اغْتِرَابًا ، فَعَجَّلَ بِالْإِيَابِ لَنَا فَمَنْكَ لَا عَوْضُ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجْبَنَّا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عَلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقُدِّمْتَ لَكَ تَمْهِيدَاتِنَا ، وَبَهَا وَخَشُ الْفَلَاةِ ، إِذَا مَارُوعَتْ ، أَلْفُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَجْرِي ذِكْرَةٌ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامِ لَهَبِ النَّارِ نَعْتَكُفُ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنَاثُ فِي النَّسَاءِ عَلَى أَوْصَافِكُمْ قَصَرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَحْنُ نَحْذُ نِظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبْتَ بِدَاكَ إِذْ عَدَدُ النَّظْمِينَ مُؤْتَلَفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعِذَا ، وَقَلِ لِبَنِي الْأَمَالِ : قَدْ وَصَحَّتْ لَكُمْ سَبِيلُ الْأَمَانِي وَالنَّجْلِ الْأَسْفُ
وَأَيْنَعَتْ دَوْحَةً لِلْجُودِ دَانِيَةً الْقُ طُورِ ، يُجْنِي الْغَنَى مِنْهَا ، وَيُقْتَنَطُفُ
أُمُومًا بِأَمَالِكُمْ مِصْرًا ، فَإِنَّ بِهَا سَحَابَةً مِنْ نَدَاهَا السُّعْبُ تَغْتَرُفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نِيْلًا زَانِدًا أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتِ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارِ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِي ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةٌ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَصُّ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْتَصِفُ^(٤)
سَعَى بِهَا أَرْوَعُ^(٥) فِي الرَّوْعِ^(٦) ذُو وَرَعٍ فِي السَّلْمِ ، حَتَّى تَجَلَّى الْجُودُ وَالْجَنْفُ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَمَلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَدْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحدة والنشاط والتمادي . (٢) روى في الأمر : نظروا فكر .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك مناض ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انتصف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يعجلك بحسه وبجهازة منظره أو بشجاعته .

(٦) الروع : الفرع .

الملك الصالح الهادي الذي كشف الغمَاء^(١)، إِنَّ الدُّجَى بالصَّحْبِ مُنْكَشَفٌ
 مَنْ فِيهِ عَن زُحْرَفِ الدُّنْيَا وَزَيْتِهَا جَوَابُهُ نَعَمْ ، فِي إِثْرَهَا نَعَمْ^(٢)
 وَلَا تُؤَلِّمُ فَاهُ اللَّامُ وَالْأَلِفُ يُعْنَى الْعُقَاةُ^(٣) ، وَيَلْقَاهُمْ بِمَعْدَرَةٍ
 مَا يَبْلُغُ الشُّكْرُ مَا يُولِيهِ مِنْ مِثْنٍ لَكِنْ مَوَاهِبُهُ فِي الْخَلْقِ شَاهِدَةٌ
 كَالرُّوْضِ إِنْ لَمْ يُطَقْ شُكْرَ السَّحَابِ إِذَا يَا كَافِيَ الْخَلْقِ بِالنُّعْمَى ، وَكَأَفْلَهُمْ
 رَأَيْتُ مَجْدَكَ يُعَلِي قَدْرَ وَاصِفِهِ قَلْدَتِي أَنْجَمَ الْجُوزَاءِ ، قَدْ نُظِمَتْ
 أَعْلَتْ مَحَلِّي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ شَرَفِ حَلَا بِسْمِعِي ، وَحَلَّاهُ ، فَمَنَّهُ بِهِ
 جَعَلْتُ نَظْمِي لَهُ ، ضَنَّأَ بِفَانِحِهِ لِأَصْرِفَ الْعَيْنَ عَنْهُ ، إِنَّهَا أَبَدًا
 يَا كَاشِفَ الْغُمَّةِ ، أَسْمِعْ دَعْوَةَ كَلِمَاتٍ مِنْ نَازِحِ الدَّارِ بِالْإِخْلَاصِ مُقْتَرِبِ
 إِذَا رَأَى بُعْدَهُ عَنِ بَابِ مَالِكِهِ لَوْ حَاوَلَ الْخَلْقُ جَمْعًا حَمَلَ مَالِكََ مِنْ

مُدَّ رَاوَدْتَهُ عَلَى عِدَائِهِ ، ظَلَفُ^(٢)
 كَأَنَّمَا عَاتَبُوهُ ، وَهُوَ مُقْتَرِفُ^(٤)
 إِنْعَامُهُ فَوْقَ مَا تُؤْتِي وَمَا نَصَفُ
 بِشُكْرِ إِنْعَامِهِ ، وَالشُّكْرُ يَخْتَلِفُ
 هَمِي فَفَضْرَتُهُ بِالْفَضْلِ تَعْتَرِفُ
 حَتَّى لَقَدْ أَمْنُوا فِي عَدْلِهِ وَكُفُّوا
 فَكَيْفَ لَا يَتَعَالَى قَدْرُ مَنْ تَصَفُ
 عَقْدًا ، فَحَقَّ^(٥) لِمِثْلِي الْفَخْرُ وَالشَّرْفُ
 بِهَا عَلَى الْمُشْتَرَى^(٦) أَسْمُو ، وَأَشْتَرِفُ
 بَشْرِي ، بِإِدْرَاكِ مَا يَرْجُوهُ وَالشَّنْفُ^(٧)
 وَقَايَةً ، وَوَقَاءَ الْجَوْهْرِ الصَّادِفُ
 عَنِ الْكَمَالِ بِرُؤْيَا النَّقْصِ تَنْصَرِفُ
 شُكْرًا ، تَنْظُلُ لَهُ الْأَسْبَاعُ تَرْتَشِفُ
 حُرِّ ، بِرَقِّكَ دُونَ الْخَلْقِ يَعْتَرِفُ
 يَكَادُ يَقْضِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسْفُ
 مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَى شُكْرِهِ ، ضَعْفُوهَا

(١) الغمَاء : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء . بظلفها : منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه .

(٣) العُقَاة : جمع عُقَاة ، وهو مالاب المعروف .

(٤) اقترف الذنب : أتاه .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب السيارة .

(٧) الشنف : القرط .

كم فَاجَأْتَنِي مِنْ نُعْمَاكَ عَارِفَةٌ
 بها عَنِ الْوَعْدِ كَبِيرٌ ، كُلُّهُ كَرَمٌ
 وَجَمْعُ شَمْلِي بِمَنْ لِي فِي ذُرَاكَ ، وَإِنْ
 مُجَدِّدٌ لِي مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ
 فَابْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يَبْرُدُهُ
 وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا
 لَهُمْ تَشْيِيعٌ^(٢) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا
 فَنظَرَةٌ مِنْكَ تُحْيِيهِمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ
 وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الـ
 وَاسْلَمْ ، لَتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا
 وَالنَّاقِ الْأَعَادِي بَجْدٍ لَا يَحْوِرُكَ إِنْ

سَبِيلُهَا عَنِ سَبِيلِ الْوَعْدِ مُنْحَرَفٌ
 وَعَنْ تَقَاضِيهِ تَيْهٌ ، كُلُّهُ أَنْفٌ^(١)
 أَضْحَى لَهُمْ مِنْ نَدَاكَ الْبَرِّ وَاللَّطْفِ
 مَا زَالَ لِي تَالِدٌ مِنْهَا ، وَمَطْرَفٌ
 سِوَاهُمْ ، وَحَشَا مِنْ ذِكْرِهِمْ يَجْفُ
 بَعْدَى عَصَتِهِمْ ، فَفَاضَتْ أَدْمَعُ ذُرْفٍ
 مِنْ حَالِهِمْ غَيْرَ مَا اعْتَادُوا وَمَا الْفُؤَا
 مَحْمُولَةٌ عَنْهُمْ الْأَنْقَالُ وَالْكَؤُفُ
 اللَّاتِي إِذَا اسْتُعْطِفْتَ لِلْفَضْلِ تَعْطِفُ
 مَا اغْبَرَّتِ الْيَدُ ، أَوْ مَا اخْضَرَّتِ النَّظْفُ^(٣)
 خَانَتْ غَدَاةَ الْإِقْدَانِ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(٤)

فأجابه :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ عَمْرًا^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ^(٦)
 فَانْ يُجِدْ فَلْتَتَّ فِي الدَّهْرِ ذُو أَدَبٍ
 تُجْبِلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، فَلَا
 بَعَثَ مِنْهَا هَدِيًّا^(٨) فِي الْوَرَى ، جُلِيَتْ
 أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفٌ
 تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَارِ^(٧) يَغْتَرَفُ
 تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ
 فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

(١) الأنف : الاستنكاف .

(٢) نصح الياكى تشييعا : غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب . والإعوال رفع الصوت بالبكاء .

(٣) النطفة بالضم : الماء ، الصافي .

(٤) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحككة أو الرقيقة الحسنة السلاسل .

(٥) العمر : الماء الكثير .

(٦) ترَف : تزحمة كل .

(٧) زخر البحر كنع : طمى وعملاً .

(٨) الهدى بكسر الدال وتشديد الياء : العروس تهدي إلى زوجها .

عَذْرَاءَ ، تُثَبِّتُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا فَقَدْ أَفَادَتْ جَمَالًا كُلَّ مَنْ يَصِفُ
 بَعَثَهَا دِيمًا^(١) تُرَوَى بِهَا عَطَشَ الصَّادِي^(٢) ، وَمَسْكَنُهَا فِي سِيرِهَا الصَّحْفُ
 تُرَوَى الْقُلُوبُ بِهَا بَعْدَ الْعَيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهوَ يَرْتَشِفُ
 أَلْهَمْتُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانَ أَجْمَعَهُ إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفٌ^(٣)
 حَسَنَاءُ تَبْرُزُ فِي عَرْنِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنَ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفٌ^(٥)
 كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْخَنَ لَهَا عَجَبًا ، أُتِيحَ لَهَا مِنْ حَائِبِهَا شَنْفٌ^(٦)
 بَدَتْ لَنَا كَمَا يَبِيجُ الظَّلَامُ ، وَفِي رَأْيِ الْعَيُونِ أَتَمْنَا الرُّوضَةَ الْأَنْفُ^(٧)
 قَدْ بَرَهَنْتَ بِالْمَعَانِي عَنْ فَوَادِ شَجِّجٍ قَدْ هَاضَمَهُ الْأَثْقَالانِ : الْهَمُّ ، وَالْأَسْفُ
 إِنْ يَبْتَسِمُ غَلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتَبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفٌ^(٨)
 وَرُبَّ صَعِبٍ بَدَأَ ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفٌ
 وَكَمْ مَصَابٍ جَنَّتْهُ فِرْقَةٌ ، فَعَدَا سَحَابُهُ بِنَسِيمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ
 وَكُرْبِيَةٌ نَزَعَتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثُوبِ الْهَمِّ مُلْتَحِفٌ
 وَحِينَ تُسْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا يَضُرُّ مَاضِي لَيَالٍ عَمَّهَا السَّدْفُ^(٩)
 أَحْوَالُ ضُرِّكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَاضْحَمَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوْكِيدِهَا سَرَفٌ
 بَرَقَ الْيَقِينِ بَدَأَ مِنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَغُرُّ خُلْبَهُ^(١٠) ، بَلْ سَحْبُهُ تَكْفٌ
 لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مِنَّا بِالنَّجَاحِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١١)
 يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمَسُهُ ، لِأَكْمَلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
 أَوْلَادُ رَزِيكَ لَا تُغُرُّ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَفَاحِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ نُطْفُ

(١) ديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم في سكون .
 (٢) أنف منه كفرح : استنكف .
 (٣) أنف منه كفرح : استنكف .
 (٤) العرنين : الأنف .
 (٥) الوطف محرّكة : كثرة شعر الحاجبين والعينين .
 (٦) الروضة الأنف : التي لم ترع .
 (٧) وكف : قطر .
 (٨) هاضم : الحول : الحذق والقدرة على التصرف .
 (٩) السدف : الظلّة .
 (١٠) الخلب : المطمع الخلف .
 (١١) اختلاف إليه : تردّد .

وكم أراد الورى إحصاء فضلهم
لكنهم أخذوا ما تستقل به
ندني الغني من يدى ربّ المنى، فلنا
فى غيرنا نتجمل الآمال إن قصدت
وقد قضى الله بى تأليف شملكم
وقد أساء لكم دهر مضى، فإذا
واقضوا ديون الهوى عن مدة سلقت
وقد بدأنا، وتممنا، فهل أمل
نحن الزلال، دفعنا غصبة عرضت
وعندنا أهلكم، كانوا لعيشهم
كم جهد ذى الهم أن يبقى تجلده
لا تأسفن على فقدان غيرهم
قوم إذا ارتفعوا قدراً، هووا همما
ولا تقل إن تذكرت البلاد أسي
وإن دولتنا كنت الوحيد بها
عليكم بدع^(٥) الآداب قد وقفت
من ناشد عهد ذلك الاجتماع لنا
هتبت أهلك مجد الدين، فانجح الأ

فى المكرمات فما استطاعوا، ولا عرفوا
أفهامهم، وإلى حيث أتتوا وقفوا
به المطى إلى أوطانهم تحف^(١)
وما يحيب رجاء عندنا يقف
وكان ظنكم أن ليس يأتلف
شتم من الدهر فاقصصوا، أو انتصفوا
تساكياً، وعلى المستأنف استنفوا
يدعو، وهل مدمع قد عاد يندرف^(٢)
لكم، فلها عرضنا لم تكن تقف
كانهم عنك ما غابوا، ولا انصرفوا
عليه، والهم فى استمراره التلف
نقى الملاوم^(٣) قد جرت له عطف
فالمكرمات لعمري بينهم طرف^(٤)
بأن قلبك بالأشواق يخطف
فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف
فهاها عنكم فى الدهر منحرف
فقد أضاعته منكم نية قذف^(٦)
فراح، وانظر، فإن الخير مؤتلف^(٧)

(١) ذرفت العين ذمها : أساءه .

(٤) الطريقة : المال المستحدث .

(٦) نية قذف : بعبدة .

(١) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

(٣) الملاوم : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الائتاف : الاستئناف والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهَمِي مواهبه والسُّحْبُ جَامِدَةٌ فَمِنْ يَدَيْهِ مَصَابُ الْوَابِلِ الْغَدِقِ^(١)
نُعْمَاهُ تُطَلِّقُ أُسْرَى ، ثُمَّ تَأْبِسُهُمْ لَهُ ، وَكَمْ مَنَّةٌ أَغْنَتْ عَنِ الرَّيْقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مِثْلَ مُنْهَلٍّ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الصَّا لِحَ : يَرَوَى دَانٍ بِهِ وَسَجِيحُ
سُحْبٌ ، وَبَلَّهَا النُّضَارُ وَاللَّاءُ دَاءٌ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضَعُ لَأَنَّ بِهِ جِلَالَاً ، يَرُوعُ ، ثُمَّ يَرُوقُ
سَطَوَاتٌ تُخَشِي ، وَحَلْمٌ يُرْجَى وَنَوَالٌ طَلَّقَ ، وَوَجْهٌ طَلِيقُ
مَنْ حَكَّى بِي وَرَقِ الْجَمَانِمِ فِي الْأَفْنَانِ : جِيدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيقُ
وَسَنَانِي كَشَدُوهُنَّ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرُوقُ
رَوْتُقُ الصِّدْقِ فِيهِ بَادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصِّدْقِ كُلِّ سَمِجٍ يَتُوقُ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجَبُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِينَ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيقُ
أَسْمَعَتْ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّأَ هَا مَلِيكَ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ

(١) مصاب : انصباب . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر . ودقت العين : غزرت . ووجد : بجل .

(٢) الريق : جمع ريق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم كل عروة ربة .

(٣) أول هذه القطعة قوله : كم بل كم يلحى الحب المشوق راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .

(٤) تاق إليه : اشتاق .

ملكٌ عادلٌ ، أنارَ به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشروقُ
ما له عن جهاده الكُفْرَ والعدو لِ وفعلِ الخيراتِ شغلٌ يعوقُ
هو مثلُ الحُسامِ : صدرٌ صقيلٌ لِينٌ مَسُه ، وحدٌ ذليقٌ^(١)
ذو أناةٍ يخالفُ الغرَّ إهما لاً ، وفيها حتفُ الأعداى المحيقُ^(٢)
فاسلها للإسلامِ كهفين^(٣) ماطرًا زَ ثوبَ الظلامِ برقٌ خفوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال فى الشيخ أبى ترابٍ حيدرةَ بنِ نجمِ الكاتبِ ، وقد عَزَلِ عن الكتابةِ :
أبا تُرابٍ ، دهرنا جاهلٌ يرفعُ للشبهِ ذوى الجهلِ
كأنه الميزانُ : يعلو به ذوالنقصِ عن رتبةِ ذى الفضلِ
وما يخرُّ العزلُ مَنْ لم يزلِ من فضلهِ الباهرِ فى شغلِ

(٣١٣)

وقال :

أبا حسينِ فى طيِّ كلِّ مساءٍ من اللهِ صنعٌ للعبادِ جميلُ
كرهتُ لك الترحالَ أمسٍ ، ورجما أفادَ الفتى طولَ المُقامِ رحيلُ^(١)
وقد يكرهُ الشئَ الفتى ، وهو خيرُهُ له ، ويحبُّ الشئَ وهو وبيئُ^(٢)

(٢) أحاط به : أحاط به .

(٤) يشر إلى قول الشاعر .

وتسكب عيناي الدموع لتجدنا

(١) ذليق : حاد . وصقله : جلاه .

(٣) الكهف : الوزر والمجأ .

ساطب بعد الدار عنكم لتقربوا

(٥) الويل : الوخيم .

ولو لم تُفدِ إلاَّ الجهادَ ، فإنه
فكيف وقد أصبحتَ جاراً لما جد
كريم كليل^(١) الطرفِ عن عيبِ جاره
شَرى الحمدَ بالأموالِ ، لا يستقبلُ في
ومن كُعينِ الدينِ ، أمّا جنابُه
إذا وردتِ آمالنا بجرّ جوده
فكنْ واثقاً باللهِ ثمَّ بجوده

ثوابٌ ، كما نصَّ الكتابُ ، جزيلُ
يجودُ ، على علائِه ، ويُيسلُ
وما طرفُه عندَ السؤالِ كليلُ
شراهُ ، ولا عندَ البيعِ^(٢) يُقبلُ
فرحُبُ ، وأمّا ظلهُ فظليلُ
صدرنَ رواءً^(٣) ، ما بينَ غليلُ
فإني بما أملتُ منه كليلُ

(٣١٤)

وقال في نصر بن الأفضل^(٤) :

يا مُستقبلَ النني فيما تجودُ به
ومن إذا جادَ بالدنيا لآملِه
ومن إذا جردَ البيضَ الصّوارمَ في السهيجاءِ [أسكنها]^(٥) في الهامِ والقَللِ^(٦)
قد كنتُ أخضعُ في الخطبِ الملمِّ ، فذُ
وليتَ يانصرُ عادَ [الخطبُ]^(٧) يخضعُ لي
وبعدُ ، لي فيكِ آمالٌ ، وظنّي في
علاكَ [أنك]^(٨) توفي بي على أملي^(٩)

(١) كل بصره : نبا .

(٢) بايعه مبايعة وبياعا : عارضه بالبيع . وأقله : فسخته . واستقاله : طلب إليه أن يقبله .

(٣) رواه : جمع ريان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السمراب المعترض في الأفق . (٦) الهطل : تابع المطر العظيم القطر .

(٧) سقط بالأصل وأصل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمعنى .

(٨) القلة : أعلى الرأس . والهامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أشرف .

(٣١٥)

وقال من قصيدة :

فَتَبَّتِي أَلْتَجِي إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ ، وَذَحْرِي إِنْ غَالَ وَفَرَى غَوْلُ^(١)
بِعَلَاهُ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضِلَ مَا نَسُوْلُ أَقْضَى فَرَضَ الْعَلَا وَأُنَيْلُ
مَلِكٌ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيدَ وَالْعَهْدَ ، وَيَأْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنَيْلُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ رَحِمَةً ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ

ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
وَعَلَا خَامِلُ ، وَحَامَى جِبَانُ وَوَفَى غَادِرُ ، وَجَادَ بَنَجِيلُ
وَحَمَيْتَ الْبِلَادَ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا سَهْلُ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
وَقَسَمْتَ الْفَرَنْجَ بِالْغَزْوِ شَطْرَيْنِ : فَهَذَا عَانُ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
وَالَّذِي لَمْ يَجْنِ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْ فِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ نَجْمِي
مَثَلِ الْخَوْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
فَالرَّبِّي عِنْدَهُ جِيوشُ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ بَلْحَةِ أُسْطُولُ
وَإِذَا مَا أَعْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجِعَ فِي الْحُلْمِ سَيْفِكَ الْمَسْلُولُ
فَابْقِ لِلْسَّلْبِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرَنْجِ حَنْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
بَيْنَ مُلْكٍ يَدُومُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالٍ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحْوُلُ^(٦)
ثَابِتَ الدَّسْتِ فِي اعْتِلَاؤِ وَجْدٍ وَعَطَايَاكَ فِي الْبِلَادِ تَجْوُلُ
بَالِغَ الْعَبْدُ فِي النِّيَابَةِ وَالتَّحْرِيطِ ، وَهُوَ الْمَقْوَاهُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : أهلكه . والوفر : الفنى . (٢) العانى : الأسير .

(٣) حان : هلك . (٤) أعنى : نام نوما خفيفا .

(٥) أقض المضعج : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . (٦) تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابَتْهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفٌ ظَامِمَاتٌ ، وَبِالصَّهِيلِ خُبُولُ
وَرَأَى التَّقَعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضَ بِالْجِيوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأَسَدِ جَيْشٌ سَائِرٌ فَوْقَهُ مِنَ الشَّمْرِ غَيْلٌ^(١)
وَإِذَا عَاقَتِ الْمَقَادِيرُ فَاللَّهُ إِذَا حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زَدْنِي عُلًّا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِى^(٢) حَسْبَى مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالِ
أَعْنَيْتَ نَفْسِي وَيَدِي ، فَاسْتَوَى حَالَى فِي الْعَفَّةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَنَدَى سَيِّبِهِ^(٣) يُرْجَى ، وَمَنْ فَضْلِكَ إِفْضَالِي
وَأَتَمَّا أَبْنَى الْعُلَّا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلَهَا يَبْغِيهِ أَمْثَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْجَوْرُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِرٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَلِيكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الرَّجْحِ^(٤) صَدَرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : الشجر الكثير الملتف ، والأبجة . والسمر : الرياح . (٢) اللهم : العطايا .

(٤) الرجح : الحديدية أسفل الرجح .

(٣) السيب : العطاء .

(٥) عامل الرجح : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَضِمٍ له من عَزَمِهِ سيفٌ وعِىَّ مَخْدَمٌ^(١)
حتى إذا أنطقَكَ العدلُ في جلاله والخلقُ الأكرمُ
قل لأمير المسلمين الذي به استنار الزَّمنُ المظلمُ :
أنت الذي ما جرت يوماً ، ولا جرى على سيفك ظلماً دمٌ
ساويتَ في عدلكَ بين الوري حتى تساوى الزُّججُ واللَّهْذَمُ^(٢)
وقمتَ في الله احتساباً فقد وقتت^(٣) من يطعني ومن يجرمُ
وكلُّ أهلِ الشامِ أوسعَهم عدلاً ، فإلى دونهم أُحرمُ !
أطعتَ في حكمك في الهوى وما كذا يفعلُ من يحكمُ
من ينصفُ المظلومَ مناً إذا كنتَ ، وحاشاك ، الذي يظلمُ
وأنت ظلُّ الله في أرضه تردعُ من يظلمُ أو يغشمُ^(٤)
فلا يسبُّ أجرَ الجهادِ الذي فُزتَ به دونَ الوري ماثمُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتك يا عمَّـرَ المكرماتِ لأمرٍ عرأ ، ومهممٌ ألمٌ
وأنت السَّريعُ إلى من دعاك بذلك قضى لك إرثُ الكرمِ
وإن نأمتَ حظي عما عهدتُ فإنَّ اهتمامك بي لم ينم

(١) مخدَم : قاطع .
(٢) اللهذم : القاطع من الأسته .
(٣) رقة كوعده : قهره وأذله .
(٤) الغشم : الظلم .

(٣٢٠)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ أمرى فى قضاءِ فرضِكَ عما فاتَ من خِدى
مشيتُ أحملُ أثقالَ النَّساءِ إلى جنابِكَ الخِضِلِ^(١) الأذافِ كالقلمِ

(٣٢١)

وقال من قصيدة مضى أولها^(٢) :

خُلِقْتُ تَحَلَّى بِهِ سَلْمَانُ^(٣) بِذِكِّكَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْغُرِّ يَا ذَا الْبَاسِ وَالنَّعِيمِ
مَوْلَى عُلَاكَ ، وَكَمْ قَدَّعَادَ شَأْنُهُ^(٤) بِيَأْسِهِ مِنْ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
يُقَرُّ بِالْمَلِكِ لِلْمَلِكِ الَّذِي نَشَرَ الرَّحْمَنُ أَيَّامَهُ ظَلَالًا عَلَى الْأُمَمِ
لِلصَّالِحِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ بِجِدِّهِ طَوْقٌ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعِمِ
حَمَى ذَوِيهِ ، وَكَمْ مِنْ بَاسِطٍ لِيَدٍ لَوْلَا حِمَاهُ ، وَكَمْ مِنْ فَاغِرٍ لِقَمِّ
وَذَاذَ عَنْهُمْ صُرُوفَ الدَّهْرِ إِذْ كَلَبَتْ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضْمِ
وَنَالَهُمْ مِنْ تَوَالِي سُبْحٍ نَائِلُهُ مَا نَالَ نَبَتِ الثَّرَى مِنْ وَابِلِ الدِّيَمِ
يَا حَاسِدِيهِ ، اكْظِمُوا ، حِرَاتِكُمْ فَأَنَا الَّذِي ذِيرُ مِنْ أَخْذِهِ ، إِنْ هُمْ ، بِالْكَظْمِ^(٥)
إِيَّاكُمْ عَثَرَاتِ الْبَغِيِّ ، إِنْ لَمْ يَنْ يَبْغِيهِ يَوْمًا يُوَارَى الشَّمْسُ بِالظُّلْمِ
حَذَارٍ مِنْ مَصْرَعِ الْبَاغِينَ قَبْلَكُمْ فَالسَّيْفُ مَنْصَلْتُ فِي كَفِّ مُضْطَلِمِ^(٦)
وَفِي تَمِيمٍ وَمَنْ وَالَاهِ مَوْعِظَةٌ إِنْذَارُهَا يُسْمَعُ الْأَمْوَاتَ فِي الرَّجْمِ^(٧)

(١) الخِضِلُ : كلُّ شَيْءٍ نَدِيْرٌ شَرَفٌ نَدَادٌ .

(٢) مطلع القصيدة : أجب دراعى الهوى بالأدمع السجم ... راجع القطعة (٩٠) ص ٤٤ .

(٣) سلمان الفارسي : صحابي جليل .

(٤) شاد فلانا : أصابه بالعين ، وحسده .

(٥) الجرة : ما يفيض به البعير ، فإكله ثانية . وكظم البعير : أمسك عن الجرة . والكظم محرّكة

الخلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٦) السيف المنصلت : الصقيل الماضي . واصطبله : استأمله . (٧) الرجم : القبر .

توهموا أن ضاري الأسد ينفر عن
 وما دروا أنه في جفيل لحب^(١)
 مغامر تهرب الأجال سطوته
 يستقبل الحرب بساماً، وقد كشرت
 يلقى الألف ويحبوها ، ففي يده
 ما غرتم بصدوق الظن يجبره الر
 يرى الضغائن في قلب الحسود له
 فإن سطاً عن يقين ، أو عفا كرمأ
 أدناكم ، فاعتلتيم عن ذوى رحيم
 وعمكم سيبُ جرد منه نبه ذا
 كم غمة كشفت عنكم صوارمه
 لولاه ، لا زال عنكم ظله أبداً ،
 إن رابه منكم أمر ، فلا وزر
 يامالكا مالكا رقي بأنعمه
 ما الشكر كفء ما أوليت من منن
 وإن أكن كزهير في الشاء ، فقد
 وإن تكن مدحى وقفاً عليك فلا
 ففي يميناك منى صارم خدم^(٢)

عربيه لحشود البوم والرخيم
 من بأسه ، غير هياب ولا برم
 وتفرق^(٣) الأسد منه في حمى الأجم
 بها المنية عن أنيابها الأرم^(٤)
 من العطا والسطا بجراندى ودم
 أى الصحيح بما فى الصدر من سقم
 تدب مثل ديب النار فى الفحم
 فإنه خير ذى عفو ومتقم
 وحاطكم ، فاغنديتم منه فى حرم
 وضمول منكم ، وأغنى كل ذى عدم
 ولم يزل كاشف الأواء^(٥) والغمم
 علمتم كيف تاتى بقاءة النقم
 لكم ، ولا عاصم من سيله العرم^(٦)
 وملك مثلي لا يتباع بالقيم
 وإن تسهل لى مستوعر الحكيم
 علوت مجداً وجوداً عن مدى هريم^(٧)
 تظن أن ثنائى منتهى همى
 يقرى ، إذا كل حد الصارم الخدم^(٧)

(٢) فرق : فرع .

(١) اللب : الجلبة والاضطراب .

(٣) أرم ما على المسانده : أكله فلم يدع شيئاً . والذى : شدة .

(٤) الأواء : الشقة .

(٥) العرم : الشديد .

(٦) هريم : مدوح زهيرين أبى سلمى .

(٧) يقرى : يشق . والخدم : القاطع .

في حده حتف من ناواك وهولن
 فمر بما شئت : ألقى الأمر ممتلاً
 مجرباً طاعتي تجريب مخبر
 فبذل نفسي عندي في رضاك ، فلا
 وحق ذلك لمن أنشرت أسرته
 صرفت صرف الليالي دون غشمهم^(١)
 وأوصلتهم صلوات من نذاك إلى
 وما الذي نلت من نعمك غاية أمالي ،
 نيل العلاء دون ما أرجوه منك ، كما
 شرفنتي ، فاعتلى قدرى ، وأصحب لي^(٢)
 وطلت^(٥) عن يساميني ، ففخرهم
 لله در طروس ضمنت درراً
 أضحت على مفرق تاجاً ، وفي عنق
 لفظ أرق من الشكوى ، وألطف مل عتبي ،
 مجرى الهوى من فؤاد المغرم السديم^(٦)
 وحسن معنى أفاد الفهم ذا اللمم^(٧)
 أكامه عن بديع الفضل والحكم
 حالت نضارته بالشيب والهرم

(١) الناخر : (بال) المنفتحة . والرمة : العظام .
 (٢) أغرب : أتى بالغريب .
 (٣) أغرب : أتى بالغريب .
 (٤) أطالني نطلته : كنت أطول منه .
 (٥) اللمم : الجنون .
 (٦) العثم : الظلم . والاحتضام : الظلم .
 (٧) اللمم : الجنون .

يزيدُ سامعها تكرارها شغفا بها ، وكم جَلَبَ التكريرُ من سأمِ
 يأمُجدَ الفضلَ والإفضالَ إذعدما حتى لقد أصبحا نارين في علمِ
 مملوكُ الأصغرُ القنِ المبالغِ في الإخلاصِ ، والسيرُ مقدودٌ من الأدمِ^(١)
 لو نال ما يتننى من مشيئته مشى إليك خضوعاً مشيةً بالقلمِ
 وكان كتب هذه القصيدة المتقدمة إلى الملك الصالح جواباً عن قصيدة نونية .
 كتبها إليه ، وهى هذه :

وردت إلينا منك "مجد الدين"
 حررت منها حرةً برزت لنا
 نرساء صامتة ، ولكن أخبرت
 غراء ، يلتقى الشك عند قدومها
 تشكو صبايتك التي آلت إلى
 أبدت إلى الكرم الباب^(٢) تمسكا
 قد علمت سمر القنا أخلاقه
 إن من لم يتبع صنائع جوده
 تأتي القوافي ، وهى أبقار له
 حتى إذا وفدت علينا لم تجد
 وجوابنا هذا عقيب هلاك من
 أمست أكاذيب المنى تقناده
 إذ ظن أنا مثل من عن ملكه
 بيضاء تخطر في الثياب الجون^(٣)
 حسناً كنظم اللؤلؤ المكنون
 منها الفصاحة عن لسان حزين
 فتظلم تكشفه بصبح يقين
 داء تضرم^(٤) في الفؤاد دفين
 بندى كنفيل بالنجاج صمين
 فلذاك منها شدة في لين
 مناً ، وليس نداء بالممنون^(٥)
 قصدنا ، فتمخجل للأيادي العون^(٦)
 بابا لعمرك معلقاً من دوني
 ورد المنيّة رانم العرينين^(٧)
 حتى رمته إلى حضبض الهون
 قد راح منه بصفقة المغبون^(٨)

(١) الأدم : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ .
 (٢) تضرم : اشتد حره .
 (٣) الجون : الأسود يريد الخط .
 (٤) الباب : الخالص .
 (٥) من : أنعم . والمقن : الاتقان . والممنون : المقطوع .
 (٦) العران من النساء : التي كان لها زوج .
 (٧) العرينين : الأنف .
 (٨) المغبون : المحذوع .

خَلَى حَالَتَهُ ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ :
 أَمَلٌ لَعَمْرُكَ زَيْنَتُهُ لِعَيْنِهِ
 حَتَّى إِذَا شَيْطَانُهُ قَالَ : ابْتَدِرْ
 وَرَأَى بِأَنَّ الْحَشْدَ صَانِنٌ عِزَّهُ
 نَدِبَتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا
 مِنْ آلِ رُزَيْكَ الَّذِينَ بِجُودِهِمْ
 صَحِبَتْ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِيدِجٍ ^(٦)
 وَإِذَا بَدَأَ أَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيًا ^(٧)
 لَمْ يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَ مَتَخَضِبًا
 فَلَجَا مِنَ الْحَشْدِ الَّذِي قَدِ غَرَّهُ
 وَأَتَوْا بِرَأْسِ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ
 أُسْرَ ابْنِهِ ، وَتُوزَعَتْ أَمْوَالُهُ
 وَعَقِيْبُهُ فَتَحَّ الْإِلَهِ بِالْطُّفَةِ
 مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَرَأَى نَفْسِهِ
 وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ
 قَرْنَ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ ، فَأَشْبَهُوا
 وَالْعِدَّةُ الْعَظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي
 بِصَوَارِمٍ قَدِ أَطْلَعَتْهَا لِلْوَعَى

مِنْكَ مِنْ صَرَفِ الرَّدَى ^(١) يَكْفِي
 خُدَعُ الْعُرُورِ ، وَسَكْرَةُ الْمَفْتُونِ ^(٢)
 فِي سُرْعَةِ الْعَمَلِ وَالْتِمَاقِينَ
 مِنْ أَنْ يُذَالَ ^(٣) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَحْصُونٍ
 لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بِعَرِينٍ ^(٤)
 وَبِبَأْسِهِمْ خَلَطُوا مَتَى مَنُونٍ ^(٥)
 يَجْرِي إِلَى الْهَيْجَلِ بَغَيْرِ قَرِينٍ
 جَلَّتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ الْمِيْمَرِ
 بِدِمَائِهِ ، كَتَخَضِبِ الْمَجْنُونِ
 عَدَدًا ، لِحِصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمَحْصِينٍ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلُوَ الْقَنَا بِرَزِينٍ
 حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصِّينِ
 بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الَّذِينَ
 غَرَقًا ، وَمَجْرُوحٍ ، وَبَيْنَ طَعِينٍ
 بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الطُّبِّ ^(٨) بِضَنِينٍ
 خَلَطَ الْقَسَاوِرَ ^(٩) بِالطُّبِّاءِ الْعَيْنِ ^(١٠)
 تَضْفُو ^(١١) مَلَابِسُ سَرْدِهَا الْمَوْضُونَ ^(١٢)
 عِنْدَ الصِّقَالِ لَهَا أَكْفٌ قِيُونَ ^(١٣)

- (١) صرف الردى : نواحيه . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . والشري : جليل بهامة كثير السباع . (٥) المذن : الموت .
 (٦) السميدج : السيد الكريم الموطن الأكناف والشجاع . (٧) داجيا : مظلمًا .
 (٨) الطبا : جمع ذابة وهي حد سيف أو سنان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسورة : الأسد .
 (١٠) العين : جمع عينا ، وهي حسة العينين واسمعتها . (١١) الضفو : السبوغ والسكررة .
 (١٢) وطن التي : شئ بعضه على بعضه . والدمرد : اسم جامع للدروع وسائر الخلق . (١٣) القين : الخزاز .

فلا خذهم في كلِّ قلبٍ موقعٌ من دونه في القدرِ فتحُ حصون
 والطود^(١) لا يجي امرأ من حينه^(٢) فذاك لا يجبه علو سفين
 والشكرُ لله الكريم، فعمده متواصلٌ مني لما يولييني
 فلو اتيت رميتُ السماء بحول ربِّ العالمين لطلتها بييني
 في كلِّ أرضٍ لي ثناء، لم يزل يُعتادُ منه نفعه النسرين^(٣)
 ولطاماً^(٤) أولى الأمير يداً إلى قلب بكل مسرة مشحون
 ماناً لنعلمه بذلك ، لأنه في ودنا ما زال غير ظنين^(٥)
 وله التوسُّع في المقال ، وشأنه في نظمه والشعر غير شؤني
 والأهل قد ساروا إليه ، ورأينا طابُ افتكك فؤاده المرهون
 لم يبق ، مجد الدين ، وجد^(٦) فاعتنم فرحاً أتيح لقلبك المحزون
 وأسألهم إن شئت عن أخبارهم وأبائهم من شريك^(٧) المخزون
 وأفض علينا من فنونك ملبساً عند النشاط ، فأنت ربُّ فنون

(٣٢٢)

وقال :

يا منعباً ، مَورِدُ إحسانه سهلٌ ، فما في منه^(٨) من^(٩)
 قد اقتدى بالمزِن^(١٠) في جوده بل يندها يقتدى المزن
 بسطت كفاً في الندى والوغى ما كفها بخلٌ ولا جبن
 فاسلم من الدهر ، ففیه علی كلِّ كريم ماجدِ ضغن^(١١)

(١) الطود : الجبل . (٢) الحين : الهلاك . (٣) النسرین : ورد .
 (٤) الشطر الأول في الأصل هكذا : ولعلنا أول الأمير يداً إلى... ولعل ما اخترناه أقرب إلى الصواب .
 (٥) الظنين : المتهم . (٦) الوجد : الحزن . (٧) الشجو : الحزن .
 (٨) منه : إقامته . (٩) منبت عليه : عددت ما قدمته إليه من نعم . (١٠) المزن : السحاب .
 (١١) الضغن : الحقد .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الرءاء

(٣٢٣)

أظنَّ العِدَاءَ أَنَّ ارتِحَالِي ضَائِرِي ضَلَالًا لِمَا ظَنُّوْا ، وَهَلْ يَكْسُدُ التَّبِيرُ
وَمَا زَادَنِي بُعْدِي سِوَى بُعْدِ هِمَّةٍ كَمَا زَادَ نُورًا فِي تَبَاعُدِهِ البَدْرُ
وَلَوْ كَانَ فِي طُولِ النَّوَاءِ فَضِيلَةٌ لَمَا انْتَقَلْتُ فِي أَفْقِهَا الأَنْجَمُ الزُّهْرُ
وَلَوْ لَزِمْتَ أَغْمَادَهَا البَيْضُ مَا انْجَلَتْ بِهَا غَمْرَاتُ الحَرْبِ ، وَاتَّضَحَ النَّصْرُ
وَهَلْ فِي ارتِحَالِي عَن بِلَادٍ تَنْكَرْتُ لِمِثْلِي أَوْ لِلسَّاكِنِينَ بِهَا نَخْرُ
وَإِنْ بِلَادًا ضَاقَ عَنِّي فَضَاؤُهَا لِأَرْحَبُ مِنْ أَكْخَافِهَا لِلْعَلَا فِترُ
وَأَرْضًا نَبَتْ بِي ، وَهِيَ آهَلَةُ الرُّبَا هِيَ القَفْرُ ، لَا ، بَلْ دُونَ وَحَشْتِهَا القَفْرُ
وَهَلْ يُنْكَرُ الأَعْدَاءُ فَضِيلِي ، وَإِنَّهُ لِأَسِيرُ ذَكَرَا أَنْ يُوَارِيهِ الكَفْرُ^(١)
أَلَسْتُ الذِي مَا زَالَ كَهْلًا وَيَافِعًا لَهُ المَكْرَمَاتُ الغُرِّ ، وَالنَّائِلُ الغَمْرُ^(٢)
وَخَائِضَ وَقَعَاتٍ ، بَوَارِقُهَا الطُّبَابُ وَوَابِلُ هَاتِيكَ البُرُوقِ دَمٌ هَمْرُ^(٣)
يَهْوُلُ الرَّدَى مَنَى تَقْصَمِي الرَّدَى وَيَعْتَادُهُ مِنْ جَاشِي الرَابِطِ الذَّعْرُ
وَلَوْ حَكَمْتُ بِنِي وَبَيْنَهُمُ الطُّبَابُ رَضِيْتُ بِمَا تَقْضِي المِهْنَدَةُ البُتْرُ^(٤)
وَلَكِنْ تَوَلَّى الحَاكِمَانَ قَضَاءَنَا فَكَانَ أَبُو مُوسَى^(٥) لَنَا ، وَلَهُمْ عَمْرُو

(١) الكفر: السر والتغطية .

(٢) النائل: ما نلته . والغمر: الكثير .

(٣) همر: منهر .

(٤) البتر: السيف القاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص الحكيمين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أبي الله إلا أن يدين لنا الدهرُ ويخُدُّمنا في ملكنا العزُّ والنصرُ ،
وهي طويلةٌ ، يذكر فيها وقائعهُ وسراياهُ إلى الفرنج ، وتسييره الجيوش ،
وأسماءُ مُقدِّمِها ، ويصفُ نَجْدَتَهُمْ ، فوقف عليها الملكُ العادلُ رحمه الله ، وخرجَ
عليَّ أمرِهِ إلى الأميرِ مجدِّ الدينِ بالإجابةِ عنها ، بمَعانٍ وقعت الإشارةُ إليها .
فقال هذه القصيدةُ ، وذكر فيها بعضُ الفُتوحاتِ :

أبي الله إلا أن يكونَ لنا الأمرُ
وتخُدُّمنا الأيامُ فيما نرؤمهُ
وتخضعُ أعناقُ الملوكِ لعزِّنا
بحيثُ حلَّنا الأمنُ من كلِّ حادثٍ
بطاعتنا لله أصبحَ طوعنا الأ
فأيمَّنا في السلمِ سُبُّ مواهبِ
قضتُ في بني الدنيا قضاءَ زمانِها
وما في ملوكِ المسلمينَ مجاهدُ
جعلنا الجهادَ همنا واشتغالنا
دماءَ العدا أشهى من الرَّاحِ (٣) عندنا
نواصلُهُم وصلَ الحبيبِ وهمِ عدا
لتحيًا بنا الدنيا ، ويفتخرَ العصرُ
وينقادَ طوعًا في أزمَّتنا (١) الدهرُ
ويُرهبها منا على بُعدنا الذِّكرُ
وفي سائرِ الآفاقِ من بأسنا دُعرُ
نامُ ، فما يعصى لنا فيهمُ أمرُ
وفي الحربِ سُبُّ وبلهَنَ دمُ همِ (٢)
فُسِّرَ بها شطرُ ، وسىءَ بها شطرُ
سوانا ، فما يأنيه حرٌّ ولا قرُ
ولم يُلهنا عنه السَّماعُ ولا الخمرُ
ووقعُ المواضي (٤) فيهمُ النَّأى والوترُ
زيارتهم يخطُّ عنا بها الوزرُ

(٢) همرة : رصبة . والويل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٤) المواضي : السيوف البازرة .

(١) أزمة : جمع زمام .

(٣) الراح : الخمر .

وفي سجننا ابن الفئس خيرُ ملوكهم
 أسرناه من حصن العريمة^(١) راغماً
 وسل عنهم الوادي بإقليس^(٢) إنَّه
 هم انتشروا فيه لردِّ رعيننا^(٣)
 ونحن أسرنا الجوسلين^(٤) ولم يكن
 وكان يظنُّ الغرُّ أنا نبيعه
 فلما استبجنا ملكه وبلاده
 كحلناه، نبعي الأجر في فعلنا به
 ونحن كسرنا البغدوين^(٥) وما لمن
 فسله اللعين الحائن^(٥) الخائن الذي
 وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها
 أفي غدره بالخيل بعد يمينه
 دعته إلى نكت اليمين وغدره
 وقد كان لون^(٦) الخيل شتي فأصبحت
 توهم عجزاً حلينا وأاتنا
 فلما تمادى غيبه وضلاله
 برزنا له كالليث فارق غيله
 وسرنا إليه حين هاب لقاءنا

وإن لم يكن خيرُ لديهم ولا برُّ
 وقد قتلت فرسانه فهم جزراً
 إلى اليوم فيه من دمانهم غدرُ
 فن تربه يوم المعاد لهم تشرُّ
 ليخشى من الأيام نائبةً تعرو
 بمال، وكم ظنُّ به يهلك الغرُّ
 ولم يبق مالٌ يستباح ولا تغرُّ
 وفي مثل ما قد ناله يجرز الأجر
 كسرناه إبلالٌ يرجي ولا جبر
 له الغدرُ دينٌ: مابه صنع الغدرُ
 فلم يُنجِه برُّ، ولم ينجِه بحرُّ
 بإنجيله بين الأنام له عُذرُ
 بذمته النفسُ الخسيسةُ والمكرُّ
 تُعاد إلينا، وهي من دمهم سُفرُ
 وما العجزُ إلا ما أتى الجاهلُ الغمرُ
 ولم يئنه عن جهله النهيُّ والزجرُ
 وعادته كسرُ الفرائس والهصرُ^(٧)
 وبأن له من بأسنا البؤسُ والشرُّ

(١) اسم موضع . (٢) جزو: مخفف جزو ضميتين وهي جمع جزور وهي الناقة المجزورة: الذبيحة
 (٣) الرزبل: الجماعة المتقدمة من الخيل . (٤) أحد ملوك الفرنج الصليبيين .
 (٥) الحائن: الأحمق . (٦) في الحاشية قلاعن ولده مرهف «وكانت شيات الخيل شتى ...» .
 (٧) الهصر: الكسر .

وثِيرُ حشَايَانَا السُّرُوحُ، وَقُصْنَا الدُّ
 تَرَى الْأَرْضَ مِثْلَ الْأَفْقِ، وَهِيَ نَجْوَمُهُ
 وَهَمُّ الْمَلُوكِ الْبَيْضُ وَالسُّمُرُ كَالدَّمِيِّ (١)
 صَوَارِمُنَا حَمْرُ الْمُضَارِبِ مِنْ دَمٍ
 نَسِيرٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ (٢) وَالطَّيْرُ فَوْقَنَا
 فَبَأْسُ يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْ حَرِّ نَارِهِ
 وَجَيْشٌ إِذَا لَاقَى الْعَدُوَّ ظَنَّتَهُمْ
 تَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوَعْيِ مِثْلَ سَهْمِهِ
 هُمُ الْأَسَدُ مِنْ بَيْضِ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 يَرُونَ لَهُمْ فِي الْقَتْلِ خُلْدًا، فَكَيْفَ بِاللِّسَاءِ
 إِذَا نُسِبُوا كَانُوا جَمِيعًا بَنِي أَبِي
 يَظُنُّونَ أَنَّ الْكُفْرَ عَصِيَانُ أَمْرِنَا
 لَنَا مِنْهُمْ إِقْدَامُهُمْ وَوَلَاؤُهُمْ
 بِنَا أَيْدِ الْإِسْلَامِ، وَازْدَادَ عِزَّةً
 قَتَلْنَا الْبَرْسَ، حِينَ سَارَ بِجَهْلِهِ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ أَسْرَدَ، وَكَيْفَ بِاللِّبْقَاءِ
 لَمَنْ أَخْنَتَ عَلَيْهِ الظُّبَا الْبَيْتُ (٧)

(١) الدمي : جمع دمية وهي الصورة المنقشة من الرخام . والتقال . (٢) في هامش الديوان : الهيجا .
 (٣) انجيس : قنجر . (٤) الأدم من الظباء : المشربة بياضا . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة .
 (٥) طين شزر : شديد حمب . وضرب هير : يسقط الهيرب والهيرة : بضعة لحم لا تعلم فيها .
 (٦) الحجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف الفاطمية .

فولِّي يَبَارِي عَائِرَاتِ سِهَامِنَا وفي سَمِعِهِ مِنْ وَقَعِ أُسَافِينَا وَقُرًّا^(١)
 وَخَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ فَشَطَرٌ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرٌ لَهُ أُسْرٌ
 وَمَا تَدَنَّنِي عَنْهُ أَعِنَّةُ خَيْلِنَا ولو طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
 إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوْسَلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا له فِي دِيَاجٍ ، مَا لِلْيَلْتِهَا بِقُرْ
 وَنَزَجِعَ الْقَدَسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ وَيُتَلَى بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الصَّخْرَةِ الذَّكْرُ
 كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرٌ
 إِذَا اسْتَعْلَقَتْ شُمَّ الْحِصُونِ فَعِنْدَنَا مَفَاتِحُهَا : بِيضٌ ، مُضَارِبُهَا حُمْرٌ
 وَإِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ وَرُمَانُهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
 وَأَضْحَى عَلَيْهِ لِلْسَّهَامِ وَاللَّظْبَا وَوَقِعَ الْمَذَاكِي^(٥) الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْقَطْرُ
 بِنَا اسْتَرَجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ، فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهْرٌ
 فَتَحْنَا الرَّهَاءَ^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا حَامَاهَا ، وَسَنَى مُلْكَهَا لَهَا الْخِطْرُ^(٧)
 جَعَلْنَا طُلِي^(٨) الْفُرْسَانَ أَعْمَادَ بِيضِنَا وَمَلَكْنَا أَبْكَارَهَا الْفِتْكَةَ الْبِكْرُ
 وَنَحْنُ فَتَحْنَا تَلَّ بِأَشْرٍ^(٩) بَعْدَهَا وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكْسِرَةُ الْغُرُ
 أَنِّي سَاكِنُوهَا بِالْمَفَاتِيحِ طَاعَةً إِلَيْنَا ، وَمَسْرَاهُمْ إِلَيَّ بَابِنَا شَهْرُ
 وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٍ ذُو مَهَابَةٍ وَلَا كُلُّ سَاجِدٍ يَسْتَتِبُّ لَهُ الْأَمْرُ
 وَتَلَّ عِرَازِ^(٩) ، صَبَّحَتْهُ جُبُوشُنَا فَلَمْ تَحْمِهْ عَنَّا الرِّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
 وَمَلْنَا إِلَى بُرْجِ الرَّصَاصِ^(٩) وَإِنَّا لَكَالسِّدِّ ، لَكِنِ الرَّصَاصُ لَهُ قِطْرُ^(١٠)

(١) العائر: كل ما أعل العين، والوقر: نقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان: هلك .

(٥) المذاكي من الخليل: التي أتى عليها بعد فروعها سنة أوسنتان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناه: سهله . والختر: العدو والخدمية . (٨) الطلي: الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر: النحاس الذائب .

وأضحت لا نطاكية^(١) حارم^(٢) شحبي وفيها لها والساكنين بها حصر
 وحصن كقر لانا وهاب^(٤) تدانيا لنا ، وذراها للأنوق^(٣) به وكر
 وفي حصن باسوطا وقورص ذلت الصعاب لنا ، والنصر يقدمه^(٥) الصبر
 وفامية^(٦) والبارة^(٤) استنقتهما لنا همة من دونها الفرع والغفر^(٧)
 وحصن بسر فود^(٤) وأنب^(٤) سهلت لنا ، واستحال العسر ، وهو لنا يسر
 وفي تل عمار^(٤) ، وفي تل خالد^(٤) وفي حصن سلقين^(٤) لملككة قصر
 وما مثل راوندان^(٤) حصن وإنه لممتنع ، لو لم يسهل له القسر
 وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى ومزدرعات^(٨) لا يحيط بها الحصر
 فلما استعدناها من الكفر عنوة ولم يبق في أقطارها لهم أثر
 ردذنا على أهل الشام رباعهم وأملاكهم ، فانزاح عنهم بها القفر
 وجاءتهم من بعد يأس وفاقية وقد مسهم من فقدها البؤس والضر
 ومر عليها الدهر ، والكفر حاكم عليها ، وعمر مر من بعده عمر
 فناهم من عودها الخير والغنى كما نالنا من ردها الأجر والشكر
 ونحن وضعنا المكس عن كل بلدة فأصبح مسرورا بمتجره السفر
 وأصبحت الآفاق من عدنا حمى فكدر قطاها^(٩) لا يروعا صقر
 فكيف تسامينا الملوك إلى العلا وعزمهم سر ، ووقعاتنا جهر

(١) أنطاكية : مدينة كانت قسبة العواصم من النور الشامية ، موصوفة بالحسن ، وطيب الهواء ، وغذوبة الماء ، وكثرة الفواكه (ياقوت) .
 (٢) حارم : مدينة بالشام .
 (٣) الأنوق كصبر : العقاب .
 (٤) موضع بالشام .
 (٥) قدم القوم كنصر : تقدمهم .
 (٦) مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حصن .
 (٧) فرع الدلو المقدم والمؤخر : ميزان لقمير . والغفر : منزل للقمر أيضا . (٨) ازدرع : زرع .
 (٩) التظا : طائر . والكدي : ضرب من التظا غير الألوان ، رقت الطهور ، صفرا الحلو .

وإن وعدوا بالغزو نظماً، فهذه رموس أعادهم بأسيا فإنا نثر
 سنلقى العدا عنهم بيض صقالها هداياهم، والبستر^(١) يرهفها البتر^(٢)
 وما قولنا عن حاجة، بل بسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أجر
 نزاننا ملأى، وما هي ذخرننا المعد، ولكن الثواب هو الذخر
 ملكنا الذي لم نحويه كلف مالك ولم يعرنا تيه المتوك ولا الكبر
 فنحن ملوك البأس والجود، سوقة التواضع، لا بذخ لدينا، ولا نخر
 عرفنا^(٣) عن الدنيا، على وجدها بنا فمنها لنا وصل، ومنا لها هجر
 وأحسن شيء في الدنيا زهد قادر عليها، فأصبه ملك ولا وفر^(٤)
 ولولا سؤال الله عن خلقه الذي رعيناهم حفظاً إذا ضمننا الحشر
 ملنا عن الدنيا، وقلنا لها: اغربي^(٥) لك الهجر منا، ماتمادي بنا العمر
 فما خير ملك، أنت عنه محاسب ومملكة^(٦)، من بعدها الموت والقبر
 فقل للملوك الأرض: ما الفخر في الذي تعدونه من فعلكم، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لي خلق فيه على ما رأيتي صلف
 سهل العريكة حين تنصفه صعب المقداة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر: السيوف الفاطمة . (٢) البتر: القطع . (٣) عرفت عنه: زهد فيه .

(٤) الوفر: الغنى . (٥) اغربي: ابعدي .

(٦) في هامش الديوان «وسلطنة» . (٧) يعتسفه: ظله .

خُلِقَ نَمَاهُ أَغْرُ أَرُوعٍ مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ مَا جَدُّ أُنْفٍ^(١)
من معشرٍ طابت مغارسُهُمْ فَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّهَاءِ^(٢) شَرَفُ
قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنكَسِفُ
لَوْ حَاوَلُوا الْأَفْلَاكَ مَا قَصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعَفَاتِهِمْ^(٣) سَرَفُ
أُنْفِي بِعَلَى فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ النَّاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النُّكْبَاتِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أُعَدَّ بِحَيْلًا
أَهْبُ الْكَثِيرِ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَّتْ^(٤) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
كَيْ لَا أُكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّامِيلًا

(١) النقيبة : الطبيعة . وأنف كفرح : استكف . والأروع : من يعجبك بحسن وجنارة منظره ، أو بشجاعته .
والميمون : المبارك . ونماه : رضع .
(٢) السها : نجم .
(٣) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .
(٤) لحا العود : قشره .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الهمزة

(٣٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقِتْلَانَا مِنْ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدَّمَاءُ سَوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَسَى بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَتْ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكُنْتُ إِنْ ثَوَّبَ^(١) دَاعِيَ الْوَعَى لَيْتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجَى نَقْعِهَا شَقَّ الدِّيَابِجِي مَرْسَلُ الشُّهْبِ
أَنَازِلُ الْأَقْرَانِ يُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُغْبِي
فَلَمْ تَدْعَ مَنِي اللَّيَالِي سَوَى صَبْرِي عَلَى اللَّأْوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلْبَى الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَجْدَانِهَا مَجْتَمِعَ اللَّبِ
مَا خَاتَمِي عَزْمِي ، وَلَا عَزَمِي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) اللأواء : الشدة .

(١) الثوب : الدعاء .

(٣) عزمي : نلني ، فلم يلعني .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهَيْبِاجِ^(١) ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ ثَبِتْتُ أَوْأَحِي^(٢) مُلْكُ كُلِّ مُتَوَجِّجٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ بَحْرِ تَدَافَعٍ فِي لَطْفِ مُتَوَهِّجٍ
صَبْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا فَرَجَتْ سَيُوفُهُمْ مَضِيقَ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا رَجَوْتَهُمْ لَنْصِرَ صَدَّقُوا بِعَظِيمٍ بِأَسْهَمٍ رَجَاءَ الْمُرْتَجِي

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

لِخَمْسَ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكِبَاةَ إِلَى أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ الْخَيْلِ مَا قَرَّحَا^(٣)
أَخْوَضَهَا كَشْهَابَ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا طَلَّقَ الْحَيَا ، وَوَجْهَ الْمَوْتِ قَدْ كَاخَا
بِصَارِمٍ ، مِنْ رَأَاهُ فِي قَتَامٍ وَعَيَّ أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
أَغْدُو لِنَارِ الْوَعْيِ فِي الْحَرْبِ إِنْ نَحَمَدْتَ بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحَا^(٥)
فَسَلْ كِبَاةَ^(٦) الْوَعْيِ عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ كَرَّبٍ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيَّقَ بِي أَنْفَسَا

(١) الهياج بالكسر : القتال .

(٢) الأخية كناية ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في حبل يذفن طرناد في الارض ويرز طرفه كالحلقة تشد

فيها الدابة ، الجمع أخايا أو أواحي . والأخية : الطنب .

(٣) قرح الفرس كنع : انتهت أسنانه ، فهو قارج ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القتام : الغبار . والوعى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : رام الإبراء . والبيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادثَ وادِعاً بقلبٍ أريبٍ بأسه يتوقدُ
أبي على عدلِ الزمانِ وجوره غنيٌّ عن الأعوانِ إن قلَّ مُسعدُ^(٢)
فما هو في خطبٍ وإن راعَ جازعُ مروعٌ ، ولا في حادثٍ متبلدُ^(٣)

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(٤) :

يا عجباً من وشكٍ بينَ مارَعَتِ^(٥) فيه مطايانا ولا الحادي حدًا
ترى الجمالَ المصحباتِ^(٥) بيننا مُهملاتٍ ، والرجالَ بدداً^(٦)
موقفٍ توديعٍ ترى البيضُ به شهباً ، وهابي النقع ليلاً أسوداً
وللطعانٍ في الكماةِ أعيناً تهيم على السردِ^(٧) نجيعاً مزبداً
فياله من موقفٍ رقيبهِ ككاتبِ الأعداءِ ، والواشي الردي
لو لم تكن عادتي الإقدامِ في أمثاله ، قضيتُ فيه كمدًا
ومنها :

لا تحسبنَ الرزءَ أوهى جددي إنَّ النَّسيمَ لا يُفِضُ^(٨) الجلمدًا
وهل يروعُ الخطبُ قلبَ أروعِ إن كلبِ^(٩) الدهرُ عليه أسداً^(١٠)

(٢) المسعد : المعين .

(٤) رغا البعيرغاه بالضم : صوت فضح .

(٦) بددا : متفرقة .

(٨) الفرض : الكسر بالفتحة . وبالمد : الصخر .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

(١) انظر القطعة (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٥) أصعب : اتقاد .

(٧) السرد : اسم جامع للدروع . والتجيع : دم الجوف .

(٩) كلب : سفه .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ ضَرَعًا لَنَكِيَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقِ الْمُدَى^(١)
هُم يَعْلَمُونَ أَنِّي أَصْلَبُ مِنْ صِمِّ الصَّفَا^(٢)، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا
هَلْ بَزَنِي الْخَطْبُ سِوَى وَفِرَى الَّذِي كَانَ مُبَاحًا لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتَلَقْتُ يَدِي طَرِيفَ مَا حَوَتْ، وَانْتَلَدَا
هُم يَرُونَ الْمَالَ ذُخْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُنُرُ الْقَتَى أَنْ يُحَمَّدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال^(٣) :

سَلِّ بِي كُجَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
يَبْتُوكَ بَأْنِي فِي مَضَايِقِهَا نَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي^(٥)
أَخْوَضَهَا كَشَهَابِ الْقَذْفِ، يَصْحَبُنِي عَضْبُ كَهْرِقِ سَرَى أَوْ ضَوْءِ مِقْبَاسِ^(٦)
إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قِرْنًا أَنْزَلُهُ أَوْجَاهُ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَغْشَاهُ أَوْ آسِي^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضي أكثرها^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالْغَمَطُ
حَكِي حَكْمَهَا الْمِيزَانَ، لِأَدْرَدْرِهَا: فَذُو النَّقِصِ يَسْتَعْلِي، وَذُو الْفَضْلِ يَخْطُ

(١) الضرع : الخاضع الذليل المستكين . وعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . والمدى : جمع ندية ، وهي السكين .

(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وجرأصم : صلب .

(٣) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في لباب الآداب : " معرك " .

(٥) الجبل . (٦) العضب : السيف . والمقباس : شعلة ارتقتبس من منظم النار .

(٧) أوجاه : أجمه . وفي لباب الآداب « أوجاه » بمعنى زجره ، ونجاه ، وردده . (٨) الآسي : الطيب .

(٩) راجع ص ١٧٤ ، ٧٨ .

وعِنْدِي عَلَى مَرَابٍ مِنْ حَدَثَانِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيْمٌ ، مَالِمًا عَقَلْتُ نَشْطُ^(١)
تُهَيِّوْنَ عِنْدِي الْخَطْبَ ، وَالْخَطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِيضٌ عَنِّي كَفَّهُ ، وَلَهَا الْبَسْطُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُدُوا فِي السَّلْمِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعَزِيزِ الْمُنِيفِ^(٣)
فِيهَا أَهِيْنُ النَّفْسَ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَمًا^(٥) أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعَزِيْمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السِّيْفِ مِنَ السِّيْفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي إِفْنَانٌ مُذْ خُلِقْنَا تَقَاسَمًا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشِي الْهُوَيْنِي ، وَالْخَطْبُ فِي طَلْبِي يُوضِعُ طُورًا ، وَتَارَةً عَنَقًا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَدِلَّ ، وَلَا تَمَلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَارَقًا^(٩)

(١) حدثان الدهر : نوبه . والصريمة : العزيمة . وعقل : شد البعير بالفعال . والنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العالي المشرف ، (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الخريدة « ولطامًا » . (٦) الختف : الموت .

(٧) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . ولم يرد في أهل الديوان . وأوضح : أسرع . والعنق :

السير الفسيح . (٩) هذا البيت ساقط في لباب الآداب .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ^(١) عَلَى فِؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلْقَا
لَا يَزِدْهِهِ^(٢) خَوْفُ الْجِيَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مُلْبَةِ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّقَتِ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَهَ بَعْدَ النَّمَامِ مَحَاقُ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَهِيهَا فَتَضَاءَلَتْ ، وَطَبَأُهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابِنِ مُنْقِدِ الَّذِي قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلَدَاكَ قَدْ أَصْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فِضَائِلِهِ^(٤) عِبَالًا
وَقَرِيضُهُ عِنْدَ الظَّمَا يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الزُّرْلَالَ
كَالدَّرِّ وَالْبَاقُوتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانٍ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالًا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحْرِمَ مِنْهُ لِي السَّحَرَ الْحَلَالَ
كَلًّا ، وَلَا يَشْكُو لِحَمَلِ رِسَائِلِ مَنِي كَلَّالًا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكِ الْأَشْعَارَ مُسْرَعَةً عِجَالًا

(٢) الازدهاء : الاستخفاف .

(١) في لباب الآداب : حادثة .

في الروضتين : مكرمه .

(٣) النص في الروضتين أيضا : ١١٧ .

(٥) الكلال : الإعياء .

مثل الحسان الغيد^(١) تا هت في محاسنها دلالاً
 بذلت لك المنوع ، ثم منحتنا منك ابتداءً^(٢)
 وصددت عنها ، حين را مت من محاسنك الوصلاً
 ما كان مرسلها ، وحقك ، يستحق بها الملاً
 هلاً بذلت لنا مقاً لاً ، حين لم تبدل فعلاً
 مع أننا نؤيك صبراً في المودة واحتمالاً
 ونبتك الأخبار ، إن أضحت قصاراً أو طوالاً
 سارت سراياناً لقصد الشام ، تعسف الرمالاً^(٣)
 ترحى إلى الأعداء جر د الخليل أتباعاً^(٤) توالى
 تمضى خففاً للأغرا^(٥) رها ، وتأيننا ثقلاً
 حتى لقد رام الأعا دى من ديارهم ارتحالاً
 وعلى الوعية^(٦) معشر لم يعهدوا فيها القتالاً
 لما نأت عن يحف بها يميناً أو شمالاً
 نهضت إليها خياناً من مصر محتمل^(٧) الرجالاً
 والبيض لامعة ، وبيض الهند ، والأسل النبالاً^(٨)
 فقدت كأن لم يعهدوا في أرضها حياً حلالاً^(٩)
 هذا ، وفي تل العجول^(١٠) ، ملان بالقبلى التلالاً

- (١) الفيد : جمع غيداء ، وهي المثنية لنا .
 (٢) الابتداء : ضد الصيانة .
 (٣) اعتسف الطريق : خبط على غير هداية .
 (٤) أتباع : يأتي بعضها خلف بعض .
 (٥) الأغرا : الإغارة .
 (٦) الوعية : اسم حصن .
 (٧) احتله : حمله .
 (٨) النبال : جمع ناهلة وهي المختلفة إلى المنبل . والاسل : الرماح . والبيض : السيوف .
 (٩) جمع حلة وهي القوم الزول ، وجماعة بيوت الناس .
 (١٠) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مُرَى^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُفْقَتِهِ اشْتِغَالًا
 وَاسْتِنَاقَ عَسْكَرُنَا لَهُ أَهْلًا يُجِبُّهُمْ وَمَالًا
 وَسَرِيَّةَ ابْنِ فُرَيْحِ الطَّا نِي طَالَ بِهَا وَصَالًا
 سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا خِلَالَ^(٣)
 فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَجِيءُ فَعَانَا فِيهِمْ مِثْلًا
 وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) نِزَالًا
 وَيَنْبِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوْلَتِهِ بِمَا قَدْ كَانَ قَالًا
 لِرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُورًا فِي مَعَاقِلِهَا اعْتِقَالًا
 وَتَجَهَّزُوا لِلسَّيْرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصِدُوا الشَّمَالَ
 وَإِذَا أَبِي إِلَّا اطَّرَاحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالًا
 عُنْدَنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فأجابه :

يَا أَشْرَفَ الزُّرَّاءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالًا
 وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمِي ، وَأَجَلَّ آوَالًا
 وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالًا
 فَلِذَلِكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِيَالًا
 وَحِمَى الْبِلَادَ بِسَيْفِهِ عَنِ أَنْ تُدَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُدَالَ
 وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرٍّ ، وَفِي بَحْرِ نِكَالًا^(٦)

(١) مرى : أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٢) يلوي : ينظر .

(٣) الخلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروضتين . وفي الأصل : تنازلهم .

(٥) أذاته : أمته . والدولة : انقلاب الزمان . وأداله . أى جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به .

حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتَالَآ
 نَبَّهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبِيَّتَهُ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
 وَعَتَبَتَهُ ، فَأَنْتَلَتْهُ شَرْفًا وَمَجْدًا لِنِ يَنَالَآ
 وَكِسْوَتَهُ شَرْفًا ، إِذَا مَا طَاوَلْتُهُ الشُّهْبُ طَالِمًا^(٢)
 لَكِنِّ ذَاكَ الْعَتَبَ يُسْعِلُ فِي جَوَانِحِهِ اشْتِعَالَآ
 أَسْفًا بِلِحْدِ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
 وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَائِمُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزُّلَالَا
 وَأَجْرًا مَقُولَهُ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
 فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّمْعَى ، وَهُوَ الْفَرُضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
 لَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُوسِعُنَا مَطَالًا وَاعْتِلَالَا
 وَتُسَوِّفُ الرَّابِحَى ، وَتُو رَدُّ ذَا الصَّدَى الظَّمَانِ آلَا^(٤)
 وَالذَّهْرُ لَا يَنْفِكُ يَبْرَى ، أَوْ يَرِيشُ لَنَا النَّبَالَا^(٥)
 وَيَصِدُنَا عَمَّا نَحْنَا وَلَهُ جِهَارًا وَاغْتِيَالَا^(٦)
 وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالِ تَنْكَرٍ وَاسْتِحَالَا^(٧)
 وَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثَرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
 بِالْبِصَالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَا
 مَلِكُ إِذَا زُغْنَا أَقَالَ ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَالَا
 فَيُبِيحُ جَاهِلِنَا وَسَائِلِنَا نَوَالَا وَاحْتِمَالَا
 قَالِيهِ مَعْدِرَةٌ الْمُقْصِرِ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتِقَالَا

(١) نَبَّهَتْ بِاسْمِهِ : تَوَه .
 (٢) طَاوَلْتُهُ : كُنْتُ أَطُولُ مَعَهُ .
 (٣) أَجْرًا مَقُولَهُ : شَقَّ لِسَانَهُ .
 (٤) الصَّدَى : الْعَطَشُ . وَالْآلُ : السَّرَابُ .
 (٥) يَرِيشُ : يَنْحَثُ . وَرَاشَ عَلَيْهِمُ : أَزَقَّ عَلَيْهِمُ الرِّيشَ . وَالنَّبَالُ : الدِّهَامُ .
 (٦) اغْتِيَالَا : أَهْلَكَ .
 (٧) اسْتِحَالَا : تَحَوَّلَ وَتَغَيَّرَ .

وبفضل مَالِكَةٍ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَطْنَ بِهِ الْمَلَالَا
 أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَا لَ، لَسْمَعِهِ السُّحْرَا الْحَلَالَا
 وَهُوَ النَّهْضُ بِمَا تَحْمَلُهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجِبَالَا
 أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرُجُّ بَعْدَ خِطْفِهَا نِقَالَا
 فَكَذَلِكَ عَادَ وَفُودُ بَا بِكَ مُثْقَلِينَ نَسَا^(١) وَمَالَا
 وَمَسِيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْتَغِي فِيهَا الْمَجَالَا
 فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدَلِكَ فِي الدُّنْيَا سَارَا وَجَالَا
 فَاسْأَلْنَا لَنَا ، حَتَّى نَرَى لَكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثَالَا
 وَأَشَدُّ يَدِيكَ بَوْدَ نُورِ الدِّينِ ، وَالْقَى بِهِ الرِّجَالَا
 فَهُوَ الْمُحَامِي عَنْ بِلَا دِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تَذَالَا^(٢)
 وَمِيبِدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعُهُمْ حَالًا فَحَالَا
 مِلكٌ يَتِيهِ الدَّهْرُ وَاللُّدُنْيَا بِدَوْلَتِهِ اخْتِيَالَا
 جَمْعُ الْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا خِلَالَا
 فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّالِرِ يَنْ رَأَتْ عِيُونُهُمْ ، الْكَمَالَا
 فِقِيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ حِمَى ، وَلِلدُّنْيَا جَمَالَا

وكتب إليه الملك الصالح من قصيدة تقدم أولها^(٣)

ذَا كَرِيْنَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالْصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
 لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهُوَ لِيَا شَاءَ فِي الْأَنْامِ فَعُولُ

(١) التنا : ما أخبرت به عن الرجل . وتنا الحديث : حدث به وأشاعه .

(٢) أذاله : أهانته . (٣) انظر صفحة ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ أتاكم بهن منّا الرسول
أنَّ بعضَ الأسطُولِ نالَ من الإفْرِجِ ما لا يَنالُه التَّاميلُ
سارَ في قِلَّةٍ ، وما زالَ بِاللَّهِ ، وصدقِ النِّياتِ يَنمي القليلُ
وبقايَا الأسطُولِ ليس له بَعْدُ إلى ساحلِ الشَّامِ وُصولُ
فحوى من عكَّا وأنظرُ طوسَ عِدَّةً لم يُحِطْ بها التَّحصيلُ
جمعِ دِيوِيَّةٍ^(٢) بهم كانت الإفْرِجُ تسطو على الوري وتصولُ
قيدَ في وسطهم مَقدمهم ، يهدى إلينا ، وجيده مغلولُ
بعد مَنوى جماعة هَلَكْتَ بالسَّيفِ ، منها الغريقُ والمقتولُ
هذه نعمةُ الإلهِ وتَعديدُ أيادي الإلهِ شيءٌ يطولُ
فالمغزى قولنا إلى الملكِ العادِ ل ؛ فهو المرجو والمأمولُ
قل له : كم تُماطلُ الدِّينَ في الكُفَّارِ ، فاحذر أن يغضبَ المَطولُ
سِراني القدس ، واحتسب ذاك في الله ، فبالسَّيرِ منك يُشقى الغليلُ
وإذا ما أبطا مسيرك فاللهُ إذن حَسبنا ، ونعم الوكيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٣) .

بُجْهِلُ في الإِقْدَامِ رَأْيِي مَعاشِرُ^(٤) أراهم إذا فَرَّوا من الموتِ أَجهلاً
أبرجو الفتى عند انقضاء حَيَاتِهِ وإن فَرَّ عن وردِ المَنِيَةِ مَرَحَلاً^(٥)

(١) أنظر طوس : بلد ساحل بالشام . (٢) الديوية : لقب لطافة من الصليبيين .

(٣) ذكر أسامة هذه الأبيات أيضاً في باب الآداب صفحة ٢٢٥ .

(٤) في أصل الديوان « رأى معاشر » بالإضافة والتصويب للأستاذ الشيخ أحمد شاكر في باب الآداب .

(٥) زحل عن مكانه كنع : زال .

إِذَا أَنَا هَبْتُ الْمَوْتَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى^(١) فَلَا وَجَدْتُ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ مَوْتًا^(٢)
وَأَيُّ إِذَا نَازَلْتُ كَبِشَ^(٣) كَتَيْبَةَ فَلَسْتُ أَبَالِي أَيُّنَا مَاتَ أَوْلًا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنَّ لِي
لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ
يَلْقَى الخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَاهَا
تَتَجَابُ^(٤) عَنْهُ الحَادِثَاتُ إِذَا عَرَّتْ
قَدْ جَرَّبَ الأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ
فِي الخَطْبِ عَزْمًا مِثْلَ حَدِّ المُنْصَلِ^(٥)
طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيا^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلي
بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَجْلي
عَنْ قُلُوبِ نَبِيِّ العِزَائِمِ حَوْلَ^(٦)
يُيَسِّدِي لَهُ المَاضِي خَفِيَ المُقْبَلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالخَطْبِ^(٨) مُعْتَرِكُ الْوَعَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعُ الظُّبَا^(٩) فِي الجَمَاجِمِ
سَلِّ الْمَوْتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنِّي عَلَى خَوْضِهِ فِي الحَرْبِ ثَبْتُ العِزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينِ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقٌ مِنْ بَجِيدِي ، مِثْلَ أَطْوَاقِ الحَمَامِ
تَعْبَدُنِي لَكَ الإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الإِحْسَانِ رَقٌّ لِلكَرَامِ

- (١) حومة الوعى : أشد موضع فيه . والوعى : الحرب . (٢) الموتل : اللبأ .
(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٤) المنصل بضمين وكرام : السيف .
(٥) عي بالأمر : لم يبتد لوجه مراده ، أو يعجز عنه ولم يطق إحكامه .
(٦) حول قلب : محال بصير بتقلب الأمور . (٧) انجباب : انكشف . وعرا : غشى .
(٨) الخطى : الرخ . (٩) الظبا : جمع ظابة ، وهي حد سيف أو سنان أو نحوه .

فصارَ إلى مودَّتِكَ انتسابي على أتَى العِظَامِي العِصَامِي^(١)
 ألمَ تَعَلَّمْ بَأَنِي لِأَثْمَانِي إِلَيْكَ رَمَى سِوَادِي^(٢) كُلُّ رَامٍ
 ولولا أنتَ لم يُصْحَبْ^(٣) شِمَائِي لِقَسْرٍ^(٤) دُونَ إِعْذَارِ^(٥) الحُسَامِ
 ولكن خَفْتُ من نارِ الأَعَادِي عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى العِزَامُ وتمضَى لِدَى الحَرْبِ السِّوْفُ الصَّوَارُمُ
 وَتُسْتَنْزَلُ الأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِمْ وِلَيْسِ سِوَى سُمْرِ الرِّمَاحِ سَلَامُ
 وَتُعْزَى جِوُشُ الكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا وَيُوطَأُ حِمَاهَا ، وَالأَنُوفُ رَوَاغُمُ
 وَيُوفَى الكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذْرِهِمْ وَإِنْ بُدِلَتْ فِيهِ النُّفُوسُ الكِرَامُ
 نَذَرْنَا مَسِيرَ الجَيْشِ فِي صَفَرٍ ، فَأَ مَضَى نِصْفُهُ ، حَتَّى أَتَانِي وَهُوَ غَائِمُ
 بَعَثْنَاهُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ ، قَاطِعًا مِفاوِزٍ^(٧) وَخَدَّ العَيْسِ^(٨) فَيَهِنَ دَائِمُ
 وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الجِخْفَارِ^(٩) إِذَا التَّظَى بِجَنْبِيهِ مَشْبُوبٌ^(١٠) مِنَ القَيْظِ جَاحِمُ^(١١)
 وَصَارَتْ عُيُونُ المَاءِ كَالعَيْنِ عِزَّةً^(١٢) إِذَا مَا أَتَاهَا العِسْكَرُ المِتْرَاحِمُ
 فَمَا هَالَهُ بَعْدَ الدِّيَارِ ، وَلَا تَنَى عِزِمَتَهُ جَهْدُ الظَّمَا وَالسَّمَائِمِ^(١٣)
 يَهْجُرُ^(١٤) وَالعِصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ وَيَسْرَى إِلَى الأَعْدَاءِ ، وَالنَّجْمُ نَائِمُ

(١) عظامي عصامي : شريف المنصب والنفس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أصعب : أقاد .
 وشمس الفرس : استعصى على راحته . (٤) القسر : القهر . (٥) أعذر : أنصف . (٦) أضرم النار : ألهبا .
 (٧) المفاوز : جمع مفازة وهي الغلاة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يخاطب بإضاهاشقرة . والوخد :
 الإسراع . (٩) الجفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رخ كلها رمال بيض . (١٠) من شبت النار :
 اتخذت . والتظى : تلبى . (١١) الجاحم : الجحيم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوم : الرج
 الحارة تكون غالبا بالنهار ، اجمع سائم . (١٤) هجر : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إذا ما طوى الزيات وقت مسيره
تبارى خيولاً ما تزال كأنها
فإن طلبت قصداً تساوين سرعةً
هي الذهم^(٣) ألواناً وصبغ عجاذة
تصاحبها علماً بأن سوف نغتدى
كما أن وحش القفر ما زال منهم
خيولاً إذا ما فارقت مصر تبغى
يسير بها ضرغام^(٥) في كل مازق
ورفقته عين الزمان ، وحاتم
مضى طاهر الأثواب من كل ريبة
هنيئاً له يستى الرحيق^(٩) ، إذا غدت
ولو أننا نبكى على فقد هالك
ولكننا بعنا الإله نفوسنا
تهون علينا أن تُصاب نفوسنا
وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه
وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش

غدت عوضاً منها الطيور الحوائم
إذا ما هي انقضت نُسور قشاع^(١)
قوادمها^(٢) في جوها والقوائم
فإن طلبت أعداءها فالأداهم
بها ، وهما في الكافرين مطاعم
مدى الدهر أعراس لهم وولائم
عداء ، فلها النصر المين ملازم
وما يصحب الضرغام إلا الضراع^(٦)
ويحي^(٧) ، وإن لاقى المنية ، حاتم
شهيداً ، كما تمضى السراة^(٨) الأكارم
تحييه في الخلد الحسان النواعم
لقلت له منّا الدموع السواجم
ورحناً ، وما منّا على البيع نادم
إذا لم تُصبنا في الحياة الماتم
عشية أصوات الرجال همهم^(١١)
لبارقتها في ساحة الشام شاتم

- (١) القشع : المن من التسود والضم .
(٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح .
(٣) الذهم : جمع دهما ، وهي السوداء .
(٤) الأداهم : القيود .
(٥) ضرغام : قائد مصرى آلت إليه الوزارة في أيام العاضد الفاطمي .
(٦) الضراعم : جمع ضرغام : الأسد .
(٧) أسماء قواد ثلاثة .
(٨) السراة : السادة .
(٩) الرحيق : الخمر ، أو أطيبها .
(١٠) خام عنه يخيم : تكص وجين .
(١١) المهممة : الكلام الخفيف وتردد الزئير في الصدر من الهم وكل صوت مبهج .
(١٢) برقية : طائفة من الجيش المصري قدم أصولهم من برقة .

وأفناء^(١) جُنْدٍ لَوْ تَوَجَّهَ جَمْعُهُمْ
 وَجَمْعُ مَمَالِكٍ بِأَفْعَالِنَا اِقْتَدَوْا
 وَسِنَنِسٌ قَدْ شَادُوا الْمَعَالِي بِفَعْلِهِمْ
 وَتَعْلَبَةٌ^(٢) أَضْحَوْا بِنَا قَدْ تَأَسَّدُوا^(٤)
 وَإِنْ جُدَامًا^(٣) لَمْ يَزَلْ قَطُّ مِنْهُمْ
 جِيوشٌ أَفْدَانَاهَا اعْتِزَامًا وَنَجْدَةً
 إِذَا مَا أَثَارُوا النَّقْعَ ، فَالْتَفَرُّ عَابَسُ
 وَلَمَّا وَطُوا أَرْضَ الشَّامِ تَحَالَفَتْ
 وَوَجَّهَهُمْ جَمْعُ الْفَرَنْجِ بِجَمَلَةٍ
 فَلَقَوْهُمْ زُرْقَ الْأَسْتَةِ ، وَانْطَوَّأُوا
 وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٧) أَشَدَّهَا
 يُشَبِّهُهُمْ مِنْ لَاحِ جَمْعُهُمْ لَهُ
 وَحَسْبُكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَوْمِ فَارِسٌ
 وَعَادُوا إِلَى سِلِّ السِّيَوفِ ، فَقَطَّعَتْ
 فَلَمْ يَبْنُجْ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ مَخْبِرٌ
 كَذَلِكَ مَا يَنْفَكُ تَهْدَى إِلَى الْعِدَا
 وَتَسْرَى لَهُمْ آرَاؤُنَا وَجِيوشُنَا

لرومية جالت عليها المقاسم
 فكأهم بالطعن والضرب عالم
 وليس لهم إلا العوالي^(٣) دعائم
 فما لهم في المشركين مقاوم
 قديمًا لحبل الكفر بالشام جاذم^(٥)
 فطأنا منهم ، ومن العزائم
 وإن جردوا الأسياف فالنفر باسم
 فأضحت جميعاً عربها والأعاجم
 تهون على الشجعان منها الهزائم
 عليهم ، فلم ينجم من الكفر ناجم^(٦)
 إذا ما تلاقى العسكر المتصادم
 بلجة بحر موجها متلاطم
 من الجيش إلا وهو للرمح حاطم^(٨)
 رعوس ، وحزت للفرنج غلاصم^(٩)
 ولا قيل : هذا وحده اليوم سالم
 وللوحش أعراس لهم وماتم
 بدهية تبيض منها المقادم^(١٠)

(١) الأفناء من الناس : الأخطا .
 (٢) العوالي : أعلى الرماح .
 (٣) جذمه : قطعه . (٦) نجم : ظهور .
 (٤) أسد كفرح : صار كالأسد .
 (٧) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة .
 (٨) الحطيم : الكسر .
 (٩) التلصص : اللطم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم .
 (١٠) مقدم العين كحسن ومعظم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه ما استقبلت منه .

فقتلهم بالرأى طوراً ، وتارة
وما العازمُ المحمودُ إلا الذي يرى
وقد غرقَ الكفارَ منه بقطرةٍ
فكيف إذا سألتَ عليهم سُيولنا
وما نحنُ بالإسلامِ للشركِ هازمُ
فقولوا لنورِ الدينِ ، لا قُلْ حدّه
تجهزْ إلى أرضِ العدوِّ ولا تهنِ
فما مثلها تُبدي احتفالاً به ، ولا
فعندك من ألطافِ ربِّك ما به
أعادك حياً بعد أن زعمَ الورى
بوقيتِ أصابَ الأرضَ ما قد أصابها
وخيمَ جيشُ الكفرِ في أرضِ شيزيرِ
وقد كانَ تاريخُ الشامِ وهلكهُ
فقمْ ، واشكرِ اللهَ الكريمَ بنهضةٍ
فتحنُ على ما قد عهدتَ : نروعُهُم
وغاراتنا ليست تفتّر^(٦) عنهم
وأسطولنا أضعافُ ما كان سائراً
تدوسُهُم منا المذاكي الصلادم^(١)
مع العزمِ في أحواله ، وهو حازمُ
سحابُ انتقامِ عندنا مُتراكمُ
وجاشتَ لنا تلكَ البعائرُ الخضارمُ^(٢)
ولكننا الإيمانُ للكفرِ هادمُ
ولا حكمتَ فيه اللبالي الغواشمُ :^(٣)
وتظهرفتوراً أن مَضت منك حارمُ^(٤)
تعضُّ عليها لليلوك الأباهم^(٥)
علمنا يقيناً أنه لك راحمُ
بأنك قد لا قيتَ ما اللهُ حاتمُ
وحلَّت بها تلكَ السواهي العظامُ
فسيقتَ سبايا ، واستحلتَ محارمُ
ومن يحنويه أنه لك عادمُ
إليهم ، فشكرُ اللهِ للخلقِ لازمُ
ونحلفُ جهداً أننا لا نُسلمُ
وليس يُجبي القومَ منها الهزائمُ
إليهم فلا حصنٌ لهمُ منه عاصمُ

(١) الصلادم كزبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والمذاكي من الخيل : ما أتى عليها بعد قرعها سبة أو ستان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : الظلم .

(٤) حارم : مديّة بالشام . (٥) الأباهم : جمع إيهام بالكسر (وهذا تناية عن الدم) .

(٦) تفتّر : تقطع وتضف .

وَنَرَجُو بَانَ نَجْتَاَحَ^(١) بِاقِيهِمْ بِهِ
 عَلَى أَتْنَا نَلْنَا مِنْ الْمَجْدِ مَا بِهِ
 وَلَكِنَّا نَبِي الْمَثُوبَةَ جَهْدَنَا
 وَنَحْتَمُّ بِالْحُسْنَى الْفَعَالَ، وَإِنَّمَا
 فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةَ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونَ الْوَرَى وَالْمَكَارِمُ
 وَصَلْتَ، فَأَغْنَيْتَ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
 وَجُدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
 تَكْفَلْتَ لِلْإِسْلَامِ أَنْكَ مَانِعٌ
 فَأَصْبَحْتَ تَرَعَى سِرْحَهُ بِصَرِيمَةٍ^(٤)
 وَأَيْدَتَهُ بِالْعَدْلِ، وَالْبَدَلِ، وَالتَّقَى
 فَعَدَلُ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
 رَمَيْتَ الْعِدَا بِالْأَسَدِ فِي أَجْمِ الْقَنَا
 بِمَثَلِ أَيْ^(٧) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
 يُبَارِينَ شُهَبَ الْقَذْفِ يَحْمِلُنْ مِثْلَهَا
 سَرَايَا كَمَوْجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْلِ عَشِيرٍ^(٩)
 تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا

فَمَنْ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
 وَصَلْتَ، نَخَافَتْ مِنْ سَطَاكِ الصَّوَارِمَ
 نَدَاكَ [السُّكُوبِ^(٢)] الْمُسْتَهْلِ الْعَامِمِ^(٣)
 حِمَاهُ، مَبِيحٌ مَا حَمَى الْكُفْرَ هَادِمٌ
 مِنَ الْعَزْمِ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعَزَائِمُ
 وَضَرِبَ الطَّلِي^(٥)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
 وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٦) مَا تَصُونُ الْخَوَاتِمُ
 عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمٌ
 وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْمُخَارِمُ^(٨)
 مِنَ الْخَنْفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
 بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) نَجْمُومٌ نَوَاجِمُ
 لَهَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عِدَاهَا وَلَائِمُ

(١) الاجتياح : الإهلاك والاستئصال .
 (٢) سقط بالأصل ولعله [السكوب] أو كلمة على وزنها ومعناها . (٣) استهل المطر : اشتد انصابه .
 (٤) من صرم السيف : احتد . (٥) الطل بالضمعة : الأعناق . (٦) أذله : أهته .
 (٧) الأتى : السبل يأتي من موضع بعيد . (٨) المخارم : الطرقة . (٩) العشير : التراب .
 (١٠) العوال : جمع عالية وهي أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذي على السنان .

فإن خَفَضَ الفُرسَانُ لَطْفَنَ في الوَعَى
 تعرَّضَ منها فوقَ (غَزَّة) عَارِضٌ
 فلانْتَقِجَ سُبْبٌ ، والسيوفُ بوارقُ
 بوارقُ منها الغوثُ ، لا الغيثُ ، يُرتجى
 فليس لراجٍ غيرَ عَفْوِكَ ملجأً
 تزَهَّتْ عن أموالِ مَنْ أنتَ قَاتِلٌ
 فَنَهَبِكَ أرواحٌ تَنْفُلُهَا^(٤) الظَّبَا
 فلا مَوْرِدٌ إلا يَمَازِجُهُ دَمٌ
 فسيفكُ لِنَهْصِمِ المعاندِ خاصِمٌ
 خلطتَ السُّطَا بالعدلِ ، حتى تَأَلَّفَتْ
 يَسُنُّ أبو الغاراتِ غاراتِ جُوده
 ويبعثُها شُعَثَ النَّوَاصِي^(٥) ، كأنَّها
 تُنَلِّظُ^(٦) بأرضِ المشركينِ ، كأنَّها
 قَوَّجِ العَدَا من بأسِها ، إنَّما سَرَى
 فهُمُ جَزْرٌ^(٧) لَلْبِيضِ ، والبيضُ كالدمي
 غزوتهمُ في أرضِهم وبلادهم
 فأفنيتهمُ قتلاً وأسرا بأسرهم
 فعداُ أبادتهمُ سيوفكُ ، وانجَلتْ

رماحهمُ انقضتْ عليها القشاعُ^(١)
 سحابُ المنيَا فوقه مُتْرَاكِمٌ
 وللدِّمِ وَنَبْلٌ ، والنَّباتُ بِجَاحِمِ
 أَشَانِمٌ^(٢) ، لا يروى بها الدهرُ شَانِمٌ^(٣)
 وليس لعاصٍ لم يُنَبِّ ، منك عادِمٌ
 فقد جهلتْ بين الجيوشِ المُقاسِمِ
 وسُمِرَ العوالي ، والبلادُ مغنَمِ
 ولا مرتعٌ إلا رعته المناسِمِ^(٤)
 وعدلكُ للشكوى وللبُجورِ شَانِمٌ^(٥)
 أسودُ الشرى والمُطَفَلَاتُ الرِّوَانِمِ^(٦)
 على ماله ، وهو المطيعُ المُسَلِّمِ
 ذابُ الفلَا تُردى ، عليها الضراغِمِ
 صوادٍ إلى وِردٍ ، حوانٍ^(٧) حَوَانِمِ
 إليها ، ولم تُسْعِرْ ، رَدَى وأدَاهِمِ^(٨)
 سبأياً تُهادى ، والبلادُ معالِمِ
 وجفَلهمُ في أرضها مُتْرَاحِمِ
 فَناجيهمُ مُسْتَسَلِمِ أو مُسَلِّمِ
 عن الأرضِ منهم ظُلمةٌ ومظالمِ

(١) القشاع: السور. (٢) الأشانم: ضد الأيا من. (٣) من شام البرق: نفاذ إليه أين يقصد وأين يحطر.
 (٤) نقله: أعطاه إياه. (٥) المناسم: جمع منسم كجلس: خف البعير. (٦) خصمه: غلبه. وشانم: ملجم.
 (٧) المطفلات الروانم: يريد بن الظبا. (٨) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الشعر. واتشعث: تلبد الشعر.
 (٩) اللفظ: اللوم والإلحاح. (١٠) من حتى ظفروه: عطفه. والحوانم: جمع حاتم، وهو العطنان.
 (١١) الأدام: القيود. (١٢) الجمر: جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة.

غزوتهم في البحر ، حتى كأنما الأساطيل فيه موجه المتلاطم
 بفُرسانٍ بحرٍ ، فوق دُهمٍ^(١) ، كأنها على الماء طيرٌ ، ما هنَّ قوادمٌ^(٢)
 يصرُّفها فُرسانها بأعنة جرت ، حيث لم توصل بين الشكائم^(٣)
 إذا دفعوها قلت: فُرسانُ غارةٍ سَروا بجيادٍ ، ما هنَّ قوائمٌ
 يسوقُ أساطيلَ الفرنجِ إليهمِ حمامٌ ، وطيرٌ للفرنجِ أشائمٌ
 دماؤهم في البحرِ حُمُرُ سوائحٍ وهامهم في البرِّ سُمٌّ^(٤) جوائمٌ
 فلم يخفَ في فجعٍ من الأرضِ هاربٌ ولم ينجُ في بلجٍ من الماءِ عائمٌ
 وعاد الأَسارى مُردفين^(٥) ، وسفنههم تُقادُ ، كما قاد المهارى الخزانم^(٦)
 وقد شَمَّ الملكان في الله ، طالبي بجدٍ ، هو العصبُ الحسامُ ، وحده
 وقاما بنصرِ الدين ، والله قائمٌ بنصرِهما ، مادام للسيفِ قائمٌ^(٧)
 وما دون أن يفنى الفرنجُ ، وتفتح البلادُ ، سوى أن يمضي العزمَ عازمٌ
 فيا ملكاً ، قد أحمد الله سعيه ونيتَه ، والله بالسِّرِّ عالمٌ
 تنَّ ثناءً ، طبَّق الأرضَ نثره هو المسكُ ، لا ما صمته اللطائم^(٨)
 ثناءً به يحدو الحدأةُ ، وينشدُ السرواةُ ، وتسدو في الفصونِ الحمايمُ
 يسيرُ مع الركبِان ، أتى تيمموا على أنه في ساحةِ الحيِّ هاجمٌ^(٩)
 أميرَ الجيوشِ ، اسمع مقالةً بأعج بشركك ، يُبدي مثلَ ما هو كاتمٌ

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . (٣) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي في الحمام : الحديدة المعترضة في فم القوس . (٤) سم : جمع أسمع ، وهو الأسود . (٥) من أردت : إذا أركبت حلفك . (٦) الخزانم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البير . (٧) قائم السيف : مقبضه . (٨) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .

بِفَضْلِكَ آتَى صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ
كَانَ بَدِيعِي شِعْرِهِ وَبَيَانِهِ
عَلَى أَنَّهُ كَالصَّمِّ^(١) : صَبْرًا ، وَقَسْوَةً
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُورَى وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوْهِى قَوَاهُ الْعِظَامِ
وَلَوْ كَانَ سَحَابًا أَبْرَ لِسَانَهُ^(٢) (أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعِزَامِ)
هِيَ السَّحْرُ ، لِأَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ
فَرِيدَةٌ دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ
إِذَا أُشْدَّتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ سَامِعٌ :
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي
وَأَتَى أُمَّتِي النَّفْسَ لَثَمَ بِنَانِهِ
فَقِيهَا مَنَابِيا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمُ
وَحَطَى رِحَالِ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ
وَيَعْجَبُ مِنِّي النَّاسُ ، حَتَّى يَقُولَ مِنْ
قَضَيْتُ ، لَبُعْدَى عَنْ ذِرَاهُ ، نَدَامَةٌ
أَتَتْكَ ابْنَةُ الْفِكْرِ الْحَسِيرِ^(٣) ، بِوَالْتِمَا
بِمُدْجٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مُمْدَجٍ
تَسْوَمُ^(٤) جَمِيلَ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالَ ، إِنَّهُ
تَضَمَّنَ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأَوْرَاقُ الْكِتَابِ كَمَا مُمْ
قَدُمْتَ ، وَدَامَتْ هَالَةٌ ، أَنْتَ بَدْرُهَا وَمُلْكُكَ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ، دَائِمُ

(١) الصم : جمع أصم ، يريد به الحجر .

(٢) أجز لسانه : منته من الكلام .

(٣) سام : أراد .

(٤) من حسر إذا أعيا .

قافية النون

(٣٤٤)

وقال^(١) :

إليكَ ، فما تَنَى شِئْوَكَ^(٢) شَانِي
ولا تَجْرَعِي من بَعْتَةِ البَيْنِ ، واصْبِرِي
ولا تَحْمِلِي^(٣) هَمَّ اغْتِرَابِي ، فلمْ أزل
وفِيًّا ، إذا ما حَانَ جَفْنٌ لِنَاظِرٍ
فَلأَسْدٍ غَيْلٌ حَيْثُ حَلَّتْ ، وإِنَّمَا
ولا تَسْأَلِنِي عن زَمَانِي ؛ فَإِنِّي
ولِكِن ، سَلِي عَنِي الزَّمَانَ ، فَإِنَّهُ
رَمَتْنِي اللبَالِي بِالْحَطُوبِ جَهَالَةً
فَمَا أَوْهَنْتَ عِظْمِي الرِّزَايَا ، وَلَا هَلَا
وَكَمْ نَكِيَّةٍ ظَنَّ العِدَا أَنَّهَا الرِّدَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ
وَإِن كَانَ دَهْرِي غَالٍ^(٥) وَفَرِي فَلَمْ يَغْلُ

وَلَا تَمَلِكُ العَيْنُ الحِسانُ عِنَانِي
لَعَلَّ التَّنَانِي مُعْتَمَبٌ لِسَدَانِي
غَرِيبَ وِفَاءٍ فِي الوَرَى وَبَيَانِ
وَلَمْ تَرَعْ كَفُّ صِحْبَةٍ لِبِنَانِ
يَهَابُ التَّنَانِي قَلْبُ كُلِّ جَبَانِ
أُنزِرُهُ عن شِكْوَى الخَطُوبِ لِسَانِي
يُحَدِّثُ عن صَبْرِي على الحَدَثَانِ
بِصَبْرِي على ما نَأْبِي^(٤) وَعَرَانِي
بِحُسْنِ اصْطِبَارِي فِي المُلَمِّ يَدَانِ
سَمَّتْ بِي ، وَأَعَلَّتْ فِي البَرِيَّةِ شَانِي
وَلَا يَمَلَأُ الهولُ الخَوْفُ جَنَانِي
شَانِي ، وَلَا ذِكْرِي بِكُلِّ مَكَانِ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشنون : الدموع .

(٣) هنا البيت والبيت الذي بعده وردا في ابن عساكر بعد قوله " فلأسد "

(٤) في ابن عساكر " نأبى " .

(٥) غال : أهلك .

وما كانَ إِلاَّ لِلنَّوَالِ وَلِلتَّرَى وَغَوْنًا لِلْمُهْرِفِ ، وَفِدِيَّةَ عَانٍ^(١)
حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطِعَانٍ
وَلَمْ أَدْحِرْ لِلدَّهْرِ ، إِن نَابَ أَوْ نَبَاً^(٢) وَلِلخَطْبِ إِلاَّ صَارِي وَسِنَانِي
لَأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ وَكُلُّ الذِّي فَوْقَ البَسِيطَةِ فَانٍ

قافية الهاء

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَغُصُّ الأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبَى هَمَّتِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مُنَاهَا
أَنَا فِي كِفِّهَا بِكُدُوءِ نَارٍ كَلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(١) العاني : الأسير .

(٢) نبا : فجع .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تجزَعَنَّ لخطبٍ فكلُّ دهرِك خطبُ
وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
تروحُ سلماً ، وتغدو على الفتى ، وهي حربُ
ولا تَضِقْ باصطبارٍ ذرعاً ، إذا اشتدَّ كربُ
فصبرُ يومك مرٌّ وفي غدٍ هو عذبُ
كم صابرَ الدهرِ قوم فأدرِكُوا ما أحبُّوا
وكلُّ نارٍ حريقٍ يُخشى لظاها ستخبو

(٣٤٧)

وقال :

أُحْسِبُ دَهْرِي . أَيِ جَزِعْتُ ، لِمَا غَالَ مِنْ نَسِيٍّ (١) وَاتَّهَبْتُ
فَقَدْ أَخْلَصْتَنِي أَحْدَانُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَاصُ الذَّهَبِ
وَمَا حَطَّيْ أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعَةٌ مَا وَهَبُ
وَمَا لَنَا إِلَّا كَفْؤُ الشَّهَابِ ، إِذَا نَكَّسُوهُ اعْتَلَى وَالتَّهَبُ (٢)

(١) التَّهَبُ : المال الأصيل .

(٢) عبر عن هذا الخاطر بالبيت السابق ص ٢٢٩ ، وهو :

أما في كعها بكثرة نار كلما نكست تعالي ساها

(٣٤٨)

وقال :

لأصبرنَّ لدهرى صبرَ مُحْتَسِبٍ حتى يرى غيرَ ما قد كان يحسبه
وأستميتُ لما تأتي الخطوبُ به ليعلمَ الخطبُ أتى لستُ أرهبه
إنْ غالبتني على وفري نوابه فحسنُ صبري في اللاواءِ يغلبه^(١)
أو أبعثني عن أهلي وعن وطني فأبعدُ الفرجَ المرجوَّ أقربه
والدهرُ يهدمُ ما بيني ، ويخمدُ ما يورى^(٢) ، ويبعدُ ما يدني تقلبه

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دع ذَا ، فما عذرُ الفتى في غيِّه ، والفودُ^(٣) شائب
والأزيميةُ تمنعُ الكرماءَ أن يغشوا المعائب
والجهلُ يأبى أن يكو ن له أخوالستين صاحب

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تقدمت^(٤) :

كفَّ عني وإش ، وأغضى رقيبُ ونهاني عن التصابي المشيبُ
وأرثني الستونَ نهجي ، وقد كا ن عفا ، وهو مهيع^(٥) ملحوب^(٦)
وانقضتْ شرتي^(٧) ، وشدَّ لي الحلمُ حبا^(٨) ، لا يحلها ما يريبُ

(١) الوفير : الفنى . واللاواء : الشدة .

(٢) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .

(٣) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .

(٤) انظر صفحة ص ٧ .

(٥) طويق مويج : بين .

(٦) حب الطريق : بيته .

(٧) شرتي : نشاطي .

(٨) احتبى بالثوب : اشتل ، أوجع بين ظهره وساقيه بهامة ونحوها . والاسم الحبوقة ويضم .

وخبرتُ الأيامَ حتى لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيبُ
وعزيرٌ عَلَى أَنِي وَقَدْ جَرَّ بَتُّ دَهْرِي ، لَمْ يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وإِذَا حُمَّتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمْرُ فِي الرَّأْيِ ، حَيْثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء

(٣٥١)

وقال (١) :

لَا تُتَكْرَنُ مَرَّ الْعَنَابِ ، فَتَحْتَهُ شَهْدٌ ، جَنَّتَهُ يَدُ الْوِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالذُّرُّ يُطَلَّبُ فِي الْأُجَاجِ الْمَالِحِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَمْتَحِنِي ، أَوْ تَرْتَجِمِي تَنْظُرٌ بِحُسْنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاحِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لِمَا صَابَرُوا ظُلْمَ السَّرِيِّ أَفْضَلًا إِلَى الْإِصْبَاحِ

قافية الخاء

(٣٥٣)

وقال :

زَهَتْ نَفْسِي عَنْ مَنْ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَّتْ بِهِمْ رُتْبُ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَمَخُوا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْني إِلَى طَمَعِ بَزْرِي (٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هذان البيتان مما يرويهما مسالك الأبحار لأمانة ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أزرى : عاب ..

وقال :

سِرْعَن بِلَادِهِمْ فَقَدْ سَمَّتْ بِهَا عَيْسَى مَحْوَلٌ مُعْرَسِي وَمُنَاخِي ^(١)
وَدَعِ الْأَمَانِي ، إِنَّهَا غَرَارَةٌ وُوَعُودُهَا لِلطَّامِعِينَ أُوَانِحِي ^(٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ سَرَابَهَا غَيْرُ الْمَطَالِ بِمَوْعِدِ مُتْرَانِحِي

قافية الدال

(٣٥٥)

وقال :

أَنْظُرْ بِعَيْشِكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُلُومُ عَلَى الْمَوْدَةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّخَا ءِ عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةٌ
وَلِكُلِّ مَا تَأْتِي وَتَمَّوِي إِنْ صَبَرْتَ ، مَدَى وَمُدَّةٌ

(٣٥٦)

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَاتِ عَلَى فَعْلُ الْخَيْرِ وَالْجُودِ
وَأِنْ تَوَلَّتْ ، فَفَقْرَادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ ^(٣) ، جُلُودِ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقِضِي خُطُوبَهُنَّ الْبَيْضُ وَالسُّودِ

(١) معزى : من تزعس القوم زلوا في آخر الليل للاستراحة . والمناخ في الأصل : مبرك الإبل . والمحول

المكان الجذب .

(٢) الأوانحى : جمع أخية وهي عود في حائط أو في جبل يدفن طارفاً . في الأرض وبرز طرزة كالحلقة تشد فيها الذابة .

(٣) اللأواء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقُظُ ، فَمِنْ يَسْنَاكَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَخْدَعُ الْيَقْظَانَ مَنْ هُوَ رَاقِدٌ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمَبَارِدُ
وَتُلَقِّي الْأَسْوَدُ بِالْخُدَيْعَةِ فِي الرَّبِيِّ (١) وَلَوْ جُوهرتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَائِدُ
وَإِهْمَالُ مَا يُخَشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكٌ وَمَصْرَعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتَ شَاهِدُ

(٣٥٨)

وقال (٢)

سَانِقٌ وَفَرَى (٣) فِي اكْتِسَابِ مَكْرِمٍ أَظَلُّ (٤) بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْهَيْجَاءِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أُنْخَشِي عَامِلًا (٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ قَتَى يَلْقَى الْمَنِيَّةَ ضَاحِكًا (٦) كَأَنَّ لَهُ فِي الْقَتْلِ (٧) عَيْشًا مُجَدِّدًا
فَإِنْ نَلْتُ مَا أَرْجُو فَالْجُودِ (٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الربي جمع زبية : حفرة للأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب "مال" .

(٤) في المصدر قسه "أعيش" .

(٥) شامل الترخ : صدره . والمهتد : السيف .

(٦) في المصدر السابق "باسما" .

(٧) > > "في الموت" .

(٨) > > > "ظلمجد" .

(٣٥٩)

وقال :

لا ترغبن فيمن إذا شاهدته وخبرته ، لم تُلغِه بالشاهد
ومتى أردت تكثراً بدونه فاعلم بأنك لم تزد عن واحد

(٣٦٠)

وقال :

تلق ذوى الحاجات بالبشر ، إنه إلى كرماء الناس أشهى من الحدأ^(١)
عسى من يرّجى سيبك اليوم يعّتي فتصيح فيمن ترتجى سيبه^(٢) غداً

(٣٦١)

وقال :

ارض الخمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ، ومن معاندة العدا
دون المعالي عدوة^(٣) إن خضتها متقحماً^(٤) أوردت مهجتك الردى
وإذا سلمت ونلت أيسر بغيه منها جعلت لك البرية حسداً
فاسمع نصيحة من يكاد لعله بالدهر يدرى اليوم بالآتي غداً

(٣٦٢)

وقال :

ما كف كفى عن جودى بموجودى نواب ، ومليات لحث^(٥) عودى
في اليسر أبذل ميسورى ، وأبذل فى عسرى لطالب ردى شطر موجودى

(١) الحدأ : العطية .
(٢) السيب : العطاء .
(٣) العدو : المكان المرتفع .
(٤) متقحماً : من تعمر في الأمر : رى نفسه فيه بغاة بلا روية .
(٥) لحا العود : قنبره .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ ، فَصَبِرًا
فَالدهرُ يُرهِقُ عُسْرًا وَيُبِيعُ العُسْرَ يُسْرًا
لَوْ دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لِدَامَ مَا كَانَ سَرًّا

(٣٦٤)

وقال^(١) :

أَلَنْ الخَطُوبَ إِذَا طَرَفْنَا بِقَلْبٍ مُحْتَسِبٍ صَبُورٍ
فَسَيَنْقِضِي زَمَنُ المَوْتِ مِثْلَ مَا انْقَضَى زَمَنُ السَّرُورِ
فَمَنْ المَحَالِ دَوَامٌ حَا لِي فِي مَدَى العَمْرِ القَصِيرِ

(٣٦٥)

وقال^(٢) :

أَسْتَرْهُمُومَكَ بِالتَّجْمِيلِ^(٣) ، وَاصْطَبِرْ
كَالتَّشْمِيعِ ، يُظْهِرُ نَوْرَهُ مُتَجَمِّلًا ، وَفِيهِ نَارٌ تُسْعِرُ
إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى الحَوَادِثِ يَصْبِرُ

(١) هذا الشعر مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هذا الشعر مما روى لأسامة في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجميل : التصير .

(٣٦٦)

وقال :

لا تَأْمَنَنَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ ، فَأَمْنُ كَيْدِهِمْ غَرَزٌ^(١)
كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْقَوِيُّ ، أَوْ الضَّعِيفُ ، عَلَى حَذَرٍ
فَلَمَّا يُطْفِئُ النَّارَ طَبْعًا ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْرًا وَاحِدًا ، أَوْ فَالْتَمَسْ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدِي وَرَعٍ وَطِيبِ نِجَارٍ^(٢)
وَاحِدًا مُصَاحِبَةً السَّفِيهِ ، فَشَرُّ مَا جَلَبَ النَّدَامَةَ صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذَى يُجْتَنَى مِنْهَا النَّارُ ، وَذَى وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَنْفَقْتَ مَا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدَيَّ وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غرزه : عرضها للهلكة . والاسم الفرز .

(٢) المحتد : الأصل والطبع . والنجار : الأصل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَبْوَابِهِ مُتَكَسِّبٌ وَمَعَاشُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أحوالِهِمْ ، نَارٌ ، وَنَحْنُ قَرَأُشُ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ مِنَ السَّهْمِ يُنْسَى إِذَا مَضَى
وَالَّذِي سَاءَ مِنْ زَمَانِكَ سَهْلٌ مَعَ الرِّضَا
وَأَخُو الْحَزْمِ مَنْ إِذَا أَعْضَلَ الْأَمْرَ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أَصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَانَتَهُ قَوَادِمُهُ لَا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إِذَا نَهَضَا
أَرْوَحُ مِنْ نَائِبَاتٍ لَا تُغَبُّ وَمِنْ هُمُومِ عَيْشٍ كَمَا لَا اشْتَهَى غَرَضَا
لَكِتَّتِي قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَمَا يَرَانِي لِحَطْبِ نَابٍ مُنْقَبَضَا
الَّتِي الْحَوَادِثُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَمَقْدُورِ الْقَضَاءِ بِتَسْلِيمٍ لَهُ وَرِضَا
عِلْمًا بِتَغْيِيرِ أحوالِ الزَّمَانِ ، فَكَمْ رَأَيْتُ مُبْرَمَ أَمْرٍ عَادَ مُتَقَضَا

(١) استقله : حمله ورضه . واستقل الطائر : ارتفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تَسْكُنِ لِلَّهِمَّ ، وَاثْنِ جِمَاحَهُ بِعَزِيمَةٍ فِي الْخَطْبِ لَا تَتَضَعُّعُ
فَإِذَا أَتَى مَا لَيْسَ يُدْفَعُ فَالْقَهْ بِالصَّبْرِ ، فَهُوَ دَوَاءٌ مَا لَا يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ يَسْرُهُمْ مَا سَاءَ نَأَى : لَا زَايَلْتُمْ حَسْرَةً وَتَلَهْفُ
شَمْلِي ، بِمَجْدِ اللَّهِ بَعْدَ تَشْتِئِ وَتَفْرِقُ ، مِنْتَجَمِّعُ مَتَأَلْفُ
وَالْمَالُ إِنْ غَالَ الزَّمَانَ تِلَادَهُ وَسَلَبْتُ ، سَدَّ مَكَانَهُ الْمُسْتَطَرَفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إِلَى كَمْ تَرْتَجِي عَطْفَ الْمَلُولِ وَتَسْتَجِدِي نَوَالًا مِنْ بَحْيِلِ
كَأَنَّكَ فِي الَّذِي حَاوَلْتَ سَأَجَ لِمَجْعِ ضُحَى نَهَارِكَ بِالْأَصِيلِ
لَقَدْ أَوْقَعْتَ قَلْبَكَ فِي عَنَاءِ كَبِيرٍ فِي رَجَاءٍ جَدًّا^(١) قَلِيلِ

وفي الأَطَاعِ لِمَعْتَرِ دُلِّ
وَحُسْنِ الْبَاسِ عِزٌّ لِلذَّلِيلِ
فَلَا تَعِصِ النَّهْيَ؛ فَالْحِزْمُ نَاهٍ
لِمَنكَ عَنِ طِلَابِ الْمُسْتَحِيلِ
تَنَاسَوْا، أَوْ نَسُوا عَهْدِي، وَمَالُوا
إِلَى بَحْدِ الْهَوَى كُلِّ الْمَمِيلِ
وَلَمَّا أَنْ رَأَوْا حَسَنِي قَبِيحًا
رَأَوْا نَعْمَطَ الْجَمِيلِ مِنَ الْجَمِيلِ
سَلُّوا، وَتَبَدَّلُوا بِكَ، فَاسْأَلْ عَنْهُمْ
وَدَعْ مَا رَابَ مِنْهُمْ لِلْبَدِيلِ
وَلَا تَتَطَلَّبِ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ
فَكُلُّ النَّاسِ مِنْ أَبْنَاءِ جَبِيلِ
وَلَا تَجْزِعْ لِفَنَدِرٍ مِنْ خَلِيلِ
فَقَدْ نُسِخَ الْوَفَاءُ مِنَ الْخَلِيلِ
وَأَغْضِ عَلَى الْقَدَى عَيْنًا، وَسَكِنِ
حِشَاكَ عَلَى جَوَى الْهَمِّ الدَّخِيلِ

(٣٧٥)

وقال :

وإني لعصاة العواذل، لا أرى
على شعث^(١) الخللان مستبدلاً خلاً
ضنين بمن صاحبت، أحسب أنه
إذا بان، لا ألقى له أبداً مثلاً

(٣٧٦)

وقال :

أيها الربيع المحيلُ جدَّ بي عنك الرحيلُ
لست بالدار، ولا فيك لمن يضحى مقيل^(٢)
غاب عني الرشدُ في قصيدتك والرأي الأصيلُ
تملطة كانت، ولطف الله ما زال يقيلُ

(١) شعث : تغير .

(٢) ضحى كسى : أصابه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . ونام المكان : مقيل .

ما مُقامُ الحرِّ في أرَضٍ بِها النَّاسُ قَليلُ
بلدٍ فيه عَزيزُ القومِ مَقهورٌ ذَليلُ
لستُ أرجوكَ وقد لا حَتَّ لِعَنيِّ المَحولُ
إنما يَرتادُ أرضَ المَحَلِّ مَغرورٌ جَهلُ

(٣٧٧)

وقال (١) :

أين (٢) غَضَّ دَهْرٌ من جِماحِي ، أو ثَنِي عَنايَ ، أو زَلَّتْ بِأَخِصِي النَعْلُ
تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّمايَ ؛ جِمالَةً وكمِ إِحْتِة (٣) في الصِّدرِ أبرزها (٤) الجِهلُ
وهل أنا إِلاَّ السِّيفُ فَلَلِ حَدَّهُ قِراعُ الأَعادي ، ثم أَرهفَهُ الصَّمَلُ

(٣٧٨)

وقال :

تَوالى إِلى السَّائِلُونَ ، وإِني لَأنفُ أَلَا يُدِرِكُ السُّؤالَ سائِلِي
ولَكنَّ مَسْتورِي كَظَاهِرِ حَالِهِم فِما حِيلَتِي ، وَالحِظُّ حَربُ الفِضائِلِ
ولو بَسَطتُ أَيدي الحِوادِثِ من يَدِي تَلَقَّتهمُ قَبْلَ السُّؤالِ بِنائِلِي

(١) روى هذا الشعر في تحفة القصر ١ : ١٠١ وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة وياقوت « لئن غض » . (٣) الإحثة : الحقد والفضب

(٤) في الخريدة « آزرها » .

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رفعتُ وما بأيديهمُ رزقي ولا أجلي
ما قدرَ اللهُ لا أستطيعُ أدفعهُ وما لهمُ في سوى المقدورِ من عملِ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَضَّني دهرِي بما أذهبَ من مالي
فهمتِي بالنجمِ معقودةٌ ما حطَّها ما حالَ من حالي
كالنَّارِ إن نكَّسها قابسٌ لم يتنكَّس نورُها العالِي

قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شغفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكرمِ
ما غالَ دهرِي وفري في تقلُّبهُ إلا جعلتُ الندى سِتراً على العدمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا هجمةٌ^(١) للحقِّ إن ناب، والفري وللجارِ ما تنفكَّ نهياً^(٢) مقسماً
إذا هي لم يعجلِ إلى الضيفِ درُّها أدرَّ أيماني من عراقِها النِّمأ

(٢) التيب : الغنيمة .

(١) الهجمة من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لا تُودَعَنَّ سَمْعَ أُنْحِ شَكِيَّةٌ فَالْقَلْبُ أُولَى بِالَّذِي أُجِنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنَّا

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْمِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَوْمٌ أَنْ يَذْكَرَ القَوْمَ اللثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْبِرْهُ عَنْهُمْ ، وَأُنْبِيهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلْبُ الغَنِيِّ ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذَكَرْتُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْبِرَايَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَسْبِطُ ذَا ، وَقَصْرُهُمُ^(٢) الْمُنَايَا

(١) أجن : ستر . (٢) قصرهم : غابتهم .

ورأيتُه مُسْتَرَجِعًا تَزَرَ المواهب والعطايا
مُتَغَايِرَ الأحوالِ مَخْتَلَفَ الضَّرَائِبِ^(١) والسَّجَايَا
لا نعمةً فيه تدو مُ ، ولا تدومُ به البَلَايَا
لم أَعْتَبَطُ فيه بَقَائِدَةً ، ولم أَخْشَ الرِّزَايَا

(١) الضَّرَائِبُ : جمع ضَرِيبة وهي الطيعة .

في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صبرنا على البلاء احتساباً لرجونا عنه جزيل الثواب
غير أن اصطبارنا صبرٌ عجيز واضطرار ، كذلك صبر الدواب
فلحى^(١) الله أنفساً ترتضى العيش ، إذا كان فيه ذل الرقاب

(٣٨٧)

وقال :

حسي من العيش خير العيش يدركه سواي بي ، ولي الأوصاب^(٢) والنصب
كأتي البو^(٣) تستمرى^(٤) العجول^(٥) به ولأنا لسواه الدر والحلب

(٣٨٨)

وقال^(٦) :

[بُعداً لمن]^(٧) شره أنعمي ، يُصيب ولا يرى مكان الأعدى من ذوى النسب
[كالنار تحرق]^(٧) طبعاً ، لا تُميز بين المتدل الرطب^(٨) ، في الإحراق ، والحطب

- (١) لحى الله فلانا : حبه ولعمه . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء . والنصب .
(٣) البو : جلد الحوار يحشى تبناً ، فيقرب من أم الفصيل ، فتعطف عليه ، فتدر .
(٤) من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .
(٥) العجول : التلكي والواله من الإبل .
(٦) البتان من مختارات المسالك لأسامه (١٠ : ٥٠٦) .
(٧) سقط بالأصل . والتكلمة من مسالك الأبصار .
(٨) المتدل : العود ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلَفْتُ الكجاوَةَ^(١) بعد النُّفُورِ ، وطابَتْ ، وما خلتها لى تطيبُ
وصرفُ الزمانِ ، كما قد علستَ ، أمَّنكَ اللهُ منه ، عجيبُ
يُعيدُ صديقَكَ ، وهو العدوُّ ويأبى بغيضَكَ وهو الحبيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أما ترى الماجدَ المفضالَ ترفعه أيامه ، وهو بالإحسانِ مقترِبُ
طوعَ القيادِ كغصنِ البانِ يجذبُه مرُّ النَّسيمِ ، على ضَعْفِ ، فينجذبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمَلًا يجاذبُ زهرةً ، كلما أخذتها نَمَلَةٌ انزعجتُ منها أخرى :
شاهدتُ نَمَلًا قد مجاذبُ زهرةً ذا قد تَمَلَّكها ، وهذا يسلبُ
مثلُ الملوكِ تجاذبوا الدنيا ، فما حصلتُ لمغلوبٍ ولا من يغلبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يا آلِفَ الهَمِّ ، لا تَقْنَطْ ، فأياسُ ما تكونُ يأتِيكَ لُطْفُ اللهِ بالفريجِ
ثِقْ بالذى بِسَمْعِ النَّجوى ، ويُنجى من الـ بَلوى ، ويسْتَنْقِذُ العَرَقى من اللُّججِ

(١) الكجاوة (بالفارسية) : الخودج . فلهه يريد هنا : الاتزواء والبعذ عن الناس .

(٣٩٣)

وقال :

ثَقَلِي إِذَا نَادَيْتَنِي لِمَلَّةٍ أَجْدَى مِنَ الْمَتَسَّرِعِ الْهَلْبَاجِ^(١)
إِنَّ الْأَنَاةَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَنِّي تُغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَفْعٌ يُرْتَجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةٌ الْإِنْضَاجِ

قافية الحاء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي بَحَثَ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، دُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنْعَا
لَكِنَّهُ لِلْحِطِّ مِيزَانًا تَرَفَّعَ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَانْحَطَّ مِنْ رِبْحًا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهَمَ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ نَهَمَتْ يَهْتَدِي
لَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْسَلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَضَحُّ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَفْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سَنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا زَمَنَ الْهَمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلِدِي

(١) في القاموس : الهلجاجة : الأحمق .

(٢) الدلج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر مما روى في خريدة القصر ١ : ١٠٠ ، ومجمع الأدباء ٥ : ١٩٥ ، ومسالك الأبحار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية باقوت وخريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحتُ في زمنٍ يَسِيبُ لجوره فودُ الجنينِ، ويَهْرَمُ المولودُ
وإذا شكونا اليومَ، ثم أتى غدٌ قلنا : ألا ياليتَ أمسِ يعودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودعْ أخا العزمِ مصرّاً، لا لِمَيْسَ، وخُضْ بالسَّابِحَاتِ بحارَ المَهْمَةِ البِيدِ^(١)
وسِرْ عن الأرضِ تنبو بالكرامِ، فقد طال انتظارُ الجَنَى من يابِسِ العودِ

(٣٩٨)

وقال :

صديقُ لي ، تنكَّرَ بعد وِدِّ وأُمُّ الغَدْرِ في الدنيا ولُودُ
أراه مَلالَهُ حَسَنِي قبيحاً فصدَّ ، وأيسرُ الغَدْرِ الصُّدودُ
وذمَّ اليومَ ما حمدته مني تجارِبُهُ ، وأوس به شهيدُ
ولستُ ألوَمُهُ فيما أتاه أساء ، فراهُ الفعلُ الحميدُ
وقد يَمِيدُ المريضُ الماءَ مرّاً بفيه ، وهو سلسالُ برودُ

(١) المهمة : الغاظة البعيدة . والبيد : جمع بيدا . وهي الفلاة .

(٣٩٩)

وقال :

مَصَّتْ لِدَاتِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَبِثًا كَدَا
وَمَا أَرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ الشَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْفُقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ يَسْكُنُهُ الْإِنْسَانُ مَنْفَرِدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْحَظُوظَ فَيَسْتَعْلِي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مَحْدُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدِ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنَّ الْعَلَا بِالْحُدُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجَهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالشَّمْسُ أَدْنَى سَجَابٍ عَنِ^(٤) يَسْتَرُهَا
وَإِنْ هُمْ كَدَرُوا صَفْوَِي بِغَيْثِهِمْ . فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَدَى^(٥) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرٍ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شَهَرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَدْوِ النَّاسِ وَالْحَضِيرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَقَى ضَوْءُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصِيرِ

(١) اللدات : جمع لدة ، وهو التراب . (٢) المحدرد : المحروم والمنوع من الخير .
(٣) المحدرد : المخطوط . (٤) عن : ظهر . (٥) القدي : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدِي ولساني عن نوالٍ وعن أمرٍ
فما يَحْتَشِي الأعداءُ بأسي وسَطوتي ولا يرتجى الإخوانُ نفي ولا نصري
إذا نابهمُ خطبُ فكلُّ استِطاعي تلهبُ^(١) أنفاسِ أحرَّ من الجمرِ
ولا خيرَ في الدنيا بما لي ولو صفت إذا كان لا يُرجى لنفعٍ ولا ضرِّ

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهلٌ على العارِفِ بالدِّهرِ مانابٌ من مُستصعبِ الأمرِ
وكلُّ ما استُعِظِمَ من حادِثٍ مُستصغِرٌ في جانبِ الصَّبرِ

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسنِ صبرِ الشَّمعِ ، يُظهرُ لا رآئينَ نورًا ، وفيه النَّارُ تَسْتَعْرِ
كذا الكريمُ : تراه ضاحِكًا جدًّا وقلبه بدخيلِ الهَمِّ^(٣) مُنْفَطِرُ

(١) في هامش الديوان "تغرم" رواية .

(٢) هذان البيتان مما روى لأشامة في الخريدة ١: ١٠١، وياقوت ٥: ١٩٩ .

(٣) رواية ياقوت "النم" .

(٤٠٦)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا كَرِهْتَ تَحْتَظَّ بِمَا تَهْوَى ، فَمَا جَارِعُ بِمَعْدُورٍ
إِنَّ اصْطِبَارَ الْجَنِينِ فِي ظُلْمِ الْأَحْ - شَاءَ أَفْضَى بِهِ إِلَى النَّوْرِ

(٤٠٧)

وقال :

إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ وَإِنْ أَبَدَى الْمُدَاجَاةَ^(١) ، مَا تُخْفِي صَمَائِرَهُ
كَالْحَطِّ يَلْحَظُهُ الْقَارِي ، فَيُرِصُّلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ نَاطِرُهُ

قافية الزاى

(٤٠٨)

وقال :

اصْبِرْتَنَلْ مَا تُرْجِيهِ ، وَتَفْضُلُ مَنْ - جَارَاكَ شَاؤَ الْعُلَا سَبْقًا وَتَبْرِيْرًا
فَالْتَبِرُ أَحْرَقَ بِالنَّبْرَانِ مُصْطَبِرًا عَلَى لَطَاهَا ، إِلَى أَنْ عَادَ لِإِبْرِيْرًا^(٢)

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) التبر : فوات الذهب . والإبريز : الذهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبر إذا نابَ خطبٌ، وانتظر فرجاً يأتي به الله بعد- الرِّيث^(١) واليأسِ
إن اصطبارَ ابنة العنقود، إذ حاست في ظلمة القَارِ، أداها إلى الكأسِ

(٤١٠)

وقال :

الضرُّ في أيامنا هذه كالليلِ يَغشى سائرَ النَّاسِ
وكأهم راضٍ، وفوق الرضا يُبغية الطَّاعِمِ والكأبي
ودون ما يرجونه مانبعُ يلقي وجوهَ النَّاسِ باليأسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أراني أستطيلُ مدى حياتي وما في مفرقي للشيبِ وخطُ
ولو أسقطتُ منه زمانَ همي لقال النَّاسُ : هذا الشَّخصُ سقطُ

(١) الريث : الإبطاء .

قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطَاعِ تَزَنُرِهَا لَكَ الْمُنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَانْخَدَعِ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمِعِهِمْ وَجَدْتَ مُلْكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقِ^(٢) رَجَعُ النَّدَاءِ جَوَابُهُ فِإِذَا عَرَا خَطْبُ فَاْبَعْدُ مَنْ دُعِيَ
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْفَى عَلَى مَكَانِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مِسْمِعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عِنْدَهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرَقِ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَهْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ بِالْفَرَقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مذاق الود : لم يخلصه .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديقٌ يَغُرُّ الأصدقاءَ، وما رأيتُهُ قَطُّ في وُدِّ امرئٍ صَدَقًا
صديقُه أبداً منه على وَجَلٍ^(١) كراكب البحرِ، يَخشى دهرَه الغَرَقًا

(٤١٦)

وقال :

لا تقربنَّ بابَ سُلطانٍ، وإنْ مَلَأَتْ هِباتُه غَيْرَ مَمْنونٍ بها الطُّرُقًا
وَإِنَّ أبوابَهُم كالبَحْرِ : راکبُه مروعُ القلبِ، يَخشى دهرَه الغَرَقًا

(٤١٧)

وقال :

أستُرُّ بصبرك ما تُخْفِيه من كَمَدٍ وإنْ أذابَ حَشاكُ الهَمِّ والحُرْقُ
كالشَّمعِ يُظهِرُ أنوارَ التَّجَمُّلِ، والذُّ موعُ منهلَّةٌ ، والجسمُ مُحْتَرِقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

من رُزِقُ الصبرِ نال بُغيتَه ولاحظته السعودُ في الفلَكِ
إنَّ اضطبارَ الزُّجاجِ للسَّبكِ والذُّ سيرانِ أدناه من فَمِ الملكِ

(١) الوجل : الخوف .

قافية اللام

(٤١٩)

وقال (١) :

أنظر إلى صَرفِ دَهْرِي، كيف عَوَدَنِي بعدَ المشيبِ سِوَى عَادَاتِي الأَوَّلِ
وفى تَغَايِرِ صَرفِ الدَّهْرِ مَعْتَبَرٌ وأيُّ حَالٍ على الأَيَّامِ لِمَ تَحُلُ
قد كُنْتُ مَسْعَرِ حَرْبٍ، كَلِمَةَ أَحْمَدَتُ أَضْرَمْتُهَا بِاقْتِدَاحِ البَيْضِ فِي القَائِلِ (٢)
هَمِّي مَنَازِلَةُ الأَقْرَانِ، أَحْسِبُهُم فَرَائِدِي، فَهَمُّ مَنِي على وَجَلِ
أَمْضَى على الهَوْلِ مِن لَيْلٍ، وَأَهْجُمُ مِن سَبِيلِ، وَأَقْدُمُ فِي الهَيْجَاءِ مِن أَجَلِ
فَصَرْتُ كَالغَادَةِ المِكْسَالِ: مَضْجَعُهَا على الحَشَا يَا وِراءَ السَّجْفِ (٣) وَالبِكَايِلِ
قد كَدْتُ أَعْضُنُ مِن طُولِ الثَّوَاءِ كَمَا يُصْدِي المِهْنَدَ طَوَّلُ المِكْثِ فِي الخِلَالِ (٤)
أروحُ بعدَ دُرُوعِ الحَرْبِ فِي حُلِي مِن الدَّبِيْقِ (٥) فَبُؤْسًا لِي وَللْحُلَلِ
وما الرِّفَاهَةُ مِن رَأْيِي وَلَا أَرَبِي وَلَا التَّنْعَمُ مِن هَمِّي وَلَا شُغْلِي
ولستُ أَهْوَى (٦) بِلُوعِ المِجْدِ فِي رَفِهِ وَلَا العَلَادُونَ حَطْمِ البَيْضِ وَالأَسَلِ

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ٥ : ١٧٤ .
(٢) الذال : الجماعات من الناس . والقلة بالضم : أهل الرأس والجمع قتل . والبيض : السيوف . وسعر الحرب : أوقدها .
(٣) السجف : الستر .
(٤) الخلة : جفن السيف المنثى بالأدم والجمع حلال .
(٥) الدبيق : كما يريد بمصر منها الثياب الدبيقية .
(٦) في هامش الديوان « أرضي » .

(٤٢٠)

وقال (١) :

إذا ما عرّا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّياليَ بالخطوبِ حوامِلُ
فكلُّ (٢) الذي يأتي به الدهرُ زائلٌ سريعاً ، فلا تجزعَ لما هو زائلٌ

(٤٢١)

وقال :

كُلُّ شيءٍ تراهُ في هذه الدنْءِ يا خيالُ إذا انتبهتَ يزولُ
ما يدومُ النَّعيمُ فيها ، ولا البؤسُ ، مناعُ الدنْءِ مناعٌ قليلُ
والذي يصرفُ الهمومَ إذا ما ضمقتَ ذرعاً بهنَّ صبرٌ جميلُ

(٤٢٢)

وقال (٣) :

إني وثقتُ بأمرِ غرّني أملي فيه ، وقد قيل : كم من واثقٍ خجلِ
عادتُ إلى الأمانِ منه آيسَةً فيا حياةَ المنى من خيبة الأملِ

(١) روى اليتان في تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن عساكر « وكل » .

(٣) روى هذان اليتان في مسانك الأضار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ دُرُّكَ من رَجَاءٍ كاذِبٍ يَغْتَرُّنَا بِوَرُودِ لَامِعِ آلٍ^(١)
أَبْدًا يُسَوِّفُنَا بِنُصْرَةِ خَاذِلٍ ووفاءِ خَوَّانٍ ، وَعَطْفَةِ قَالٍ^(٢)
وَنَزَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِن مَالَنَا عَزَمُ مع الأَمْوَاءِ وَالْآمَالِ

(٤٢٤)

وقال :

لا تَعْتَبِنَ مَنْ مَلَّ ، إِنَّ عَنَابَهُ كَثِيفٍ^(٣) مُعَوِّجِ الظَّلَالِ المَائِلِ
يَلْتَقَى العِتَابَ بِسَمْعِ لَاهٍ صَادِفٍ^(٤) ويرى الخُضُوعَ بِطَرَفِ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقْتَدَيْتَ دَلِيلَ قُبُجِ فَعَالِهِ دَفَعَ العِيَانَ بِجُحَّةِ المِتْجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لا يُوسِفَنَّكَ ما غَالَ الزَّمانُ ، فَمَا يَرْضَى بِما^(٥) غَالَ : من وَفَرٍ وَمِن مَالِ
وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّدرِجِ يَنْقَلِنَا نَقَلَ المُخَادِعِ من حَالٍ إلى حَالِ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِما دُونَ النُّفُوسِ . وَمَا تُفَدَى إِذَا غَالَهَا ، حاشاك ، بِالغَالِي

(٢) القال : المبعوض .

(٥) في الأصل (إذا) تحريف .

(١) الآل : السراب .

(٣) ثقفه : سراه .

(٤) صدف : أعرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعل الأشغال عُدْ رَأً في مُدافَعِي ومَطِيرِ
شُغلي إِلَيْكَ إِذا اشْتَغَلتْ ، فإِذْ^(١) فرغتَ فانتَ مَسِي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَم أَجوبُ الأَرْضَ مالِي مُعَرَّسٌ ولا لِمَسِيرِي في البِلادِ قُفولُ
كَأَنَّ في الدُّنْيا قَدَاةً بِمَقْلَةٍ تَرَدَّدُ في أَرْجانِها ، وَتَجولُ
أَشيمُ بِها بَرَقَ الحِيا^(٢) ، وَهو خُلْبٌ وأرتادُ أرضِ الرِوضِ ، وَهي مَحولُ
وما مِن تِكاليفِ الحِياةِ وَبُوسِها خِلاصٌ بِغيرِ المِوتِ ، وَهو مَهولُ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَدَنِي في العِقلِ أَتِي أَرى عِنايةَ الأَيامِ بِالجَهْلِ
والدَّهْرِ كالمِيزانِ : ذُو الفَضْلِ يَنحَطُّ ، وَذُو النِّقْصانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الحِظوظَ لِمَن أَصَبَنَ ، وَحَطَّ مَن
يُعْطى الغَني ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الفَتي
أَخْطأَنه ، فِيه يَحارُ العاقِلُ
كالِدَيْكَ تَوَجَّ ، وَالْبِزاةُ عَواطِلُ

(١) في الأصل (فإذا) . تحريف .

(٢) الحيا : الطر . والخلب : المطمع الخائف .

(٣) النَّدْب : الخفيف في الحاجة الطريف النجيب .

قافية الميم

(٤٣٠)

وقال (١) :

بِ مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ (٢) ، فلم يَرَعَ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَّنِي ظِلَّةً أَصَاحِبُهُ الدَّهْرَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامِ
فَاقْتَرَفْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَ رِزْقُ الْفَتَى بِقُوَّتِهِ نَازَلَتْ ضَارِي الْأَسْوَدِ فِي الْأَجَمِ
لَكُنْتُ عَنْ مَشِيئَةٍ سَبَقَتْ فِي الْخَلْقِ تَجْرِي فِيهِمْ عَلَى الْقَسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهًا رَشَفَ الذُّعَافِ مِنَ السَّمِّ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرِهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانِ الْعَيْونِ مِنَ الْهَمِّ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أى العمر الغائب .

(٤٣٣)

وقال :

لأناسفنَ لذهابٍ أو فانتِ يُرَبِّحِي ، ولا تُتْبِعِه زفرةَ نادِمِ
واصبرِ على الحدَثانِ صبرَ مُسلمٍ مُتَبَقِّنِ أنْ لیسَ منه بِسالمِ
فغضارةُ الدنيا كظِلِّ زائلِ والعيشُ فيها مثلُ حلمِ النَّائمِ
والدهرُ يَمْنَحُ ، ثم يَمْنَعُ نَزْرَ ما أعطى ، وَيَجْزِلُ بالسُّرورِ الدائمِ
والناسُ من لم يَصْطَبِرِ بِمَعَاهِدِهِ صبرَ الرضا صبرَ اصْطَبَارِ الرَّاعِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قل للرجاء : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتِي بَعْدَ الْكِرَامِ
قد عمَّ داءُ البُخلِ ، حتَّى شاعَ في كلِّ الأنامِ
فاكفهمُ بالبُخلِ مُقْفَلَةٌ على سُمِّ (١) الحُطامِ
فإلامُ ترتادُ الحُورَ لَ ، وترتجى رى الجَهامِ (٢)

(٤٣٥)

وقال :

ياأخى الشاكى لما أشكوهُ والحاملِ همى
ونسبِ الوُدِّ لانسبةِ آباءِ وعمِّ

(١) السحت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لاما ، فيه .

ظلمتني دولة العدل ، فمن يكشف ظلمي
ومتى يحكم لي بالعدل ، والحاكم خصمي

(٤٣٦)

وقال :

لأتطلعن لسان شكوى بائح ضجراً على سر الفؤاد الكاتم
واعلم بأن جميع ما فيه بنو الله نيا يزول زوال حلم التائم

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصطبر للزمان إن حاف حيناً أو تلقاك بالمخاوف حيناً
إن صبر الكليم^(١) وهو طريد الـ خوف أفضى به إلى طور سيناً

(٤٣٨)

وقال :

من مل فاهجره ، فقد أبدى لك اليأس المينا
أعيا شماس أحي التلوان والملال الرائضينا^(٢)
لن يرجع الفخار بعد تلافه بالكسر طينا

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) الشماس : عدم الاقياد . وراض الفرس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

ياشاربَ الخمرِ بعدَ التَّسْكِ والدينِ وبعدَ ما تَابَ عما رابَ مُذَ حينِ
أفسدتَ دينَكَ، والسبعونَ أفسدتَ الدنيا، فليستَ بذى دُنيا ولادينِ
ولإنما أنتَ نَفَّارٌ تَكسِرُ، لا يُرجى لنفجِ ، ولا يُعتدُّ فى الطَّينِ

(٤٤٠)

وقال :

كم تقصِدُ المَاجِدِينَ الفاضِلِينَ، وكم تُعَلِّمُ الكرماءَ البُخلَ يازمَنُ
إذا تَوالتَ عليهم نائباتُك، واجتاحتَ^(١) فواضِلَ ما يُولونه المَحنُ
فكيفَ بالجُودِ والأحداثِ تُسَلِّبُ ما يُولى به العرفُ، أو تُسدَى به المَينُ
شُغلُ الزمانِ بأهلِ النقصِ يرفعُهُم حتَّى يُبمِرَ للسوراتِ ما نخرنوا
ألهاهُ عن كرماءِ الناسِ، فهو على ذوى المكارمِ والأفضالِ مُضطَّغِنُ^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لا تَحْضَنَنَّ رَغْباً ولا رَهْباً، فما المَرجوُّ والمُخشَى إلا اللهُ
ما قد قضاهُ اللهُ مالَكَ من يَدِ يدِفاعِهِ ، وسواهُ لا تَحْشاهُ

(١) الاجتناع : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطغن : انطوى على الحقد .

وقال :

نلتُ في مصبرِ كلِّ ما يرتجى الآملُ : لمن رفعةٍ ، ومالٍ ، وجاهٍ
فاستردتُ ما خولتني^(١) ، وما أسرعَ نقصَ الأمورِ عندَ التَّناهِ
كنتُ فيها كأنني في منامٍ زالَ منه ما سرَّ عندَ انبئاهي

(١) قوله الله مالا : أطاق .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشائمة برقاً بفودى راعها وما كل برق لاح يؤذن بالخصب
رأت شعراتٍ أخلقت بعد جدّة ونفساً سلت بعد الغواية في الحب
فقلت : نهاك الشيب عن مَرَج الصبا ورداك بعد الجون دهرك بالعصب^(١)
فقلت : نعم أصبحت طوع عواذلى وأصبحت لا أصبو للهو ولا أصبي
ولا عجب : ليل تبليج بفره وحلم رمى شيطان جهلى بالشهب
وهم ورى بين الجوانح زنده أضاءة له في مفرق لامع اللهب

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيب قد رداك بعد دجى فوديك ، واهاً لذاك الليل ، بالعصب
وأسمعتك الليالى في مواظها أنّ ابن سبعين من ورد على قرب
أعرضت عن صبوات كنت ذا شغف بها ، وجانبت ما يدنى من الريب
وسرت طوع النهى ، ترضى أنا فى سبرى ، ومرى فى شدى وفى خبى^(٢)

(١) الجون : الأسود . والعصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشدة : العدو . والخيب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١):

لو كان صدّ مغاضباً^(٢) ومُعَاتِباً أعتبته^(٣) ، ووضعتُ خَدَيَّ تَائِباً
لكن رَأَى تلك النَّضَارَةَ قد ذَوَتْ^(٤) لما غَدَا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٥)
وتعاقُبُ الأيَّامِ أعقبَ لِمَتِي^(٦) من حالِكِ جَنَلٍ^(٧) شَكِيرٍ^(٨) شَابِئاً
ورأى النُّهَى بعد الغَوَايَةِ صَاحِجِي ففَتِنَى العِنَانَ ، يُرِيعُ^(٩) غَيْرِي صَاحِبَا
وأبِيهِ ، ما ظَلَمَ المشيبُ ، وإِنَّه أَمَلِي ؛ فقلتُ: عَسَاهُ عَنِّي رَاغِبَا
أنا كالذَّبْحِي ، لما انْتَهَى نَشْرَتُ له أيدِي الصَّبَاحِ من الضَّيَاءِ ذَوَائِبَا
نَحْمَسُونَ من عُمرِي مضتُ لم أتَّعْظ فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عنها غَائِبَا
لم أنْتَمَعْ بِجَارِي فِيهَا عَلَيَّ أُنِي لَقِيتُ من الزَّمَانِ عَجَائِبَا
وأنتِ عَلَيَّ بِمَصْرَ عَشْرَ بَعْدَهَا كانت عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِبَا
شاهدتُ من لَعِبِ الزَّمَانِ بأهله وَتَقَلَّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١٠) عَجَائِبَا

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صحاً ، وللجهلِ أوقاتٌ وميقاتُ وللغَوَايَاتِ والأهواءِ غَايَاتُ
رَأَى المشيبَ كَيْضِ الهِنْدِ لَامِعَةً لها عَلَيَّ فَوْدَهُ الغَرِيبِ^(١١) إِصْلَاتُ^(١٢)

(١) روى ياقوت في معجم الأدياب: ٥٠: ١٩٧ والخريدة ١: ١٠٠: البيت الأول والأبيات من الثالث إلى السادس.
(٢) في ياقوت والخريدة «معانبا ومناضبا» . (٣) أعتبته : طلبت إليه العتي وهو الرضا .
(٤) ذوى الغصن : ذبل . (٥) نضب الماء : غار . (٦) التمة : الشعر المجاوز شمة الأذن .
(٧) الجلل : الشعر الكثير المنلف . (٨) الشكير : الشعر اللين الرقيق . (٩) يريع : يريد .
(١٠) الرقوب : التي لا يعيش لها ولد . (١١) الغريب : الشديد السواد . (١٢) أصلت السيف : جرده .

فراجعَ الحلمَ، وانجابت^(١) غوايتهُ وفي النهى للهوى المُردي نِهاياتُ
والشيبُ شهبُ رمت شيطانَ شرته^(٢) فأقصَدته^(٣)، وكم تجو الرميَّاتُ
للهِ دُرُ الصِّبا، لو دَامَ روثُه فما كأوقَاتِه في العُمُرِ أوقَاتُ
ولارعى الشَّيبَ من زورٍ^(٤) إذا نزل السَّموى نأت، وسرت عنه المسرَّاتُ
طَوَّاعُ الشَّيبِ إن رَأقتك واضحةً طلائعُ قدَّمتهنَّ المنيَّاتُ

(٤٤٧)

وقال :

مالي رأيتُ التَّلَجَّ عَمَّ شيبُه قُلِّلَ^(٥) الرِّبا، فزهت بحسن نَبَاتِهَا
رَاقَ العيونَ، وشيبُ فودي رَاعَهَا حَتَّى كَانَ الشَّيبَ ونَجْرُ^(٦) قَدَاتِهَا

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دغ ما نهى الشَّيبُ والسبعونَ عنه، فترِ
واعتمت من فتكِ أخذانِ الصِّباورعاً
عُذرتَ، إذ جُرَّت في ليلِ الشَّبابِ، فهَلَّ
وما أساءت بك الأيامُ إذ جعلت
بَاكٍ : الصِّبا، والشَّبابُ الغضُّ قد درَجَا^(٧)
ومن جهالةِ أيامِ الشَّبابِ حجا
عُذراً، وشيبك قد أذكى لك السُّرجَا
فَوَدَيْكَ دُرّاً ، وكانا^(٨) قبله سبجاً^(٩)

(٢) شرة الشباب : نشاطه .

(٤) الزور : الزائر .

(٦) الرنخ : الطن لا يكون اندا .

(٨) في الأصل (كانت) تحريف .

(١) انجابت : انكشف .

(٣) أقصد فلانا : طعنه فلم يحطه .

(٥) قلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل والريوة .

(٧) درج : مات .

(٩) السبج : خبز ، لعله أسود .

مافية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَنبَئُن^(١) ، كأنها على الماء صَدْعٌ في الزَّجاجةِ بادِ
وعهدى بها فيما مَضَى ، وكأنها على النِصْبَةِ البيضاءِ نقشٌ سَوادِ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النَّهَارُ بِنُورِهِ تَعَقَّبَهُ لَيْلٌ أَحْمَرُ^(٢) رَكُودُ
فألى أرى لَيْلَ الشَّبَابِ إذا جَلَا وجاءَ نهارُ الشَّيْبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بِياضَ مَفارِقِي ، فاسترجعت أسفاً ، وقالت : أين ذاك الأَسودُ
قلت : اضمحلَّ ، فأطرقْت ، وتنفست نفساً تُصعِّده حشاً تَتوقَّدُ
قلت : فَهَلْ من مَوعِدٍ للقائنا فأرى نذيرَ البين ، قلت : المَوعِدُ^(٣)

(١) الانتباز : التنحي . (٢) الأحمر : الأسود ، من كل شيء .

(٣) يريد بالموعد يوم القيامة .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جارَ عليك المشيبُ ومن ذا يُجِيرُ^(١) إذا الشيبُ جَارًا
وما كنتُ مغتبطًا بالشباب وهل كان إلا رداءً مُعارًا
ولكنتي ساءني فقده فواهاً له ، أي همُّ آثارًا
وما ساءني أن أحالَ الزمانُ ليلي نهاراً ، وجهلي وقارًا
ولكن يقولون : عصرُ الشباب يكونُ لكلِّ سرورٍ قرارًا
وما زلتُ منذُ تردّيته تكأبطُ ليلٍ أعاني العنارًا
أكابدُ دهرًا يُشيبُ الوليدَ وهما يسبُّ بأحشائِ نارًا
فوجدى أيَّ فارقتُه ولم أبلُ^(٢) ما يزعمون اختيارًا

(٤٥٣)

وقال :

تصاممتُ عن لومِ العذولِ ، كأنما رمى الوجدُ يومَ الينِ سمعي بالوقرِ^(٣)
وقد كنتُ معذوراً بانفة^(٤) الصبا فهل لي بعد الشيبِ في الجهلِ من عذرٍ
وغيرُ ملومٍ مدلج^(٥) ضلّ ، إنما يلام إذا ما ضلّ في وضحِ الفجرِ

(١) أجار : أتمد . (٢) أبلو : أختبر . (٣) الوقر : ذهب السمع .
(٤) آفة الصبا : ميمته وأرليه . (٥) التلج : السير من أول الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ الْمَوْسَى، فَاسْفَنَى إِذَا عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَلِجِ مَشْهُورًا
فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتَنِي تَغْيِيرُ صَبْغَتِهِ: سَبْعَانَ مِنْ رَدِّ ذَاكَ النَّدِّ كَافُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ الْمَرْءِ مِنْ كِبَرٍ فَعَادَ كَالْقَوْسِ يَمْشِي، وَالْعَصَا الْوَتْرُ
فَالْمَوْتُ أَرْوْحُ آتٍ يَسْتَرِيحُ بِهِ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْدِيبُ وَالضَّرْرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ الْمَرْءِ كَالْقَوْسِ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشِي، وَهِيَ تَقْدُمُهُ، وَتَرَّ
وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفَهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهِ الْكِبَرِ
فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمَّا مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ

(١) الند : العنبر . والكافور : طيب خشبه أبيض هش .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لِدَيْي وَإِخْوَانُ الشَّبَابِ مَضُونًا قَبِيلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى
كُنَّا كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ جَرَّوْنَا فِي غَايَةِ ، فَتَقَدَّمُوا سَبَقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُّوْنَا حَتَّى تَضُمَّ الحَلْبَةَ^(١) الْخَلْقًا

(٤٥٨)

وقال :

تَلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشْبِيهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَاعٍ إِلَى طَيْبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذَّةِ وَمَسْرَّةٍ ، فَسُرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَرَكَ السَّبْعُونَ فِي إِقْبَالِيَا مِنِّي سِوَى مَا لَأَ عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
حَتَّى إِذَا مَا عَامَهَا عَنِّي انْقَضَى وَوَطِئْتُ فِي الْعَامِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : مجال الخليل للسباق .

حَطَمْتُ قَوَايَ، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذًا بَمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفْعَلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلَيَاتِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكْسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلَى، وَيُفْنِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجْمَلُ
وَأَبِيكَ مَا أَجْمَمْتُ عَنْ خَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَتَّخَرَنِي إِلَى أَجَلِي الْمُؤَقَّتِ لِي فَمَاذَا أُنْعَمُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ فإِلَامَ تَوْضِعِ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتْكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالخَوْضِ فِي غَيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَزَّهَ بِيَاضِ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهُوَى فَفَسَدَ ارْتَدَيْتَ الدَّرَّ غَيْرَ مُفْصَّلِ
وَاعْفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمُهُ غَيْرُ الْمَلِّمْ يَسْمَعُ مِنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَضًّا^(٣) صَبِغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرَى لَصِبِغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالِ
وَمَا أبيضُ الْغَرَابُ الْجَوْنُ إِلَّا لِيَنْعَبَ بَانْتِقَالِ وَارْتِحَالِ

(٢) أرض مجهل كقوله : لأيهتدي فيها . وأرضع : أسرع في سيرة .

(١) المنصل : السيف .

(٣) نضا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إن ضُعُفَتَ عن حَمَلٍ ثَقَلِي رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِشَارُهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَللِعَصَا عِنْدِي عُدْرُ الْمُبْلِي^(٣) إِنْ عَجَزْتُ ، أَوْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمَلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قالت وَأَحْزَنَهَا بِيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرْيِكَةٌ^(٤) الْآيَامِ
فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حِمَامِي

(٤٦٤)

وقال :

أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَنَفِي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرَى^(٥) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُعْرَى^(٦) الْهَامُ
وَلَأَسْمِرُ لِدُنِّ الْكَعُوبِ ، وَجَارُهُ^(٧) حَيْثُ اسْتَمَرَ الْفِكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الحفا . وجي كرضي وجي فهو وج ووجي . (٢) الكبل : القيد .

(٣) أبلاء عذرا : أداه إليه فقبله . (٤) التريكة : روضة يُعْقَلُ عن رعيها .

(٥) تعرى من العروى وهي : الرعدة . (٦) فراد يفر به : شقته .

(٧) الوجار في الأصل : حجر الضيع وغيرها .

تَزِيلُ الْأَبْطَالِ عَنِّي ، مِثْلَهَا نَفَرْتُ مِنَ الْأَسَدِ الْهَاصِرِ نَعَامُ
فَرَجَعْتُ أَحْمَلُ بَعْدَ سَبْعِينَ الْعَصَا فَاعْجَبْ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ
وَإِذَا الْحَمَامُ أَبِي مُعَاجَلَةَ الْفَتَى فِحْيَاتُهُ . لَا تُكْذِبَنَّ ^(١) ، حَمَامُ

(٤٦٥)

وقال مخاطبا لصديق :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي فَلَا نَ الدِّينِ ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي
أَنْتِي هِجْرَتِكَ لَا كَظْمِكَ طَائِعًا ، لَكِنْ بَرَعِي
أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ هِمَمِي ، وَفَلَّتْ حَدَّ عَزْمِي
وَرَمَنِي الْأَيَّامُ عَنِ قَوْسِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
وَعَدَا الدِّينَ بِهِمْ أَسَ لِي الْهَمَّ حِينَ يُلْمُ ، هَمِّي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سماها أم فروة ، بعد أن تجاوز أربعاً وسبعين سنة
أَفْكَرُ فِي فُرْيَةٍ مَا تُتَلَّقُ مِنْ الدُّنْيَا فَتَغْشَانِي الْهُمُومُ
وَتَصْعَدُ زَفْرَتِي أَسْفًا ، لَعَلِّي بِمَا يَلْقَى مِنَ الْبُؤْسِ الْيَتِيمُ
وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وَمَا يَنْسَى وَدَيْعَتَهُ الْكَرِيمُ

(١) كَذِبَ الرَّجُلِ : أَخْبَرَ بِالْكَذِبِ .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لما مَخَطَّنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وساوَرَ الضَّعْفُ بعد الأَيْدِ^(١) أَرْكَانِي
وَأُدْخِلْتَ كَانِ فِي شُكْرِي وَفِي صِفَتِي واسترَجَعَ الدهرُ ما قد كانَ أُعْطَانِي
رُزِقْتَ فَرَوَةً ، وَالسَّبْعُونَ تُخْبِرُهَا أنْ سَوْفَ تَبْتِمُّ عَن قُرْبٍ ، وَتَنْعَانِي
وَهِيَ الضَّعِيفَةُ ، مَا تَنْفُكُ كَاسْفَةً ذَلِيلَةً ، تَمْتَرِي^(٢) دَمْعِي وَأَحْزَانِي
مَا كَانَ ، عَمَّا سَنَلِقَاهُ وَعَن جَزَعِي لَمَّا سَنَلِقَاهُ ، أَغْنَاهَا وَأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقَلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَنَبَتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحَزُونََا
وَإِذَا رَجَلِي خَائِتْنِي ، فَلَا لَوْمَ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَخُونَا

(٤٦٩)

وقال ، وكتبها بخط يده :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي السَّ بَعُونَ لَمَّا أَنْ عَلَتْ سِنِّي
وغيَّرتْ خَطِّي ، فَأَضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرتْ مِنِّي
والموتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَدَى الدُّ نْيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَنِّي

(١) الأيد : الفتوة . (٢) امتدى الشيء : استخرجه .

تأفية الماء

(٤٧٠)

وقال :

نظرتُ مُبيضَ فودي ، فبكتُ ثم قالت : ما الذي بعدي عراهُ
قلتُ : هذى صبغةُ الله ، ومن يصبغُ الأسودَ مبيضًا سواهُ

(٤٧١)

وقال :

حملتُ ثقلِي بعد ما شبتُ العصا فتحملته ثمحل المتكاره
ومشت به مشى الحسير^(١) بوقره^(٢) لا يستقل^(٣) ، مقيدًا بعناره
ما آدها^(٤) ثقلي ، ولكن ثقل ما أبق الشاب على من أوزاره
ورجاي معقود بمن أعطى أخا السبعين عهدة^(٥) عتقه من ناره

(١) حسر كعرب وفرح : أعيا ، فهو حسير .

(٢) الوقرب بالكسر : الحمل الثقيل .

(٣) يستقل : ينهض .

(٤) آده الأمر : بلغ منه المجهود .

(٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنداز

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَارِبَ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنًا لِي تَضِييعَ وَقْتِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَضْحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسَنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ، أَفِيقُوا ، فَلَانُوَامَ هَبَّاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثِهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَدَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بِدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كِرَاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَاً مِنَ النَّاسِ غَيْرَ الْبَعْدِ مَنْجَاةُ
يَسْرَكَ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ تُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبَّرْتَ لِسَاءَتِكَ الطَّوَيَّاتُ
فَاقْطَعْ حِبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمُّ فِي كُلِّ حَالَةٍ مَنْ دَانُوا حِبَالَاتُ^(١)

(١) حباله ككتابة : انصبة .

واحدَر من النَّاسِ ، إِنِّي قد خَبَرْتَهُمْ^(١) ولا يَغْرَنكَ خِبٌ^(٢) فِيهِ إِخْبَاتٌ^(٣)
لا تَرْجُهُمْ فِي مُلَيَّاتِ الزَّمَانِ ؛ فَمَا تُلِيمُ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمُدَلَّاتُ
وَكُلَّهُمْ ، وَهُمْ الْأَحْيَاءُ ، إِنْ بَعُثُوا^(٤) عَلَى الْحَيَاءِ وَفَعَلَ الْخَبْرُ ، أَمْوَاتُ
وَقَدْ سَمِعْنَا بِأَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ بِهَا نَاسٌ كِرَامٌ ، وَلَكِنْ قِيلَ : قَدَمَاتُوا
وَلَسْتُ أَدْرِي صَحِيحًا مَا تَضَمَّنَتْ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ أَمْ فِيهَا صَمَانَاتُ^(٥)
وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَمَعُوا لِلْبَاحِلِينَ حَدِيثَ الْبُهْتِ^(٦) : أَي هَاتُوا
لَوْ كَانَتْ مَا جَمَعُوا يَبْقَى لَهُمْ لَقَضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْمُؤَاَسَاةِ الْمُرْوَعَاتُ
فَكَيْفَ ، وَهِيَ عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْيَاءُ^(٧) تُنْقَلُّهَا فِي النَّاسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لا تَرْتَجِ الخَلْقَ ؛ فَالْأَبْوَابُ مُرْتَجَةٌ دُونَ الحُطَامِ ، وَبَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ
وَالرِّزْقُ لَوْ كَانَ فِي أَيْدِي الْأَنَامِ أَبْوَابًا أَنْ يَشْرَبَ المَاءَ مِنْ طُوفَانِهِ نَوْحٌ
لَكِنَّهُ فِي يَدَيَّ مَنْ فَضَلَهُ أَبَدًا لِلطَّاعِينَ وَالْعَاصِينَ مَمْنُوحٌ

(١) الخب : الخداع .

(٢) أخبت : خشم وتواضع .

(٣) بعثه على الشيء : حمله على فعله .

(٤) الضمة بالضم وكسحاب وسحابة : المرض .

(٥) البهت بالضم : الكذب .

(٦) أفياء : جمع فيء وهو الظل .

قافية الدال

(٤٧٥)

وقال :

مُذِّبَصَّرَتِي تَجَارِي ، وَنَبَّهِي خُبْرِي بدهري ، ففقدت العيشة الرغداً
كَأَنِّي كُنْتُ فِي حُلْمٍ ، فَأَيَقظَنِي خَوْفِي ، وَآلَى عَلَي جَفْنِي لَارَقَدًا

(٤٧٦)

وقال :

عَجَزْتُ عَنِ الدُّنْيَا ، فَهَلَى مِنْ يَدٍ بِهَا ، وَلى الأيدِ^(١) المُسَاعِدُ وَالْيَدُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْهَا ، فَأَرْعَوِي وَلَا نِلْتُ مِنْهَا مَا أَوَّدُ ، وَأَقْصِدُ
شَقِيتُ بِمَا أَحْرَزْتُهُ : مِنْ فِضَائِلٍ بِأَيْسَرِهَا يَحْطَى الشَّقِيُّ وَيَسْعُدُ
وَفِي النَّفْسِ ، إِنْ نَاجَيْتُهَا بِاطْرَاحِهَا وَبِالزُّهْدِ فِيهَا ، فَتَرَةً وَتَرْدُ
فِيَارِبِ أَلْهَمِهَا الرِّشَادَ بِتَرْكِهَا فَإِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ وَتُرْشِدُ

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

زَلْنَا بِهِ ، حَتَّى إِذَا يَوْمُنَا انْقَضَى رَحَلْنَا عَلَى العَيْسِ النَّجَائِبِ وَالْجُرْدِ^(٢)
نَوْمٌ بِهَا البَيْتَ العَتِيقَ ، وَنَبْتَعِي مِنَ النَّارِ عَتَقًا جَاءَ فِي سَابِقِ الوَعْدِ
فِيَا مَنْ قَصَدْنَا بَيْتَهُ وَنِيَّه بِكَ العَوْدُ ، يَا مَوْلَايَ ، مِنْ خَيْبَةِ القَصْدِ

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجرد : قصير الشعر رفيعه . والعيس : الإبن البيض يحالط بياضها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت^(١) :

أما رأوا تقاب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها أخلداً^(٢)
كم نسفت أيدي الخطوب جبلاً وصيرت لجةً بحرٍ ثمداً^(٣)
ولم أعادت ذا ثراءٍ مُعدماً وذا قَيْلٍ وعديدٍ مُفرداً
علمتُ ما لم يعلموا ، ونظرتُ عيناى دهرى مضدراً ومورداً
فما رأيت غيرَ ظلي زائلٍ كلُّ يمدُّ نحوه ، جهلاً ، يداً

(٤٧٩)

وقال^(٤) :

مُتَوَبِّةُ الْفَاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ بِصَبْرِهِ أَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِ
يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
مَا حِيلَةُ النَّاسِ ؟ ! وَهَلْ مِنْ يَدٍ لَهُمْ بَدْفَعُ الْمَوْتِ أَوْ صَدِّهِ
وَرُودُهُ لَا بَدَّ مِنْهُ ؛ فَلِمَ^(٥) تُنْكِرُ مَا لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ^(٦)
سِهَامُهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رَدَّهَا دَاوُدُ بِالْحُكْمِ مِنْ سَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أنهم فيكم لاني وأنجدا وما أفاد سلة إذ فندا راجع ص ٦٦ .

(٢) أخلد إليه : مال .

(٣) الحمد : الماء القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في نريدة القصر ١٠٤٠١ .

(٥) رواية النريدة "فا" .

(٦) ينظر فيه إل فوق المتنبي : نحن بنو الموق ، فإ بالنا نعان ما لا بد من ورده

ولا سليمانُ ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدلُ تساوى الخلق فيه ، فما يميزُ المالكُ عن عبده
كلُّ له حدٌ ، إذا ما اتهمى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرض ، فكلُّ (١) امرئ في لحده كالطفلٍ في مهده
أما ترى ورادنا (٢) عرسوا (٣) بمنزلٍ دانٍ على بعده
تبوءوا الأرض ، ولم يُخبروا عن حرِّ متوأمهم ولا برده
لِحادثٍ أسكتهم أمسكوا عن ابتداء القومِ أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيراً تزود المرء إلى لحده
فارجع إلى الله ، وثق بالذي وآفأك في الصادق من وعده
للصابرين الأجر ، والأمن من عذابه ، والفوز في خلده

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آيةٍ شهدت بأنك الواحد المستعلي الصمدُ
ما يصبغ الأسود الغريب غيرك مبيضاً ، ولا يتعاطى صبغه أحدُ

(١) في الحرية "وكل" .

(٢) في المصدر "أسلافنا" .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزولوا .

قافية الراء

(٤٨١)

وَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ دَارِ بَصُورٍ^(١) :

أَحْذَرُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْعُمْرِ الْقَصِيرِ
وَانظُرْ إِلَى آثَارِ مَنْ صَرَعَتْهُ مَنَا بِالْغُرُورِ
عَجْرُوا ، وَشَادُوا مَا تَرَاهُ : مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ بَعْدِ سُكْنَانِهَا إِلَى سُكْنَى الْقُبُورِ

(٤٨٢)

وقال :

لَا تَغْتَبِطُ بِسُرُورٍ ذِي يَأْ ، مَا يَدُومُ بِهَا سُورُ
وَكذَلِكَ لَا تَجْزَعُ لِحَا دَثَّةٌ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
بِجَمِيعِ مَا فِيهِ الْأَنَا مٌ ، أَلَيْسَ أَنْجَرَهُ الْقُبُورُ

(٤٨٣)

وقال :

أَرَى الْعَيْنَ تَسْتَحْلِي الْكَرَى ، وَأَمَامَهَا كَرَى لَيْسَ تَقْضِيهِ إِلَى دَاعِي الْحَشْرِ
وَلَيْسَ يَنَامُ الْخَائِفُونَ ، فَالَهَا تَنَامُ عَلَى عُظْمِ الْمَخَافَةِ وَالذُّعْرِ

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروضتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عقيل محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فأذا تهدمت ، وتغير زخرفها ، فكتب هذه الأبيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنياى ناشزة^(١) ، فإن فارقتها طوعاً ، وإلا فارقتني كإرها
إننا لننكر سوء عاقبة الورى فيها ، ونهواها على إنكارها
كلُّ بها كلف ، ومن يزهّد يكن فى زهده متكلفاً متكارها
أذكرت نفسي مضرع الآباء من قبلي ، فآأصغت إلى إذكارها
وعجبت منها ، كيف لم يجر الذي خلقت له يوماً على أفكارها
والموت إن لم يأت فى إمسائها واتي مع الإصباح فى إبكارها
وأمامها السفر البعيد ، وقطعه بالسبر ، لا يقرومها^(٢) وبكارها^(٣)
والدهر يطرق بالخطوب ، ومالنا بعوانها^(٤) أيد ، ولا أبكارها
والترب أوكبار الأنام ، وكنا كالطير ، رائحة إلى أوكارها

(٢٨٥)

وقال ، وكتبها على حائط مسجد سبرين ، بظاهر مدينة حلب^(٥)

لك الحمد يا مولاي ، كم لك منة على ، وفضلاً^(١) لا يقوم به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو ، موفور النصيب من الأجر

(١) نشزت المرأة : استعصت على زوجها .

(٢) القوم : بالفتح الفعل ، وجمه قروم .

(٣) البكرة بفتح وسكون ويحرك : الجماعة الفنية من الإبل ج بكار .

(٤) العوان من النساء : من كان لها زوج . والأيد : الشدة والقوة .

(٥) روى هذا الشعر فى الروضتين ١ : ٢٧٠ ، وقد كتبها أسامة سنة ٥٥٧ هـ .

(٥) هذه رواية الأصل فى الروضتين " وفضل " .

ومنه رحلتُ العيسَ في عامي الذي مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر
فأذيتُ مفروضي، وأسقطتُ نفلَ ما تحملتُ من وزرِ السنين على ظهري

(٤٨٦)

وقال :

أيها الظالم ، مهلاً أتَ بالحاكمِ غرُّ
كلِّ ما استعدتَ من جورك تعذيبٌ وجرُّ
ليس يلقى دعوةَ المظلومِ دونَ اللهِ سترُ
تخفِ اللهَ ، فإِ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ سرُّ
يجمعُ الظالمَ والمظلومَ بعدَ الموتِ حشرُ
حيثُ لا يَمْنَعُ سُلْطَانٌ ، ولا يَسْمَعُ عُذْرُ
أو ما ينهاك عن ظلمِك موتٌ ، ثمَّ قَبْرُ
بعضُ ما فيه من أهوالٍ فيه لك زجرُ

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

الناسُ كالطيرِ ، والذئبِ شباكهمُ وهمُ بها بينَ ركاضٍ ومُحْتَبِطٍ (١)
والموتُ قناصهمُ ، يأتي على مهلٍ إهلِكهمُ بينَ مذبوحٍ ومُعْتَبِطٍ (٢)

(١) الخيط - السير على غير هدى . (٢) اعتبط الذئبة : نحرها من غير علة ، وهي سمية فنية .

وقد شُغِنَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَالْخَلْقُ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُغْتَبِطٍ
هَذَا يُسْرٌ بِحَالٍ لَا تَدُومُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْقَرْطِ
وَلَيْسَ يَسْوَى ^(١) الَّذِي نَالَ الْمُلُوكَ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعَّ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا زِلْتُ فِي غِبْطَةِ عَيْشِي عَالِمًا أَنْ سَيَزُولُ بِالْهَمِّ مَا غَبَطَ ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتِمَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَاظَ
بَيْنَا الْفَتَى تَعَلُّوْهُ بِهِ جُدُودُهُ إِذْ أَسْلَمَتْهُ لِرَّزَايَا ، فَهَبَطَ
حَتَّى يَرِقَّ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا تَأَفَّسَ فِيهَا ، وَغَبَطَ ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ الْمَعْتَرِ ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِحِ النَّازِعِ ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتُ ، فَاسْتَعَصَمُوا بِالْيَاسِ ، مِنْ دَانَ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبط : البحر اليابس القديم .

(٣) غبط : مر . والغبطة : النعمة والبرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطة : حسده .

(٥) المعتر : الضيف الزائر ، والمتعرض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المشتا

لا يبدلن ذو فاقَةَ وجهه
 ما يظفرُ الرَّاجِي ندى كفه
 هل ينفعُ الظامِي إذا ما طمأ
 لله درُّ اليأسِ من ناصح
 ولا سقى الأَطْعَامُ صوبَ الحيا
 لا ترجونَ خالقاً ، فكلُّ الورى
 وما حوتْ أيديهمُ فهو في
 قد سمعوا بالجودِ ، لكنه
 وكأهمُّ إن أنت كسفتهم
 فدعهمُ ، واطلبُ من الله ما
 فما يقطعُ من وأصلِ
 قد قسمَ الأرزاقَ بين الورى
 كأهمُّ يأتيه من رزقه
 لكنهمُ من حرصهمُ قد عموا
 لو أيقنوا أن لهم رازقاً
 ولا لما يرفعُ من خافضِ
 ما طلبوا من غير مُعطي ، ولا
 لذي ثراءٍ باخلٍ بأخع^(١)
 بغيرِ ذلِّ الخاشعِ الخاضعِ
 أجاجُ بحرٍ ليس بالناقعِ^(٢)
 ليس بغيرارٍ ، ولا خادعِ
 فإنها مهلكةُ الطامعِ
 يقبضُ كفَّ المانعِ الجامعِ
 مثلِ لَمَاةٍ^(٣) الأسدِ الجائعِ
 لبيظهمُ ما لَدَّ للسامعِ
 مثلُ سرابِ القبيعةِ^(٤) اللامعِ
 ضنوا به : من فضله الواسعِ
 ولا لما يوصلُ من قاطعِ
 في متعبِ سابعِ ، وفي وأدعِ
 كفايةً ، لو كان بالقانعِ
 عن الطريقِ المهيعِ^(٥) الشارِعِ
 ليس لما يُعطيه من مانعِ
 ولا لما يخفضُ من رافعِ
 دعوا إذا اضطروا سوى السامعِ

(٢) الناقع : التناطح للمطش .

(٤) القاع : أرض مهلهة مطهنة انفرجت عنها الجبال

(٥) المهيع : البين .

(١) الباخع : المبالغ ، يريد المفرط في البخل .

(٣) اللهاة : اللجمة المشرفة على الخلق .

والآكام ، ج قيع ، وقية وقبان .

وقال :

أَيُّهَا الْغَافِلُ ، كَمْ هَذَا الْهَجْوُ
أَنْتَ عَمَّا هُوَ آتٍ غَافِلٌ
نَحْنُ فِرْعٌ لِأَصُولٍ ذَهَبَتْ
وَزُرُوعٌ لِلنَّيَا ، حُصِدَتْ
بَادِرِ الْخَوْفِ ، وَقَدِمَ صَالِحًا
نَحْنُ سَفَرٌ سَارِمًا سَلَفٌ
وَإِلَى الْمُرْدِ مِيعَادُهُمْ
أُمَّنَا الدُّنْيَا رَقُوبٌ^(١) ، يَسْتَوِي
مَارَيْنَا نَاكِلًا مِنْ قَبَاهَا
كُنَّا مِنْهَا ، وَمِنَّا كَأْهَا
بِئْسَ الْأُمُّ رَمَتْ أَوْلَادَهَا
مَا هِنَاهُمْ فَوْقَهَا نَوْمُهُمْ
أَبْدًا تَجْفُو عَلَيْنَا ، وَلَنَا
هِيَ لَيْلَى ، وَالْوَرَى أَجْمَعُهُمْ
جِدٌّ يَامَطْلُوبٌ ، مِنْ جَدِّ نَجَا

(١) رُقُوبٌ : لَا يَبْقَى طَائِلُهُ .

ليس يُجَيِّبُ الجفَلُ الجِرَارُ من يده الطُولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
يأخذُ السلطانَ ذَا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
ليسَ يرعى حرمةَ الجَارِ ، ولا يُنقذُ الشَّاسِعَ في البُعدِ الشُّسوعُ^(١)
ما مع السَّبعينَ تسويفُ ، فلا ينجدُ عنكَ الأملُ اِراهِى الخلدوعُ
قد تجمَّتَ على ضعفِكَ من نفلِ أوزاركِ مالا تَسْتَطيعُ
وتَقصَّتْ^(٢) عنكَ أيامُ الصَّبا وعلى مفردكِ الشَّيبُ الشَّنيعُ
ثم أفضتْ مدَّةُ الشَّيبِ إلى هريمِ يُعقبه الموتُ الدَّريعُ
صوح^(٣) المرعى ، فاذا ترتجى بعد ما صوحَ مرعاكِ المرَّيعُ^(٤)
هل ترى إلَّا هشياً ذاوياً تجتويه^(٥) العينُ إن ولى الربيعُ

تافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تتابعت الزلازل بجماة^(٦) .

أيها الغافلون عن سكرة الموت ، وإذ لا يسوغُ في الخلقِ ريقُ
كم إلى كم هذا التَّشاغلُ والغفلةُ ، حارَ السَّارى ، وضلَّ الطَّريقُ
إنما هزَّتِ الزلازلُ هذى الأَرْضَ ، بالغافلين ، كي يَسْتَهَيِّقُوا

(١) الشُّسوعُ : البعد .
(٢) من القصور وهو البعد .
(٣) المرعى : الخصب .
(٤) المربع : اجتواه : كره .
(٥) تجتويه : كره .
(٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كافى الروميين (١ : ١٠٥) في شهر رجب سنة إحدى وخمسين وخمسة ، وهلك بها نحو من عشرة آلاف نسمة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَعْفِ بِهَا ، وَمِلْتُ إِلَى الْإِخْبَاتِ^(١) وَالنُّسُكِ
لَكِنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ وَزَوْءٌ ، كَاخْتِبَاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرْكِ
هَدَى عَقَابِيلُ^(٢) دَاءً ، كَانَ يَمْطُنُنِي وَلَمْ أَزَلْ مُشْعِيًا مِنْهُ عَلَى الْهَلْكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَانِي تَصَرَّمَ ذَا كَ الدَّاءِ عَنْ شَائِبِ الْفُودَيْنِ مُحْتَنَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أَرَى الْمَوْتَ يَسْتَقْرِئُ^(٤) النَّفْسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَانِعٍ مَا فِي يَدَيْهِ بِجَيْلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاخِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْتِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإخبات : الخضوع لله والخشوع . (٢) العقابيل : بقايا العلة .

(٣) حنكته السن وحنكته الأمور : عاد مجرباً فاحتك ، ورجل محتك ومحك .

(٤) يستقرئ : يتبع .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرا مالا أطيقُ دَفَاعَهُ وأرْمَضَنِي^(١) الفِكْرُ المَسْبَدُ^(٢) والهَمُّ
دَعَوْتُ الذِي نَادَاهُ مُوسَى لِدَفْعِ مَا يَحَاذِرُ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَانْفَرَقَ اليَمُّ^(٣)
وَنَادَيْتُ مَنْ نَادَاهُ ذُو النُّونِ وَائِقًا بِهِ فِي ظِلَامِ البَحْرِ، فَانكشَفَ الغَمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ دَارٌ سِوَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، أَوْ لَطَّا تَضْرَمُ^(٦)
والمَوْعِدُ الحَشْرُ، وَتُجْزَى عَنِ الأَ عَمَالٍ ، وَالغَبْنُ لِمَنْ يَنْدَمُ
وَيُنْصَفُ المَظْلُومُ مِنْ حِصْمِهِ وَيَسْتَوِي السُّلْطَانُ وَالمُعْدِمُ
وَيَسَخَّصُ الخَلْقُ إِلَى حَاكِمٍ يَحْكُمُ فِيهِمُ بِالذِّي يَعْلَمُ
وَاللِّيَالِي وَاعْظُ صَامِتٌ يُسْمَعُنَا، لَوْ أَنَّنَا نَفْهَمُ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا نِيَامٌ، وَمَا أُسْرِعَ مَا يَسْتَبْقِظُ النُّومُ
وَيَقْدَمُ الخَلْقُ عَلَى وِزْرِ مَا تَقَلَّدُوا أَوْ أَجْرٍ مَا قَدَّمُوا

(١) أرمضه : أوجهه وأحرقه .

(٢) أرمضه : أوجهه وأحرقه . (٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء ، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ و ٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، ما أنصفوا في الحب إذ حكموا ... راجع القطعة (٩١) ص ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى المدح فقال : ومير إلى بحر خضم له ... راجع القطعة (٣١٨) ص ١٩٣ .

(٦) ضرم كفرح . اشتدحه .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نَمْنَا عَنِ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ، فَاصْبَحْنَا نَظْنُ الْيَقِينِ أَحْلَامًا
فَحَرَكْتَنَا هَدَى الزَّلَازِلُ أَنْ تَبْقَطُوا ، كَمْ بِنَامُ مِنْ نَامًا

(٤٩٧)

وقال .

فَوِضَ الْأَمْرَ رَاضِيًا جَفَّ بِالكَانِ الْقَلَمَ
لَيْسَ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ إِنَّمَا الرِّزْقُ بِالْقِسْمِ
دَلَّ رِزْقُ الضَّعِيفِ وَهُوَ كَأَحْمِ عَلَى وَضْمِ
وَافْتِقَارُ الْقَوِيِّ تَرَاهُ بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجْمِ
أَنَّ لِلخَلْقِ خَالِقًا لَا مَرَدُّ لِمَا حَكَمَ

(٤٩٨)

وقال .

أَوْبَقْتَ^(٢) نَفْسَكَ يَا ظَلُومُ بِمَا احْتَقَبْتَ^(٣) مِنَ الْمَظَالِمِ
أُظُنُّنَّ أَنَّ الْمَالَ لَا يَفْنَى ، وَأَنَّ الْمَلَكَ دَائِمٌ
هِيَاتَ ، أَنْتَ وَمَا جَعَلْتَ كِلَاكِمَا أَحْلَامُ نَانِمٌ

(١) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

(٢) أوبق : أهلك .

(٣) احتقب : اذخر .

تَفَنَّى ، وَيَفَنَّى ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَأْتَمِ
وَعَدَا يُنَاقِشُكَ الْحَسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكٌ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ بُ مِنْ الذُّنُوبِ بِمَا تُكَاثِمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُنْحِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالِمٌ .

(٤٩٩)

وقال :

مَآذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارٍ بِذِي سَلَمٍ عَجَاءَ ، أَوْ قَدْ عَرَاهَا عَارِضُ الْبَكَمِ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعَهَّدُهُ وَغَالِ مُسْتَوِطِنِيهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ غَنَوُا^(١) بِهَا ، وَهَمُّ الْأَقَارُ فِي الظُّلْمِ
بَلُّوا كَمَا بَلَيْتَ آثَارَهُمْ ، وَلَكُمْ أَيْلَى دِيَارًا وَأَهْلًا سَالِفُ الْقَدَمِ
أَمَلَى الزَّمَانُ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّهُمْ مَا خُوِّلُوهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدُمِ^(٢)
مَضُوعًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مَالًا وَلَا نِعَاءً وَنُوقِشُوا عَنْ حِسَابِ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
لَمْ يَحْصُلُوا حِينَ وَأَفَاهُمْ حَمَامُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى النَّدَمِ
وَصَبُوءُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَسُغْلُهُمْ عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنَى مِنَ اللَّعَمِ^(٣)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَغْرِطُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرَّهُمْ زَمْنٌ فَسُوفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرضى : أقام به .

(٢) لم يدم : الجنون .

(٣) أمل له في غيبه : أطال وأمهل . وخوّلوه : أعطوه .

حتى يروحوا بلا شيء ، كما خُلِقُوا كَأَنَّ مَا خُوِّلِرَهُ أَمِسَ لَمْ يَكُنِ
لا يصحبُ المرءَ مما كان يملكه في ظِلْمَةِ اللَّحْدِ إِلَّا حِرْقَةُ الْكَفَنِ
يُسْتَنْزَعُ الْمَالُ مِنْهُ ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ جَمِيعِهِ ، يَا هَا مِنْ حَسْرَةِ الْغَبَنِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَهْلًا بَلِّغِ الْعَمْرُ مَدَاهُ
كَمْ عَسَى مِنْ جَاوَزِ السَّبْعِينَ يَبْقَى ، كَمْ عَسَاهُ
أَنْسَيْتَ اللَّهَ^(٣) ، أَمْ أَمَّانَكَ اللَّهُ لَظَاهُ
[تَظْلُمٌ]^(٤) النَّاسَ لِمَنْ تَرْجُوهُ ، أَوْ تَحْشَى سَطَاهُ
أَنْتَ كَالْتَّنُورِ : يَصِلِي النَّارَ فِي نَفْعِ سِوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِ لِلدُّنْيَا ، فَمَا أَوْبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعْتَنَا بِأَبَاطِيلِ الْمُنَى فَارْتَكَسْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْمًا لَتَنَا بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَتَمَسَّكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه القطعة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .
(٤) سقط بالأصل والتكلمة من الخريدة .
(٦) ارتكس : انتكس ووقع .

(١) غبه غبنا ويحرك : خدعه .
(٣) في الخريدة « أنسيت الموت » .
(٥) وبشت الأرض : كثرفها المرض .

وَعَدْتَنَا بِاللَّهِ^(١) لَأَهِيَةً فَاشْتَغَلْنَا بِتَقَاضِينَا لَهَا مَا
 وَهِيَ إِنْ جَادَ بَنَزَرٍ بِوَمُهَا غُدُّهَا مُسْتَرْجِعٌ نَزَرَ جَدَاهَا^(٢)
 يَبْسُتُ الْأُمُّ رَقُوبٌ^(٣) أَكْثَرَتْ وَوَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمْتَهُمْ بِقِلَآهَا^(٤)
 وَغَدًا تَنْقُلُنَا مِنْهَا إِلَى .ظَلِمَ الْأَرْجَاءُ ضَنْكَ^(٥) مِنْ ثَرَاهَا
 وَالَّذِي يَتَّبِعُنَا مِنْ سُخْتِهَا^(٦) تَبَعَاتٌ مُؤَبَّاتٌ^(٧) مِنْ شَذَاهَا^(٨)
 وَتَحْوِزُ الْمَالَ بِالْإِرْثِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمَّ سِوَاهَا
 فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةَ ذَاتَ بَرٍّ وَحَسَبٍ ، لَا رَعَاهَا
 أوردتنا النَّارَ ، لَا مَأْوَى .لَنَا مِنْ لَظَاهَا ، وَيُحَمِّجُ مَنْ يَصَلِّي لَظَاهَا
 أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَقَّقَ اللَّهُ امْرَأً مِنْهَا عَصَاهَا
 آه مِنْ تَفْرِيطَانَا ، شُغْلًا بِهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهًا

(١) اللّهُ : العطايا . (٢) الجدا : العطية . (٣) الرقوب : التي لا يبق لها ولد .
 (٤) القلى : البغض . (٥) الضنك : الضيق .
 (٦) السحت : ما حبت من المكاسب فلم عنه العار . (٧) موبقات : مهلكات .
 (٨) الشذى : الأذى . (٩) صلى النار : قامى حرها . والالطى : طب النار .

باب المراثي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَد كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خَلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصِدْنَ الصَّمَقْرَ بِالْحَرْبِ^(١)
وَأَنْ أُيْدِيهَا شَلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا ضَرَبَتْ كَسْرُنَ النَّبْعِ^(٢) بِالْغَرْبِ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرُّبْدَ^(٤) قَدْ قَتَلَتْ أَسَدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقْبَ^(٥) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَاتُوا جَمِيعًا جِيْرَةَ الصَّقَبِ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ^(٧) ، إِذْ حَانَ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ النَّوْبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عز الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ، وهو نائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخوها غيب :

وَيَحِ الْغَرِيْبَةَ ، وَالْدِيَارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَّغَرِبِ
مَاتَتْ غَرِيْبَةً وَحْدَةً : مِنْ تَرِبِهَا وَشَقِيْقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُوْمَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيْدَةُ ، وَالْأَقْرَبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيْدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّمَ^(٩) فِي الْجَوَانِحِ ذِكْرُهَا قَالَ الْأَسَى : بِاللَّهِ يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الحرب محركة : ذكر الحياتى . والشطر مقبوس من المنبى .

(٢) النبع : شجر اللقى والسهم بنبت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بالتحريك : شجر . وهو مقبوس من المنبى أيضا .

(٤) الربد بالضم : لون إلى الغبرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : الشجاعة .

(٨) حان : جاء وقتهم . (٩) تضرمت النار : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبي بكرٍ ، وقد توفى صغيرا :

لَهْفَ نَفْسِي لِـهِلَالِ طَالِعِ ما اسْتَوَى فِي أَفَقِهِ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومِ غَشِيَتِي وَكُرْبِ
لَبَكِّي لِي تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَبِكَاءِ الْمَيْتِ لِلْحَيِّ عَجَبِ
أَنَا مَيْتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مَسْتَرِيحٌ ، وَمَمَاتِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبِ بِرِكَ حِينَ تَطْرُقُكَ الْخُطُوبُ
أَيْنَ احْتِمَالِكَ مَا تَكَا دُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ تَذُوبُ
وَثَبَاتُ جَاشِكَ حِينَ تَضْطَرُّ الْجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَهَاكَ ، إِلَى مَنِي هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِيبُ
كَيْفَ اسْتَرَلْتُ^(١) بَعْدَ صَد قِ يَقِينِكَ الْأَمْلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سِيرُدُّ مِنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خَلَّتْ أَنْ نَوَائِبَ الدُّ نِيَا لَغَيْرِكَ لَا تَنُوبُ
هِيَمَاتُ ، كُلِّ الْخَلْقِ مِنْ نَجَابَتِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكَلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِهَا ، وَأَسْمُهَا نُذُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبِيتُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيْبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واسترله غيره .

(٢) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلَى النَّفْسَ أَنْ لِحَاقَنَا بِهِمْ قَرِيبٌ
وإليهم ، من بعدِ غيبتهم، وإن طالت ، نُتُوبٌ

(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة^(١) :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارِ مِنَ السُّكَّانِ أَقْوَتُ^(٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبٌ^(٣)
وَلَكُمْ حَاطَمَا ، فَأَنْسَتَهُ أَوْطَا نَ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبٌ
فَاحْتَسِبُ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثَاتُ ضُرُوبٌ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
إِنْ تَخَصَّصْتُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتَ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَنْوُبُ
فَكَذَلِكَ الْقَنَاةُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْهَا صَدْرٌ ، وَتَبْقَى كُغُوبٌ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، كَمْ هَذَا النَّفْرُ قُ ، وَالتَّغْرُبُ ، وَالتَّشَاتُ
أَبْدًا عَلَى سَيْرِ كَأَنَّ الشَّمْسَ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
مَتَقَلِّقُ الْعَزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ^(٤) الْبَيَّاتُ
نَاوٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَتْرَابِ^(٥) مَاتُوا

(٢) أقوت الدار : حلت .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) ما فيها عريب : ما فيها أحد . (٤) أفرقه : أفرقه . (٥) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد ملك .

وَلَيْسَ عَيْشُ الْمَرْءِ فَا رَقَهُ الْأَحِبَّةُ وَاللَّدَاتُ
فَالْأَمَّ أَشَقَى بِالْبَقَا ء ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء

(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إلى الله أشكو روعتي^(١) ورزيتي
خلاً نأظري منه ، وكان سواده
خشبت عليه أليتم ، لكنن مُكَلَّه
فيا ليتة لاقى الذى كنت أختشى
فما فى حياتي بعده لي راحة
ولم تُسَلِّني الأيام عنه ، وإلما

وحرقة أحشائي لفقد أبي بكر
ولم يخل من حزني ووجدى به صدرى
ولوعته لم يخطرأ لي على فكر
عليه ، وأني دونه صاحب القبر
فيا طول حزني إن تطاول بي عمري
سُلوي بما أرجو من الأجر في الصبر

(٥١٠)

وقال فيه :

أعابُ فيك الدهرَ ، لو أعتب^(٢) الدهرُ
وأسأل عن نهج السلو ، وقد بدأ
وكيف التسلّي ، والحوادث جمّة
رميتني في عشر الثمانين نكبة
على حين أفتى الدهر قومي ، واتزل

وأستنجد الصبر الجميل ، ولا صبر
لعيني ، إلا أنت مسلّك وعمر
إذا ما انقضى أمرٌ يسوء أتي أمر
من الشكل يوهي حملها من له عشر
لهم ذروة العلياء والعدد^(٣) الدث^(٣)

(١) الروعة : الفرقة .

(٢) أعتب : أعطى العني ، وهي الرضا

(٣) الدثر : الكثير من كل . . .

إذا حاربوا فالأسدُ تحمى عرينها
تبيحُ وتحمى منذ كانت سيوفهم :
مضوا ، وانطوت دُنياهُم ، وتصرمت
فلم يبقَ إلَّا ذكُهم ، وتأسفني
وأصبحتُ لا آلَ يُلبون دعوتي
كأني من غير التراب ، فليس لي
رزئتُ أبا بكرٍ ، على شغفني به
لسيج مَضت من عُمره ، غاله الردى
وقلتُ : عتيقٌ من خُطوبِ زمانه
فعاجله قبل التمامِ حامه
ويأمرني فيه الأخلاءُ بالآسي (١)
يقولون : كم هذا البكاء ، ولو بدأ
وكنتُ أظنّ الدمعَ يُرِدُ غُلِّي
أبا بكر ، ما وجدى عليك بمنقُض
أطلت على اللَّيل ، حتى كأنما
وإني لأستدعي الكرى ، وهونافر
لعلَّ خيالاً منك يَطرقُ مضجعي
تُمِلكُ الأفكارُ لي كلَّ ليلَةٍ

وإن سالموا كان التَّبئُلُ والدِّكرُ
يُباحُ بها تُغرُّ ، ويحمى بها تُغرُّ
كأنهم ما عمُّوا ، ولها نُشرُ
عليهم ، ولن يبقِ التأسفُ ، والدِّكرُ
ولا وطنٌ آوى إليه ، ولا وفرُّ
من الأرضِ ذاتِ العريضِ دونَ الورى شبرُ
فيا لهفتاً ، ما ذا جنى الحادثُ البكرُ
وكنتُ أرحى أن يطولَ به العُمُرُ
عتيقٌ بهذا يخبرُ الفألُ والزجرُ
ولا عجبٌ ، قد يُخضدُ (١) العُصنُ النَّصرُ
وهيات ، مالي بالآسي بعده خبرُ
ضميرُ الذي بي ، رَقَّ لي ، وبكى الصخرُ
إلى أن بدالى أن دمعَ الآسي بجرُ
طوالَ الليالي ، ما انقضَى اليومُ والشهرُ
زمانى ليلٌ كلُّه ، ماله بجرُ
به من جُفوني أن يلمَّ بها دُعرُ
فاشكوا إليه ما رمانى به الدهرُ
وتؤنسني أشباهك الأنجمُ الزهرُ

(١) خضد العود : كسره .
(٢) جمع أسوة : وهي القدرة .

إِذَا جَلَ بِي شَوْقٌ أَتَيْتَكَ زَائِرًا
 وَمَا الْقُرْبُ مِنْ قَبْرِ أَجْنَكَ نَافِعِي
 أَقُولُ لِنَفْسِي ، حِينَ جَدَّ نِزَاعُهَا :
 أَلَسْنَا بِنِي الْمَوْتَى ، إِلَيْهِمْ مَأَلْنَا
 فَنَحْنُ كَسَفَرِ عَرَسُوا ، وَوَرَاءَهُمْ
 مِنَ الْأَرْضِ أَتَشْنُنَا ، وَفِيهَا مَعَادُنَا
 هِيَ الْأُمُّ ، لَا بَرٌّ لَدَيْهَا ، وَرَدُّنَا
 ثَكْوَلٌ ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا إِثْرٌ هَالِكٌ
 أَضَلَّ الْوَرَى حُبَّ الْحَيَاةِ ، فَحَازِمٌ
 فَلَا يَأْمَنُ غَدْرَ اللَّيَالِي آمِنٌ
 تُعِيرُ ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
 وَنَحْنُ عَائِبَاهَا عَاكِفُونَ ، وَابِسَ فِي
 فَا بَالُنَا فِي سَاكِرَةٍ مِنْ طَلَاهِمَا
 مَضَى مَنْ مَضَى مِمَّنْ حَبَبَهُ ، فَكَثُرَتْ
 وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِنَى
 يُحَاسِبُ عَنْ قِطْمِيرِهِ (٦) وَنَقِيرِهِ (٧)

فَأَرْجِعُ كَالْخَبُولِ دَلَمَهُ السِّحْرُ
 إِذَا كَانَتْ فِيمَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سِتْرُ
 عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، إِنَّ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
 بِلَا مَرِيَّةٍ ، وَالْفِرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ (١)
 رِفَاقٌ ، إِذَا وَأَفْوَهُمْ رَحَلَ السَّفْرُ
 وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
 إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الْبُرُّ
 وَكُلُّ رَقُوبٍ (٢) تَأْكُلُ دَمْعَهَا هَمْرٌ (٣)
 خَيْرٌ سِوَاءَ فِي الضَّلَالَةِ وَالغَرِّ
 وَإِنْ امْهَلْتَهُ ، إِنَّ إِمَهَالَهَا خَيْرٌ (٤)
 وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
 مَوَاهِبَهَا عُقْبَى تَسْرُ ، وَلَا يُسْرُ
 وَمَنْ نَالَهَا مَنَّا زَيْدٌ بِهِ الشُّكْرُ
 وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صَفْرُ
 عَنِ (٥) الْفَقْرِ ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقْرُ
 وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُ كُثْرٌ وَلَا نَزْرُ

(١) النجر : الأمل كالنجار بكسر النون وضعها .

(٢) الرقوب كصبور : المرأة التي لا يبق لها ولد أو مات ولدها .

(٣) همر : منهر .

(٤) الختر : الخديعة .

(٥) في الأصل (هو) واهل ما اختاراه أول .

(٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة .

(٧) القير : النكته في ظهر النواة والنهر .

وهذا هو أُلْحَسُّ المِينُ ، فإِنا
وقد كانَ في آباءِنَا زاجِرٌ لنا
تفانِراً ، فبطنُ الارِضِ مِن بَعْدِ وحِشَةٍ
وقد دَرَسْتَ آثارَهُمُ وقبورَهُمُ
فهل لِي في هَذِي المِواعِظِ وَاِعْظُ
يُحِثُّ عَلى الصَّبْرِ الجَمِيلِ ، فَإِنَّه
وَمَن نَزَعَتْ أَيْدِي المِنيَةِ مِن يَدِي
حِراصٌ عَلى أمرِ عَواقِبِهِ خُسْرُ
يُبَصِّرُنَا ، لو كانَ يردُّعُنَا الزَّجْرُ
بِهِم أَهْلُ مَسائِسُ ، وخِلا الظَّهْرِ
كَمَا دَرَسُوا فيها ، فليس لها أَثرٌ^(١)
يُردُّ ما يُخِنِي مِنَ الكَمَدِ الصَّدْرِ
يُنالُ بِهِ حُسنُ المِعوِضَةِ والْأَجْرُ
هو الذَّخْرُ لِي ، في يَومِ يَنفَعُنِي الذَّخْرُ

(٥١١)

وقال فيه :

أزورُ قَبْرَكَ مَشْتاقاً ، فيحِبُّبِي
فأنتَ بِي ، ودُموعِي مِن جَوى كَبِدِي
ماهِلٌ فوَقَكَ مِن تَرِبٍ وَأَجْجارِ
تَفِيضُ ، فاعجَبْ لِماءِ فاضٍ مِن نارِ

قافية الزاي

(٥١٢)

وقال :

تَخَرَّمَتِ^(٢) الأيامُ أَهْلَ مودَتِي
وأفَرِدْتُ مِنْهُمُ ، فارتِياحِي لِفَقْدِهِمُ
بَرَّتْهُمُ كِبارِي القَوسِ ، جَدَّالِذي انْحَنَى
فقد أبرَزَتْني لِلحوادِثِ ، لَيسَ لِي
فَنفِسي عَن أُنسِ المِسرَّاتِ نَاشِرُ
كَروِعةٍ تُكَلِّئِي أو جَعَتْها الجِنازِرُ
عَليها ، إلى أن نالها وهى بارِزُ
إِذا مارَمَتْنِي حاجِرُ أو مُحاجِرُ

(١) الأثر بضم الهمزة : ما . الوجه ودوقه .

(٢) تخرمتهم الأيام : أخذتهم واستأصلتهم .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب يموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ، وَأَجْمَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْجَزَعُ
تَقَاسَمْتُهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَى فَالْحَى كَالْمَيْتِ، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحَتْ وَحْشَةُ الْغِبَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْسِي بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْتَمَعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمَ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدًا بِالْعَيْشِ يَنْتَفَعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ بَيِّدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِي مِنَ النَّادِي صَمُوتٌ إِذَا دَعِيَ
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمَرِّي شُتُونِكَ، وَادْمَعِي
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٥) جِدَّةٍ وَتَشْتَيْتِ الْأَفَّ، وَإِحْشَاشَ مَجْمَعِ
فَالْمَوْتُ سَكَّانَ الدِّيَارِ، وَاللَّيْلِي مَنَازِلَهُمْ، وَشَمْلَهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٦) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَانُهُ حُسْنَ التَّصْبِيرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٧) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْأَشْجَانَ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدِيَ لَطْرِيقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَأَرَى غَيْرَ أَجْمَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ أَحْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدُّرَّةِ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) الغبراء : الأرض .

(٣) البلقع : الأرض القفر .

(٤) مري الشئ : استخرجه . والشئون : الدموع .

(٥) أخلق الجديد : أبلاه .

(٦) عزه : غلبه .

(٧) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

فانثني ، لست أدري أين منقلبي كأنني حائرٌ^(١) في الليل مُعتسفٌ^(٢)
إن قصر العمرُ بي عن أن أرى خلفاً له ، ففي الأجرِ عند الله لي خلفٌ
أقولُ للنفسِ إذ جد النزاعُ بها : يا نفسُ ويحكِ ، أين الأهلُ والسلفُ
أليس هذا سبيلَ الخلقِ أجمعِهِم وكلُّهم بورودِ الموتِ مُعترفُ
كم ذا التأسفُ ، أم كم ذا الحنين ، وهل يردُّ من قد حواه قبره الأسفُ

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أصبحتُ لأشكو الخطوبَ ، وإثماً أشكو زماناً لم يدع لي مُشكئِ
أفنى أخلاني وأهلَ مودتي وأباد إخوانَ الصفاءِ وأهلِكا
عاشوا براحتهم ، وميتَ لفقدهم فعلى يبكي ، لا عليهم ، من بكي
بقيتُ بعدهمُ كأنِّي حائرٌ بمفازةٍ ، لم يلق فيها مسلكاً

(٥١٧)

وقال في ولده أبي بكر :

وسع صبري عن عتيقِ الإسي^(٤) من بعد ما ضاق بي المسلكُ
أسلمته ، إذ لم أجد لي يداً بدفع من يطلب ما يملكُ

(١) في الخريدة (خانف) . (٢) المتصف : الخابط على غير هدى .

(٣) هذا الشعر يروي لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٤ . (٤) الإسي : جمع إسوة وهي القدوة .

عَارِيَّةٌ كَانَتْ ، وَمَا كُلُّ مَا يُعَارُ ، يُسْتَفْنَى ^(١) ، وَيُسْتَمَلَكُ
أَعَارَهُ مُشْتَرِطًا رَدَّهُ وَالشَّرْطُ مَا بَيْنَ الْوَرَى أَمَلَكُ

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَمْ كَيْفَ اصْطَبَارِي ؟ مَا عَنكَ صَبْرِي جَمِيلُ
أَنْتَ ، حَيْثُ اتَّجَهْتُ ، فِي أَسْوَدَى عَيْنِي وَقَلْبِي ، مِمَّنَّلٌ ، لَا تَزُولُ
وَعِلَامَ الْأَسَى ؟ وَنَحْنُ كَسَفَرٍ بَعْضُنَا سَائِرٌ ، وَبَعْضُ نَزُولُ
عَرَّسَ الْأَوَّلُونَ ، وَالْآخِرَاتَا لِي إِلَيْهِمْ عَمَّا قَلِيلٍ يُتَوَلُّ
وَأِلَى حَيْثُ عَرَّسَ السَّافُ الْأَوَّلُ مِيعَادُنَا ، وَمِنْهُ الْقَفُولُ

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أَحَدْتُ عَنْكَ بِالسَّلْوَانِ نَفْسِي وَهَلْ تَسْلُو مَوْهَةً نَكُولُ
إِذَا نَاجَيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَنْتُ كَمَا حَنْتُ إِلَى بَوِّ عَجُولُ ^(٢)
إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ أَنْكَرْتُهُ وَتَعَطَّفُهَا الصَّبَابَةُ وَالغَلِيلُ
وَلِي فِي الْمَوْتِ يَأْسُ مُسْتِينٌ وَلَكِنْ حَالٌ وَجَدِي لَا تَحُولُ
أَحْنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا لِي إِلَى رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا سَابِيلُ

(١) الفتنية بالضم والكسر : ما اكتسب ، الجمع قنى . وفقى المال : اكتسبه .

(٢) البؤ : جلد الحوراء يمشى تبنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فندد . والعجول : الرواله من الإبل .

فيا لله من يأسٍ مبيِّنٍ يخالفُ حاله الصبرُ الجميلُ
 يغالني على عقلي حينٌ إليه ، لا تغالبه العقولُ
 فينسيني يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى معاقرها الشمولُ^(١)
 ويلعاني العذولُ، وليس يدري بما أخفي من الكمد العذولُ
 إذا نام انخلت أراح^(٢) همي وأسهر ليلى الحزن الدخيلُ
 كأن نجومَ ليلى موثقاتٌ فليست من أماكنها تزولُ
 وما في الصبحِ لي روح^(٣)، ولكن به يتعللُ الدنف^(٤) العليلُ
 نهارى لا يلائمي سلوً وليلى لا يفارقي العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما ينسيني الدهرُ روعتي^(٥) يفقد أبي بكرٍ حياتي، ولا يسلي
 خشيتُ عليه اليتيمَ بعدى، فليتني رُميتُ بما أخشى، ولم أزم بالشكل
 فكلُّ بعيدٍ يرتجى جمعُ شمله وبعدُ المنايا غيرُ مجتمِعِ الشمَلُ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله الهالكين في الزلازل بحصن شيزر^(٦) :

حيًا ربوعك ، من رُبِّي ومنازلِ سارى الغمامِ بكلِّ هامٍ هامٍ
 وسقتك يادار الهوى بعد التوى وطفاء^(٨) تسفحُ بالهتونِ الهاطلِ

- (١) الشمول : الخمر . ومعاقرها : المدمن على شربها .
 (٢) أراح الحزن همي : أى أعاد الحزن همي على عشية ، من أراح الراعى الإبل على أهلها .
 (٣) الروح . الراحة . (٤) تعلل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المريض .
 (٥) الروعة : الفرقة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هملت عينه : فاضت .
 (٨) صحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الدائمة السح .

حَتَّى تُرَوِّضَ^(١) كُلَّ مَا حِجَّ مَاحِلِ
 أَبْكَيكِ ، أُمُّ أَبْكَي زَمَانِي فِيكَ ، أُمُّ
 مَا قَدَرْتُ دَمْعِي أَنْ يَقْسِمَهُ الْأَسَى
 أَنْفَقْتُهُ سَرَفًا ، وَهِيَ أَنَا مَاثِلٌ
 وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى الْعَزَاءِ دَعْوَتُ مَنْ
 أَيْنَ الطَّبَاءُ عَهْدَتِهِنَّ كَوَانِسَاءُ
 التَّافِرَاتُ مِنَ الْأَنْبِيسِ تَكْرُمًا
 مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللَّقَاءِ مُنَازِلِ
 مَمْتَنِّعٌ صَعِبٌ عَلَى أَعْدَانِهِ
 عَزَا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
 حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمْ بِخَطْوَيْهَا
 دَرَسَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
 وَهَاءَ لَهْمٍ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمِ
 كَانُوا شَيْخِي فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدِ
 غَوَاً لِلْمُهْوِفِ ، وَمَلْجَأً لِأَجْيَاءِ
 ذَهَبُوا ذَهَابَ الْأَمْسِ مَا مِنْ مُخْبِرِ
 وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَاتِبَةٍ
 سَعَدُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهِيَ أَنَا بَعْدَهُمْ
 فَاعْجَبْ لَشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمُقَامِهِ
 عَافٍ ، وَتُرْوِي كُلَّ ذَاوِ ذَابِلِ
 أَهْلِيكَ ، أُمُّ شَرِّخِ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
 وَالْوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمَنَازِلِ
 فِي مَاحِلِ ، أَبْكَي بِحُفْنِ مَاحِلِ^(٢)
 لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرَمَتْ نَصْرَةَ خَادِلِ
 بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّابِلِ^(٣)
 وَالْأَنْسَاتُ بِكُلِّ لَيْثٍ بِأَسَلِ
 رَحِبِ الْفَنَاءِ لِطَارِقٍ أَوْ نَازِلِ
 سَهْلِ الْمَقَادَةِ لِلخَلِيلِ الْوَاصِلِ
 أَفْعَالُهَا ، فَبَعَثَهُمْ بِغَوَائِلِ^(٤)
 وَرَمَتْهُمْ بِجَوَادِثِ وَزَلَازِلِ
 مَأْنُوسُ أُنْدِيَةِ وَعِزُّ مَحَافِلِ
 وَمُنْعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
 وَقَدَى يَجُولُ بَعَيْنِ كُلِّ مُحَاوِلِ
 وَجَوَارِ رَبِّ جَرَائِرِ وَطَوَائِلِ^(٥)
 عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الزَّائِلِ
 مَسْتُورَةٍ بِجَمَلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
 فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهَمٌّ دَاخِلِ
 مِنْ بَعْدِ أَسْرَتِهِ ، وَرَاحَةَ رَاحِلِ

(١) رَضَّ الْمَكَانَ : جَعَلَهُ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الْأَوَّلِ : الْمَنْزِلَ الْجَدْبَ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الْجَامِدَ الَّذِي لَا يَدْمَعُ .

(٣) كَسَسَ الْغُلَّيَّ : دَخَلَ فِي كَنَاسِهِ وَهُوَ مُسْتَرْتَدٌ فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَالذَّابِلُ : الرِّقِيقُ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الدَّرَاهِمُ . (٥) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَابَةُ . وَالطَّالَةُ : الثَّرَى . (٦) التَّجْمَلُ : التَّصْبِيرُ .

دَعَا ، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عُلَا كَالجَاهِلِ
وَاصْبِرْ ، فَمَا فِيهَا أَصَابَكَ وَصَمَةٌ كُلُّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّابِلِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَمَامَ الْأَيْكِ^(٣) هَيَّجْتَنَ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الْحَيْنِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؟! أَمَا
هَلْ ذَا الْعَوِيلُ عَلَى غَيْرِ الْهَدِيدِ^(٤) ، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَحُونَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ ، وَمَا قَالُوا بِمَنْ ، وَإِذَا
مَا حَدَّثْتَنِي بِالسُّلُوبِ بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ الْمَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي ، فَكَمْ فَقَدُوا

فَلْيَكِ أَصْدُقُنَا بِنَا وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنَّ قَدِيمُ الْعَهْدِ نِسِيَانَا
فَقِيدَكُنَّ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقِدَانَا
تُرْجِعُ النَّوْحَ فِي الْأَفْنَانِ أَلْحَانَا
رَيْبُ الْمَنُونِ وَدَهْرٌ طَالَ مَاخَانَا
قَالَ الْأَسَى : فَضْ ، وَجُدْ سَمًّا وَتَهْتَانَا
أُفْرِدْتُ بِالرِّزْوِ مَا أَنْفَكَ أُسْوَانَا^(٥)
نَفْسِي ، وَلَا حَانَ سُلُوبِي وَلَا آنَا
وَلَا تَحْرَمَهُمْ^(٦) مَتْنِي وَوَحْدَانَا
وَأَحْمَلُ الْخَطْبَ فِيهِمْ عَزَّ أَوْ هَانَا
أَخَا ، وَكَمْ فَارَقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّابِلُ : صَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصْمَةُ : الْعَارُ .

(١) الْمَرَوَةُ : حِجَارَةٌ بِيضٌ بَرَّاقَةٌ .

(٣) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ الْكَثِيرُ .

(٤) الْهَدِيدُ : فَرْخُ حَامٍ زَعَمُوا أَنَّ جَارِحًا مِنَ الطَّيْرِ صَادَهُ فَمَا مِنْ حَامَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ .

(٦) تَحْرَمُهُمْ : اسْتَأْصَلَهُمْ .

(٥) الْأُسْوَانُ : الْحَزِينُ .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ
 وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ
 مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجِجِ الطَّرْفِ، وَانْقَرَضُوا
 أَعَزَّزَ عَلَيَّ بِهِمْ مِنْ مَعَشِرٍ صَبْرٌ
 لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
 فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا
 لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي
 بِأَدْوَا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا
 هَذِي قُصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ
 وَمِجَازُ الزَّلَازِلِ ، أَفْنَتْ مَعَشِرِي ، فَإِذَا
 بَنِي أَبِي ، إِنْ تَبِيدُوا ، أَنْ عَدَا زَمَنٌ
 فَلَنْ يَبِيدَ جَوِي^(٢) قَلْبِي وَلَا كَمَدِي
 أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِي عَلَيَّ ، فَمَا
 أَفْرَدْتُمْ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصْفُو لِمَنْفَرِدٍ
 فَلَيْتِي مَعَهُمْ ، أَوْلَيْتَ أَتَمُّهُمْ
 لَقَيْتُمْ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٣) الْعُقُوقِ ، كَمَا

رَغَا ، نَفَرُوا عَلَى الْأَذْقَانِ إِذْعَانًا
 سَقَتَهُمْ بِكُنُوسِ الْمَوْتِ ذَيْفَانًا^(٤)
 هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ لِإِنْسَانًا
 عِنْدَ الْحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لُؤْتَةٍ^(٥) لَنَا
 قَلْبًا أَجْشَمُهُ صَبْرًا وَسُلُوَانًا
 وَعَاشَ لِلَّهِمُ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانًا
 عَنْهُمْ ، فَبُوضِحُ مَا لَأَقْوَهُ تَيْبَانًا
 لِلخَطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَارًا وَعُمَرَانًا
 كَذَلِكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سُكَّانًا
 ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
 عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدْوَانًا
 عَلَيْكُمْ أَوْ يُبِيدَ الدَّهْرُ نَهْلَانًا^(٦)
 أَنْفَكَ فِيهِ كَثِيبَ الْقَلْبِ وَلَهَانًا
 عَيْشُ ، وَلُونَالٍ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
 بَقُوا ، وَمَا بَيْنَنَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
 لَقَيْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) السقب : ولد الناقة .

(٢) اللوة بالضم : الاسترخاء والبطء والضعف . وهو مجزيت لقريط بن أنيف العبدي .

إذا لقام بنصري مشر عشن عند الحفيظة إن ذو لؤنة لانا

(الحامسة ١٤)

(٥) نهلان : جيل .

(٤) الجوى : شدة الوجد .

(٦) تبارج العقوق : شدة .

لغَادَرْتُ أَدْمِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
 قَسْتَسْجِلُ مِيَاهَ الدَّمْعِ نِيرَانًا
 بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
 مِنْهُمْ كَهَوْلًا ، وَشَبَابًا ، وَوَلَدَانًا
 فَعَادَ بِالْيَأْسِ مَا رَامَ لَهْفَانًا
 بَأْسًا تَنَازَرَهُ^(٢) الْأَقْرَانُ أَرْمَانًا
 مِنْهُ ، وَهَلْ حَذَرٌ مُنْجٍ لِمَنْ حَاذَ^(٣)
 مُنِيعَ أُسْوَارِهَا بَيْضًا وَخُرْصَانًا^(٤)
 بِهَا ، لِشَاهِدَتِ آسَادًا وَخَفَّانًا^(٥)
 كَهَفًا ، وَلِلْجَانِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
 كَمَا عَلَتْ شَيْزُرٌ فِي الْعِزِّ عَمْدَانًا^(٦)
 وَبَائِسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأُوطَانًا
 مُسْتَرْفِدِينَ^(٧) وَزُورَارًا وَضَيْفَانًا
 غِيثًا هَتُونًا ، وَفِي الظُّلْمَاءِ رُهْبَانًا
 فَلَمْ يُطِقْ قَلْبِي الْمَحْزُونُ كِتَابَانًا
 بَعْدَ التَّصَاقُبِ مِنْ جِرَاهُ دَارَانًا
 وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٨) أَوْ بَانًا :
 كَمْ أَوْغَرُوا صَدْرَهُ غِيظًا وَأَضْغَانًا^(٨)

لَوْلَا شِمَاتُ الْأَعَادِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
 أُرْدُ فَيَضُ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
 لَا أَلْتَقِي الدَّهْرَ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
 أَخْنَحْتُ عَلَى مَعْشَرِي الْأَدِينِ ، فَاصْطَلَمْتُ^(١)
 كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكَتُهُ مِنْهُمْ مَلَكٌ
 لَمْ يَحْمِهِمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا ، وَلَا رَهْبَتْ
 أَنَّهُمْ قَدْرٌ لَمْ يُنْجِهِمْ حَذَرٌ
 إِنْ أَقْفَرْتُ شَيْزُرٌ مِنْهُمْ ، فَهَمْ جَعَلُوا
 وَهُمْ حَمَوْهَا ، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا ، وَهُمْ
 كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكٌ
 عَلَوْا بِمَجْدِهِمْ سَيْفَ بَنِي يَزِينَ
 كَانُوا مَلَاذًا لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَالَةٍ
 إِذَا أُنْتَبِهَتْ أَلْفِيَتِ شَطْرَهُمْ
 تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أُسْدًا ، وَيَوْمَ نَدَى
 حَاوَلْتُ كِتْمَانَ بَنِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
 لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعْدَتْ
 يَقُولُ بِالظَّنِّ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِي
 أَسَامَةٌ لَمْ يَسُوِّدْ فَقَدْ مَعْشِرِهِ

(١) اصطبله : استأصله .
 (٢) تناذروا : أنذرو بعضهم بعضا .
 (٣) حان : هلك .
 (٤) البيض : السيف . والخُرْصَان : الزمّاح .
 (٥) الخفان : مأسدة .
 (٦) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وعمدان : قصر ضم باليمن .
 (٧) مسترفدين : طالين للرفد ، وهو العطا والصلة .
 (٨) الأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد .

وما درى أن في قلبي لفقدهم نارا تظنى ، وفي الأجناف طوفانا
بنو أبي ، وبنو عمي ، دمي دمهم وإن أروني مناواةً وشناناً^(١)
كانوا جناحي ، فخصته الخطوب ، وإخواني ، فلم تبق لي الأيام إخواناً
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثةً وجتني ، حين ألقى الخطب عرياناً
بهم أصول على الأمر المهول ، إذا عرا ، وألقى عبوس الدهر جذلاناً
فكيف بالصبر لي عنهم ، وقد نظّموا دمي على فقدهم دراً ومرجاناً
يطيب النفس عنهم أنهم رحلوا وخلفوني على الآثار عجلاناً^(٢)
سقى نرى أودعوه رحمةً ملأت مئوى قبورهم روحاً ورينجاناً
وأبس الله هاتيك العظام ، وإن بليت تحت الثرى ، عفواً وغفراناً

(٥٢٣)

وقال :

حسبي من العيش ، كم لا قيت فيه أذى أقله فقد أتراني وخلاني
لم يبق لي مشككي بث أحمله همى ، ولا من إذا استصرخت لباني
وصم عنى صدى صوتي ، وأفردني ظلى ، ومل الكرى والطيف غشيانى
وما نظرت إلى ما كان يبهجنى إلا شجاني ، وآساني^(٤) ، وأبكاني

(٢) الحص : حلق الشعر .

(١) الشان : البغض .

(٤) شجاء : حزنه ، والأسا : الحزن .

(٣) العجلان : التاكل الواله .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ؛ فَبَاحَتْ فِي مُفْرُوعِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَى أَحْزَانِي
بِخَيْلَةِ الْعَيْنِينَ بِالْدَّمْعِ ، وَلِي عَيْنٌ تَجُودُ بِالنَّجِيعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بَرُوعَةٌ ^(٢) وَرُقٌّ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرْتِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

آخر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) البروعة : الفرعة .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الجملة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطاً^(١) شعراً لقيس بن ذريح :

كعهديك بانأت الحمى فوق كُنْهِها
ودارُ الهوى تحمي العداً سرحَ سربها
أقولُ، وسمرُ الخطِّ مجبٌ لحجبها :
سقى طللَ الدار التي أتمُّ بها حنّاتم^(٢) وبلِّ صيفٌ وربيعُ
بدارك مابي : من بلى الشوقِ، والهوى
وبى ما بها : من وحشة اليبين، والنوى
سأروى ثراها من دموعى إن ارتوى
وحياتك اللاتي بمنعرج اللوى بلبين بلى لم تبهنَّ ربوعُ
وما الجورُ عن نهج السلوِّ أعاجنى
على ذى أثاف^(٣) كالحمّام الدواجنِ
ولكن وفاءً ، ورده غيرُ آجن^(٤)
ولو لم يهجنى الظاعنون لهاجنى حمائمُ ورق في الديار وقوعُ

(١) التسميط : أبيات تجمعها فافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات .

(٢) الحنّاتم : السحاب السود .

(٣) الأثافى : جمع أطفية ، وهي الحجر يوضع عليه القدر .

(٤) الآجن : الماء المتغير العلم واللون .

هَوَاتِفُ يُذَكِّرْنَ الشَّجِيَّ أَخَا الْجَوَى
زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَائِعَةِ النَّوَى
وَطِيبَ لِيَالِيهِ الْحَمِيدَةَ بِاللَّوَى
تَدَاعَيْنِ، فَاسْتَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
نَوَائِحُ لَمْ تَذَرَفِ لَهَا دُمُوعُ
إِذَا مَا نَسِيمٌ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
أَقُولُ، وَأَشَوِّقِي تَزِيدُ تَضَرُّمًا:
عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
وَإِنَّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ يَا لَيْلُ كَلَّمَا ذَكَرْتِكِ وَحْدِي خَالِيًا لَسَرِيعُ
وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ ، قَدْ خَلَا
بِعُمْرِي أَوْ شَرِخِ الشَّبِيبَةِ مَا ذَلَا
وَقَدْ عَزَقَتْ نَفْسِي عَنِ الْمَجْرِ وَالْقَلْبَى
وَسَوْفَ أَسْأَلِي النَّفْسَ عِنْدِكَ ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّأْيِ الْمَخُوفِ تَزْيِيعُ^(١)
أَيْرَجُو لِي اللَّاحِي مِنْ الْحَبِّ مَخْلَصًا
وَقَابِي إِذَا مَا رُضْتُهُ بِالْأَسَى عَصَى
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلِقَ الْحَصَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُونِيَّةً شَقَّتَ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَى ، وَهِيَ أَمْسِ جَمِيعُ

(١) التزيع : الغريب ، كالنازع .

أَطَاعَتْ بِنَا لَيْلَى اقْتِرَاءَ التَّكْذِبِ
 وَصَدُّ التَّعَجُّبِي غَيْرُ صَدِّ التَّعْتَبِ^(١)
 فَيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ كَثِيرِ التَّقَلُّبِ
 مَضَى زَمَنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْفَا شَفِيعُ
 الْأَنْغَبَةِ^(٢) مِنْ بَرْدِ أَنْيَابِهَا الْعُلَى
 وَرَدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجْتَنَلَى
 فَقُولَا لَهَا : جَادَتْكَ وَاهِيَةُ الْكَلَى^(٣)
 أَرَا جِعَةً يَا لَيْلَى أَيَامِنَا الْأَلَى بِذِي الرَّمْتِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَهْنِ رُجُوعُ
 أَعَاذَلْتِي ، مَالِي ، هُدَيْتِي ، وَمَالِكَ
 لَقَدْ سَاءَ نِي أُنِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
 ذَرَيْتِي ، فَلَوْ مِي ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ
 لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ^(٥) مَالِكَ لَعَاصٍ لَامِرٍ الْعَاذِلَاتِ مُضِيعُ
 أَعَدَّ ذِكْرَهَا ، أَحْبَبَ إِلَيَّ بِذِكْرِهَا
 وَدَعَّ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبَدٍ لِعِذْرِهَا
 فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَفَانِي وَغَدْرِهَا
 إِذَا أَمَرْتِي الْعَاذِلَاتُ بِهَجْرِهَا هَفَّتْ كَيْدٌ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيعُ^(٦)

(١) تعجني عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . والتعجب : مخاطبة الأدلال . (٢) النغبة : الجرعة ويضم ، أو الفتح بكرة والضم للامم .

(٣) كلية السحاب : أسفله . (٤) الرمت في الأصل : مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه النضى ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الحزوة تشاكل الرمل ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٦) هفا : ذهب في إثر الشيء . - موصدع : مشقوقة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاهَا، وَعَتْبُهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَاءتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهِنِي صَدَقُ اللُّوَاحِي، وَكُذْبُهَا
وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُورِقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للجنون :

أَيَا لَأَنَّمِي فِي وَقْفَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمْرِ مُحْتَذِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لِعَمْرِكُ ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ ، فَلَِمِ أَلِيمٌ بِهِ ، لِي شَائِقُ
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَدْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَأِنِّ مُرُورِي ، لَا أَكَلِمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَائِقُ
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حِذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءُ مُغْزَلُ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالْفُؤُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْحِزْجِ مِنْ أَعْلَى الْجُنَيْبَةِ مَزْلُ فِسِيحُ ، شَجِي صَدْرِي بِهِ مَتَضَائِقُ

(١) لاذبه : لجأ ، ولاووذ ملاوذة : استتر .

(٢) الأدمة في الغلباء : لون مشرب يابسا . وغاية مغزل : ذات غزال .

سَاعِلِينَ ، وَالْمَصْدُورُ لَا بَدَّ يَنْفِثُ
صَمَانَةً^(١) حُبَّ بِالْحَوَازِجِ تَضْبِثُ^(٢)
يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْتِثُ
وَمَاذَا عَسَى الْوَأَشُونَ أَنْ يَخْتَدُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
هَوَى فِي عَفَافٍ لَمْ تُدْتَسَّهُ رِيْبَةٌ
كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لُبْنَى وَتَوْبَةٌ
أَقُولُ ، وَلِلْوَأَشِيِّ سَهَامٌ مُصِيبَةٌ:
أَجَلٌ ، صَدَقَ الْوَأَشُونَ ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
سَاخِضُ لِلطَّيْفِ الْمَلْمُ بَعْتِكُمْ
وَأَصِقُ خَدِي فِي الدِّيَارِ بِتُرْبِكُمْ
وَمَا زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاتِمُ وَقُرْبِكُمْ
يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حِكْمِ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبِنَاتِقُ^(٣)
هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسُوفَ^(٤) تُرَابَهَا
وَأَبْكِي لِيَالِينَا بِهَا وَانْقِلَابَهَا
وَسُمْرًا بِهَا تَحْمِي الْأَعَادِي قِبَابَهَا
كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَابَهَا بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٥)

(١) الضمّة بالضم ، وكسحاب ومحابة : المرض .

(٢) ضبث به يضبث : قبض عليه بكفه .

(٣) البنية : جيب القميص .

(٤) السوف : الشم .

(٥) الدبوق : ما يشرب بالعشى — غبق : مقاء ذلك .

نَأْوًا ، وَعَسَى تَدُنُو بِهِمْ نِيَّةً ، عَسَى
بِشْمِسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حِنْدَسًا^(١)
كَأَنَّ فِيهَا الرُّوضُ لَيْلًا تَنْفَسَا
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرَسًا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهبّار^(٢) :

أَسَاءَتْهَا لِلْبَيْنِ وَهُوَ بِجَوْلُ
تَأَنَّ ، فَمَا هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سُئُولُ
لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَفُولُ يَقَوْمُهَا الْخَادُونَ ، وَهِيَ تَمِيلُ
تَجَانَفْنَ عَنْ وَعَثِ الطَّرِيقِ وَسَهْلُهُ^(٣)
وَأَعْرَضْنَ عَنْ خِصْبِ الْمَرَادِ^(٤) وَمَحَلُّهُ
فَهِنَّ عَلَى جَوْرِ الْغَرَامِ وَعَدْلُهُ
نَوَاصِلُ^(٥) مِنْ «جَوِّ»^(٦) خَوَاضُ مِثْلِهِ صُعُودٌ عَلَى حِكْمِ الطَّرِيقِ^(٧) تُزُولُ

(١) الهندس : الظلمة . (٢) رويت هذه القصيدة في جمهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب
٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهبّار بدويّاته المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .
(٣) في الجمهرة . مهله « تحريف . وتجانف : تمایل . والوعث : الطريق السر .
(٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلا . (٥) في الجمهرة « فواصل » تحريف . ونصل : نرج .
(٦) جو : موضع . (٧) في ديوان مهبّار (الزمان) .

إِذَا أَجْفَلْتُ فِي الْبَيْدِ جُفَلَ نَعَامَهَا
كَأَنَّ أَفَاعِي الرَّمْلِ تُخِي زِمَامَهَا
ثَنَّتْ لَيْتَهَا^(١) نَحْو الصَّبَا وَانْتَسَامَهَا
هَوَاهَا وَرَاهَا، وَالسَّرَى عَنِ^(٢) أَمَامَهَا فَهِنَّ صَحِيحَاتُ النَّوَظِرِ حَوْلُ
بِهَا مِثْلَ مَا بِالظَّاعِنِينَ كَابَةٌ
وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَابَةٌ^(٣)
وَالشَّقِيقِ مِنْهَا، مَا^(٤) دَعَاها، إِجَابَةٌ
تَضَاعَى^(٥)، وَفِي فَرَطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرَعُو، وَفِي طُولِ الرِّغَاءِ غَلِيلُ
أَهْلَةٌ بِيَدٍ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
إِذَا لَحَّتْ أَجْبَالَ سَلَمَى وَرَوَقَهَا^(٦)
كَفَى شَوْقَهَا شَلَّ^(٧) الْحُدَاةَ وَسَوْقَهَا
تُرَادُ عَلَى "نَجْدٍ"، وَيَجْذِبُ شَوْقَهَا مَظَلَّ عِرَاقِي الثَّرَى وَمَقِيلُ
أَلَّا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عَيْشَةٌ
وَفِي الشَّقِيقِ لِلنَّائِي هُمُومٌ مُطِيشَةٌ
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الْمَفَارِقِ بِبِشَّةٍ^(٨)
وَمَا جَهَلْتِ أَنَّ "العِرَاقَ"^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تَرْبِيَةِ صَبَا وَقَبُولُ^(١٠)

- (١) الليت بالكسر: صفحة العنق .
(٢) خلبه : خدعه .
(٣) تضاعى : تصيح .
(٤) في الديران (من) .
(٥) في الجمهرة (إذ) .
(٦) الروق : مقدم البيت ورواقه .
(٧) الشل : الطرد ، وفي الجمهرة نسر ، ونساءه : زجره ، وساقه . (٨) واد بطريق اليمامة مأسدة .
(٩) في الديران (الجاز) .
(١٠) القبول : ربح الصبا .

وفى الركبِ مسلوبُ العزاءِ فقيدُهُ
يزيدُ إذا هبَّ النَّسيمُ وقُوده
وما كلُّ أسبابِ الغرامِ تقوده
ولكنَّ سحرًا "بأيليًا" عقوده نُحلَّلُ ألبابُ به وعُقُولُ
وقد حَمَلَتْ لَدَنَ القوامِ رشيَقه
حكى المسكُ فاه، والمدامَةُ ريقه
فأضحى بها نأني المحلِّ سحيقه
نجائبُ إن ضلَّ الحمامُ طريقه إلى أنفُسِ العُشاقِ فهى دَلِيلُ
وَإِنِّي لِأَشْكُو مِنْ فِرَاقِكَ هَرَّةً
وروعةَ شوقٍ للحشا (١) مُستَفزَّةً
وقد وَقَرَّتْ فى القلبِ عيسك حزةً
حملنَ وجوهاً فى الخلدورِ أعرزةً وكلُّ عزيزٍ يومَ رُحْنِ دَلِيلُ
كَتَمْتُ هوى ظمياءَ كتمانِ مغلينِ
ونهنَّتْ دمعاً عاصيباً غيرَ مُدعِنِ
وقد قَالَتِ الأَطْعَانُ لِلسَّلْوَةِ : اظغني
قَسَمَنَ (٣) العُقُولَ فى السُّتُورِ (٤) بأعينِ قِوَاتِلِ ، لا يودى (٥) هُنَّ قَنَبِيلُ

(١) فى الجمهرة (فى الحشا) . (٢) الغامياء من الشفاء : الدابة فى سمرة .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفى الأصل (يسمن) تحريف .

(٤) فى الجمهرة (كاستور) . تحريف . (٥) يودى : تدفع دية .

مَحَبُّ إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ نَجْمُهُ
 تَأْوَبَهُ^(١) بَثُّ الْهَوَى وَهُومُهُ^(٢)
 وَفِي الْخِجْدِ بَدْرٌ آفَلٌ ، لَا يَرِيْمُهُ^(٣)
 وَفِيهِنَّ حَاجَاتٌ وَدَيْنٌ غَرِيْمُهُ مَلِيٌّ^(٤) ، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ^(٥) مَطْوُلٌ
 لُبَّانَةٌ^(٦) نَفْسٌ مُسْتَمِرٌّ عَنَاؤُهَا
 عِيَاءٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي دَوَاؤُهَا
 قَضَى جِبْهًا أَلَا يَصَابُ شِفَاؤُهَا
 يَخِفُّ عَلَى أَهْلِ الْقِيَابِ قَضَاؤُهَا لَنَا ، وَهِيَ مَنْ فِي الرَّقَابِ ثَقِيلٌ
 وَقَفَّتْ عَلَى رِيحِ لَظْمِيَاءٍ أَقْفَرًا
 سَقَتَهُ دَمَوْعِي مَا أَرَاضَ وَنَوْرًا
 فَقَلْتُ لِحَدَنِي الْخَلِيَيْنِ أَعْنِرَا
 أَبِي الرَّكْبِ «بِالْيَضَاءِ» إِلَّا تَنَكَّرَا^(٧) وَقَدْ تُعْرَفُ الْآثَارُ ، وَهِيَ مَحْوُلٌ
 سَأَلْتُ سَيَالَاتٍ^(٨) الْحَمِي ، قَتَايَلْتُ
 كَمَوْحَدَةٍ مِنْ جَبْرَةٍ قَدْ تَزَايَلْتُ
 قَفَاضَتْ دَمَوْعٌ كَالْغُرُوبِ تَسَاجَلَتْ^(٩)
 وَلَمَّا وَقَفْنَا بِالذِّيَارِ تَسَاكَلَتْ^(١٠) جُسُومٌ بَرَّاهُنَّ الْبِلَى وَطُلُولٌ

- (١) تَأْوَبَهُ : أَنَاهُ لَيْلًا .
 (٢) لَازِيْمُهُ : لَا يَرِيْمُهُ .
 (٣) فِي الدِّيْوَانِ (الْمَلِي) .
 (٤) هَذِهِ دَوَايِهُ الدِّيْوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ (تَذَكَّرَا) .
 (٥) فِي الْجُمْهُرَةِ «تَسَايَلَتْ» وَالْغُرُوبُ جَمْعُ غَرَبٍ وَهُوَ الدَّلْوُ .
 (٦) وَرَدَّ هَذَا الشَّرْطِي الْجُمْهُرَةَ مُتَأَخِّرًا عَنِ تَالِيهِ .
 (٧) الْمَلِي : الْفَتَى .
 (٨) الْبِيَّانَةُ : الْحَاجَةُ .
 (٩) الْبِيَّالُ كَسْبَابٌ : مَا طَالَ مِنَ السَّرِّ .
 (١٠) فِي الدِّيْوَانِ (تَشَابَهَتْ) .

دعانا الهوى واستوقفتنا المعارفُ
وأدبى الحشا ، والشوق للكلم^(١) قارفُ
حائمُ ورقٍ في الغصونِ هواتفُ
فباكِ بداءٍ بين جنبيه عارفُ وباكِ بما جرَّ الفراقُ جهولُ
نعم ، هذه الأطلالُ ، قفرُ فاربِج^(٢)
وجددُ بها عهدَ المشوقِ المودعِ
سأستقي ثراها الرىَّ من سحِبِ أذمى
وأسالُ عن ظمياء^(٣) صماءٍ لا تبي فأرضى^(٤) بما قالت ، وليسَ تقولُ
تُصدِّقُ ظمياءَ العذولِ إذا افترى
وأكذبُ سَمِي في هواها وما أرى
وأفنعُ منها بالخيالِ إذا سرى
ويُعجِبُنِي منها بزخرفها الكرىَ دنوُّ إلى طولِ البعادِ يؤولُ
مَلِّتُ ، فَا تُدْنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَعِنْدَكَ لِلوَاشِينَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ
وحفظُ عهدِ الغادرينَ إضَاعَةٌ
وما أنتِ يا ظمياءُ إلا براعة^(٥) تميلُ مع الأرواحِ حيثُ تميلُ

(١) الكلم : الجرح . والقرف : التمسك في المرض . (٢) ربع كنع : وقف وانتظر وتجنبس .

(٣) الظمياء : الدابة في سمرة .

(٤) في الأمل « قرضى » . وروايه هذا البيت مضطربة في ديوان مهيار . (٥) البراعة : القصة .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوُهَا وَدَوَاوُهَا
وَرَاخَتْهَا، لَوْ نَلْتَهَا وَشِفَاوُهَا
إِذَا بِنْتِ ضَاقَتْ أَرْضَهَا وَسَمَاوُهَا
فَإِنْ كَانَ سُؤلاً لِلنَّفُوسِ بِلَاوُهَا فَإِنَّكَ لِلْبَلَاوَى ، وَإِنَّكَ سُؤْلُ

(٥٢٨)

وقال يَسْمَطُ قَصِيدَتَهُ المِيمِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيَوَانِ (١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ ، أَمْ حُلْمٌ
وَصَبُوءَةٌ كُلُّ هَذَا الِوَجْدُ أَمْ لَمَمٌ (٢)
أَحْيَيْتُ قَوْمًا، وَإِفْرَاطُ الهَوَى نَدَمٌ
وَلَوْأ ، قَلْبًا رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلُمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
سَاوَى حُضُورَهُمْ عِنْدِي مَغْيِبُهُمْ
وَصَشْتُهُمْ فِيهِمَا عَمَّا يَبِيهِمْ
وَمُنْذُ قَالَ الِوَرَى : هَذَا حَيِيْبُهُمْ
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفَنَكْرِي مَا يَرِيْبُهُمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمٌ
كَمْ رَضْتُ نَفْسِي بِالسَّلْوَانِ ، فَامْتَنَعَتْ
وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَائِقَ الهَوَى ، وَرَعَتْ
فَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدْرَةً ، فَضَعَتْ (٣)

وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطَلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِي التَّهْمُ

(١) ضما : اختبأ واستتر .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مَنْ فَرَطَ وَجَدَى بِهَمْ أَحَبَّتْ غَدْرَهُمْ
وَاللَّوْمُ فِيهِمْ لَسَمِعَى مِنْهُ ذِكْرَهُمْ
وَصَنَّتْ حَتَّىٰ عَنِ الْأَوْهَامِ سِرَّهُمْ
فَلَيْتَ شِعْرَىٰ بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنِ وَصَلَىٰ السَّامِ
مَا صَرَّحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلَىٰ ، وَكَذَبُوا
إِلَّا وَقَالَ الْهَوَىٰ : مَهَلًا ، سِوَاكَ عَنَّا
وَكَلَّمَا أَهْمَلُوا حَفِظَ الْهَوَىٰ ، وَوَنُوا
حَفِظْتُ مَاضِيَعُوا ، أَغْضَبْتِ حِينَ جَنَوَا وَفَيْتِ إِذْ غَدَرُوا ، وَأَصَلْتِ إِذْ صَرَمُوا
كَمْ قَدْ سَعَيْتِ حَرِيصًا فِي مُرَادِهِمْ
وَمَنْ رَعَيْتِ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
فَإِنِ أَصْبَحْتَ طَوْعًا فِي قِيَادِهِمْ
حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو : مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي نَجْرَىٰ بِهِ الْقِسْمُ
أَوْطَنْتُهُمْ خَافَ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوْطِنِهِمْ
فَأَخْرَجُوا^(٢) بِالْتَجَنِّي رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
حَتَّىٰ لَعْنَدَ مُسَيِّنِيهِمْ وَمُحْسِنِيهِمْ
مَحَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِيهِمْ قَدَىٰ ، وَذَكَرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ
هُمُ أَبَاحُوا الضَّنَىٰ جِسْمِي ، وَكَانَ حَمِي
وَأَمْطَرُوا مُقَلَّتِي بَعْدَ الدَّمُوعِ دَمًا
وَمَا رَعَوْا فِي الْهَوَىٰ عَهْدًا وَلَا ذَمًّا
وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمُ

(١) الخلب : لحية رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَاعُوا قَوَادِيَ الْهَاجِرَانِ حِينَ أَمِنَ
وَكَانَ بِالْوَصْلِ مِنْهُمْ ، لَوْرَعُوهُ ، قَيْنٌ ^(١)
وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ غُنِ
هُمُ مَجَالُ الْكِرَى مِنْ مُقَلَّتِي ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَارُوا ، أَوْ اجْتَرَمُوا
لَمْ يَتْرِكِ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
وَلَمْ أُطِعْ فِيهِمْ نُصْحًا وَلَا عَدْلًا
وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى حَبَلًا
تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنِي . بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصَفُوا فِي الْحُكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
فَقُلْ لِسَارِي الدُّجَى تَهْدِيهِ ظُلْمَتُهُ
وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضَ جُمَّتُهُ ^(٢)
تُغْرِي الْفَلَا وَالدُّجَى وَالْهَوْلَ عَزْمَتُهُ :
يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيَدَاءَ هَمَّتُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجِزُ عَمَّا تَدْرِكُ الْهَمُّمُ
إِذَا وَصَلْتَ ، وَقَاكَ اللَّهُ مَهْلِكَةً
وَذَادَ عَنْكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضْتَ مَعْرَكَةً
فَمَا سَلِمْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَمْلَكَةً
بَلِّغْ أَمِيرِي مَعِينَ الدِّينِ مَأْلَكَةً ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمَّمُ ^(٤)

(١) قين : خليف وجدير .

(٢) الجمل : الكثير من كل شيء . كالجليم . ومن الظهيرة والماء . معظمه : بكهنته .

(٣) المألكة : الرسالة .

(٤) الأمم : القرب . وفي هامش الديوان أن أسامة أسقطها هنا بيتا لم يرضه تصريجه . والبيت هو :

وقل له أنت خير الترك ، فضلك الحياء ، والدين ، والإقدام ، والكرم

(واظر القطعة ٢٦٦ من هذا الديوان صفحة ١٤٦) .

لَمَّا وَلِيَتَ الرَّعَايَا سُرَّ كُلِّ وِليٍ
وَسُسْتَهُمُ بِالتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُمَضِّي الْقَضَايَا بِإِلَّا حَيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُشْكَى إِلَيْهِ ، وِليٍ شَكِيَّةٌ أَنْتَ فِيهَا الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

فَاسْمَعْ قَضِيَّةً مَأْخُوذٍ بِجُلْتَنِهِ (١)
وَفَاؤُهُ لَكَ أَرْدَاهُ بِغُلْتَنِهِ (٢)
وَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضَّلَ دَوْلَتِهِ وَعَدَلَ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ

أُمٌّ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فُقِدَتْ
أُمٌّ فِي الْعَلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاءَهَا ، فَلَحَتْ (٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمِدَتْ

تَضْيِيعٌ وَاجِبٌ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ النَّصِيحَةَ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْحِدْمُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي ، وَلَهْفُ طَالَمَا شَفَّتْ

لَمْ تُغْنِ عَنِّي تِجَارِيئِي وَمَعْرِقِي

حَتَّى اغْتَرَرْتُ بِأَمَالٍ مَرْنَحْرَقَةٍ

وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِقِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ

(١) الخلة بالضم : الصداقة المختصة لا خلل فيها .

(٢) الغلة : حرارة الحب .

(٣) لحاء : لامة .

يَأْمَنُ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعِيَ عَلَيْهِ أُذُنٌ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءَ فِيهِ أَجْنٌ (١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكْتُ مِيثَاقِي، فَكَيْفَ أُسِّنُ (٢)
 وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنِي وَيَبْنِيكَ: مَنْ وُدِّ، وَإِنْ أَجْلَبَ (٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَمَنْ رَمَانِي الْعِدَا بَغِيًّا بِإِفْكَهِمْ (٤)
 فَلَمْ أَرْقُ، وَلَمْ أَفْرُقْ (٥) لِبَغِيهِمْ
 وَمَنْ سَعَوْا بِي، فَلَمْ أَحْفَلْ بِسَعِيهِمْ
 لَكِنْ ثِقَاتِكَ مَا زَالُوا بَغَشْتَهُمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا (٦) عَلَيَّ مِنْ كَانَ مَوَلَّهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَفْوَلَهُمْ (٧)
 بَاعُوكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْغَنَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدَمُوكَ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتُ بِهِمْ فِيمَا أَمْرَتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغَوْرُهُمْ كَانَ يَبْدُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ (٨)
 وَاللَّهِ مَا نَصَحُوا، لَمَّا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلَّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالتَّقْصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تَجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرْفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَمَنْ سَعَوْا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعِيمُهُ

(١) أجن الماء: تغير طعمه ولونه. (٢) أسن: أجن. (٣) أجلب: توعده بشراً.
 (٤) الإفك: الكذب. (٥) فرق كفرح: فرغ. (٦) مالوا عليه: اجتمعوا.
 (٧) الخول: العبيد. وخوله: أعطاه مفضلاً. (٨) السبر: امتحان غور الجرح وغيره.

قلوا : الأميرُ وفيُّ بالعهودِ ؛ فلذ
بذِي الحِمِيَّةِ^(١)، إن خَطْبُ أُمِّ، وعُذ
والوصفُ في السمعِ قبلَ الإمتحانِ يَلذُ
أين الحِمِيَّةُ، والنفسُ الأبيَّةُ، إذ سَامُوكَ خُطَّةُ خَسِفِ عَارُهَا يَصِمُ؟!
لَمَّا رَأَيْتَ لَصَرَفِ الدَّهْرِ وَإِظَّةُ
لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ مَا تَنفَكُ حَافِظَةً
حَتَّى تَشِيعَ سَمَاعًا أَوْ مَلاحِظَةً
هَلَّا أَتَقَتَ حَيَاءً أَوْ مَحَافِظَةً^(٢) من فَعَلَ مَا أَنْكَرْتَهُ العُربُ والعَجْمُ؟!
أَتَيْتَ فِينَا ، وَمَا أَقْتَادَتِكَ مَوْجِدَةٌ^(٣)
إِسَاءَةٌ هِيَ لِلإِحْسَانِ مُفْسِدَةٌ
أَغْرَبْتُ^(٤) فِيهَا ، بِخَاءَتِ وَهِيَ مُفْرَدَةٌ
أَسْلَمْتَنَا، وَسِوْفُ الهِنْدِ مَغْمَدَةٌ ولم يَرَوْ سِنَانَ السَمْهَرِيِّ^(٥) دَمُ
مَا شُبْتُ حُسْنَ ظُنُونِي فَيْكَ بِالثَّهْمِ
وَلَمْ تَمُرَّ بِفِكْرِي تَجْمَلَةُ النَّدَمِ
وَأَنْ إِفْكَ الأَعَادِي مُخْفَرٌ^(٦) ذِمِّي
وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالِاكَ فِي حَرَمِ لا يَعتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ

(١) الحمية : الأئمة .

(٢) المحافظة : الدب عن المحارم .

(٣) الموجدة : الفضب .

(٤) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) السمهرى : الرخ الصلب .

(٦) مخفردى : ناقض عهدى .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا بَدَّلَا
وَلَا ابْتَغَى بِصَدِيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
وَلَا رَأَى انْخِلَالَ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
وَأَنَّ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمَوَاتِ ، لَا يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالَهُ النَّقْمُ^(١)
إِسَاءَةً جَتَّتَهَا ، وَاللَّهُ يَغْفُرُهَا
يُذِيعُهَا الدَّهْرُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُنْشُرُهَا
وَالخَلْقُ أَجْمَعُ يَا بَابَا ، وَيُنْكِرُهَا
هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عُدْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ
مَا زِلْتِ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَا طَبْعًا^(٢)
لَكِنَّ فِعْلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدِعًا
الْقَيْتَمِ فِي يَدِ الْإِفْرَنْجِ مُتَّبِعًا رِضًا عِدَاً يُسَخِطُ الرَّحْمَنَ فِعْلَهُمْ
أَخْفَى الْهَوَى عَنكَ بَعْدَ الْكَشْفِ أَمْرَهُمْ
حَتَّى لِأَنْكَرْتَ يَا مَخْدُوعٌ مَكْرَهُمْ
وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْفَوْتِ غَدْرَهُمْ
هُمْ الْأَعَادَى ، وَقَالَكَ اللَّهُ شَرَّهُمْ ، وَهُمْ ، بَزَعْمَهُمْ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدَمُ

(١) أسقط أسامة بعد هذا البيت بيتا لم يسطه وهو :

وما طان بأول من أسامة بالـ «سوفاء» ، لكن جرى بالكائن القلم

• وانظر القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧ .

(٢) الطبع : الوح الشديد والعيب .

ما أنصفوك ، أتوا مالست تجهله
وما استقلوا^(١) بعبء أنت تجهله
وخالفوا كل خير كنت تفعله
إذا نهضت إلى مجدٍ تُوئله^(٢) تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
صدقتم ، وعهود القوم كاذبة
وكل أحلامهم في الغدير عازبة^(٣)
لغير دولتك الغراء طالبة
وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيك مبتسم
ضلالة قد أظلمت غوايتها
ودولة رفعت بالغير رايها
دنت لكفرانها النعمى نهايتها
حتى إذا ما انجلت عنهم غايتها بجحد عزمك ، وهو الصارم الخدم^(٤)
وأصبحوا في نعيم ما له خطر
ما يعترى عيشهم بؤس ولا ضرر
ولم يزع سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
رشف آجن عيش ، كله كدر ووردتهم من نذاك الساسل الشيم^(٦)

(١) لا يستقل بالأمر : لا يطيقه .

(٢) أنل ماله : أصله .

(٣) عازبة : بعيدة .

(٤) غيابة كل شيء : ما سترك منه . والخدم : القاطع .

(٥) السرح : فنا . الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَتَهُمْ غَلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَفُقِ
فَلَمْ يَرَوْا حَقَّ تِلْكَ الْأَنْعَمِ الدَّفُقِ
وَعَامِلُوكَ بِيَغِشِ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
وَإِنْ أَنَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحْتَلِقٍ وَأَشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُحْتَرِّمُ

أَخْفَوْا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخْفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
وَأَضْمَرُوا مَحْنًا مِنْ غِشِّهِمْ وَمَا حَنَ (١)
وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَتْهُمْ ، وَمَنْنَ
وَكُلُّ مَنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْنَ وَالْآكُ فَهُوَ الَّذِي يُقْصَى وَيُهْتَضَمُ (٢)

مَا زِلْتَ فِي وَدْهِمْ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
وَهُمْ بِدَاكَ فِيَا لِلَّهِ لِلْغَبَنِ
أَعْوَانُ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَغِيًّا وَكُفْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَنْنِ وَمَرَاتِعِ الْبَغِيِّ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُّ

أَخْفَيْتَ بَادِي مَسَاوِيهِمْ لَتَسْتَرَهُمْ
وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسِرَهُمْ (٣)
فَاكْشِفْ بِجَنِّكَ مَا أَخْفَوْا لِتُنْكَرَهُمْ
جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِيِي لِتُخْبِرَهُمْ فَلِرِّجَالٍ - إِذَا مَا جُرِّبُوا - قِيمٌ

(١) الإحْن : جمع إحنة ، وهي الحفدة والغضب .

(٢) الإهْتَضَامُ : الظلم .

(٣) الْمَكْسِرُ : المخبر والأصل .

مازلتُ، منذ كنتُ، في عينِ العدوِّ قذَى
يرى محلي فوق النجم مُنْتَبِذًا^(١)
فسلهمُ بي تَزِدُهُمُ من جَوَى وأذى
هل فيهمُ رجلٌ يُغْنَى، إذا جلى الحوادثُ حدَّ السيفِ والقلمِ

أم فيهمُ من يُجَلِّي حِندَسَ الشُّبَه
يَعَزِمُ أروع^(٢) مدرأكُ لمَطْلَبِهِ
ماضٍ على الهولِ مُستَوِط^(٣) لمرْكَبِهِ
أم فيهمُ من له في الخَطْبِ ضاق به ذرعُ الرجالِ يدُ يسطو بها وفمُ

عرفتَ غشهمُ في السرِّ والعلنِ
وَأَنَّ نِيَّاتِهِمُ مَلَأَى مِنَ الدَّرَنِ^(٤)
ولم تزل عاكفًا منهم على وثنٍ^(٥)
لكنَّ رأيك أَدْنَاهُمْ وأبعَدني فليتَ أَنَا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقَسَمُ

لَمَّا خَلَطْتَ يَقِينَ الوُدِّ بالشُّبَه
رَعِبْتَ عَهْدِي بِطَرْفِ غَيْرِ مُنْتَبِه
وملتَ بالودِّ عن مَلْحُوبٍ^(٦) مَذْهَبِهِ
وما سَخَطْتُ بِعَادِي، إِذْ رَضِيتَ بِهِ وَلَا بِجُرْحٍ، إِذَا أَرْضَاكُمْ، أَلَمْ

(١) الانباز : التعمى .

(٢) الأروع : من يعجبك بحسه ، أو بشجاعته .

(٣) استوطاه : وجده وطياً ، أى على حالة آتية .

(٤) الدرن : الوحش .

(٥) الوثن : الصنم .

(٦) حب الطريق : بيته .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُضَعَتْ جَلْدِي

وَلَا النَّوَى عَنْ دَمَشِقٍ فَتَّ فِي عَضْدِي

أَنِّي نَوَى اللَّيْثُ فَهوَ الْخَيْسُ^(١) لِلْأَسَدِ

وَلَسْتُ آسَى عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ شُهْبُ الْبُرَاةِ سِوَاءَ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٢)

أَقُولُ إِذَا فَاتَ حَزِي عِزْمَةُ الرَّشْدِ

وَقَدْ بَدَأَ لِي مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلْدِي:

لِلَّهِ دَرْكٌ ، لَوْلَا الْعَبْنُ ، مِنْ بَلَدٍ

تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَدِي ثُمَّ أَنْتَتِ ، وَهِيَ صِفْرٌ^(٣) ، مَلُؤَهَا نَدَمٌ

كَمْ عَزَّنِي^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَسَوْفِي^(٥)

وَكَمْ وَثِقْتُ بِمِعَادٍ فَأَخْلَفَنِي

حَتَّى تَلَاشَى رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ فَنِي

لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ

وَمِثْلَ وَجْدِي لُبْعِدِي عَنْكَ لَمْ أُجِدْ

وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُقْتَدٍ^(٦)

فَمَا تَنَكَّرَ لِي صَبْرِي وَلَا جَلْدِي

فَاسْلَمْ ، فَمَا عِشْتَ لِي فَالْتَهَرُطُوعُ يَدِي وَكُلُّ مَا نَأْتِي مِنْ بُؤْسِهِ نَعِمٌ

(١) الخيس بالكسر: موضع الأسد، كالثيب.

(٢) البانزى: ضرب من الصقور. والشبية: بياض يصدده سواد. والرخم: جمع رخم، وهو طائر ضعيف.

(٤) عزه: غلبه.

(٣) صفر: خالية.

(٦) انتقد: طلبه عند غيبته.

(٥) سوفى: مطلقى.

نجز ديوان الأمير: مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بحمد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .

الفهارس

١

فهرس القوافي مرتب على أغراضه الشعرية

في الغزل الباء

الصفحة	البحر	
٥١	وئجاب عن تعنيفهم إن أذنبوا الكامل	صاحبهم بترفق ما أصحبا
٥١	وبعد التقل غير بعد السباب الطويل	بنفسى قريب الدار والهجر دونه
٥٢	إمياض بارقة خلوب الكامل	حتى متى أنا شائم
٥٢	عن الحب لم يستحسن الظلم في الحب الطويل	نشدتكما يا مدعئين سلوة
٥٣	كانت قطيعته جوابي الكامل	قمر إذا عاتبته
٥٣	فألم وهو بودننا مراتب الكامل	ذكر الوفاء خيالك المتاب
٥٤	فكيف حال من الدنيا تعذبه البسيط	نفسى بزهرة دنياها معذبة
٥٤	لك مسعد فالهجر يظهر حوبه الكامل	واعص اصطبارك إن تكفل أنه
٥٤	دم هذا بدمع هذا مشوب الخفيف	ليس طرفي جارا لقلبي ولكن
٥٥	واصدف عن الواشي المراقب الكامل	أطع الهوى واعص المعاتب
٥٥	ونظم الدر بين الراح والحب البسيط	من زين الاقحوان الرطب بالشنب
٥٦	فإن رآه اكنن في السحب السريع	مهفهف يججل بدر الدجى
٥٦	دعاي قل لي علام ذا الغضب البسيط	أدعو على ظالمي فيغضب من
٥٧	فمن العناء قياد غير المصحب الكامل	لا تكثرن عتاب من لم يعتب
٥٧	ونهانسي عن التصابي المشيب الخفيف	كف عنى واش وأغضى رقيب فأجابه :

بأبسي شخصك الذي لا يغيب

التاء

٥٨	فاليأس ينقض كل ما أبرمته الكامل	يا معمل الآمال دع خدع المنى
----	---------------------------------	-----------------------------

البحر الصفحة

الجيم

وقائل رأبه ضلالي عن نهجي والحب ما له نهج الخفيف ٥٩

الحاء

نفسى فدت بدر تمام إذا عاتني بالجد أو بالمزاح الخفيف ٥٩
باح بشكوى ما به فاستراح فهل عليه في الهوى من جناح الخفيف ٦٠
أرته غزته في المهجر مصلحتي جهلاً فأفسد مني كل ما صلحا البسيط ٦١
عقائل الحسي أم سرب المهاسنحا أفسدن ما كان بالسليوان قد صلحا البسيط ٦١

الذال

حتام أرغب في مودة زاهد وأروم قرب اليدار من متباعد الكامل ٦٢
إن خان عهدك من توده ونأى فلا يجزئك فقدته الكامل ٦٣
يا ملولاً قلما يرعى لمن يهواه عهداً الرمل ٦٤
مروع بالقل والصد ليس له صبر على الهجر والأعراض يسعده البسيط ٦٤
لا تحسبن اللوم أجدى بل زاده كلفا ووجدنا الكامل ٦٥
قل لمن لم يرع عهدي والذي ضيع ودّي الرمل ٦٥
حال عما عهدته من ودادي واعتدى في قطيعتي وبعادي الخفيف ٦٦

الراء

كم إلى كم أكاتم الناس وجدى ويظهر الخفيف ٦٦
أيرجع لي شرح الشباب وعصره وكيف رجوع الليل قد لاح فجره الطويل ٦٦
ما هاج هذا الشوق غير الذكر وزورة الطيف سرى من مصر الرجز ٦٧
دعاني إلى هجري بثينة حقبة من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر الطويل ٦٨
ويح العواذل لا خلاق لهم وهموا ولم تصدقهم الفكر السريع ٦٩
يا حاضراً بفؤاد ناء غائب والنجم أقرب من ملول حاضر الكامل ٦٩
واها لليل خلنتي من طيبه متفياً في ظل طير طائر الكامل ٧٠
هبوني كما زعموا مذنباً أسأت وقد جئت أستغفر المتقارب ٧٠
يا جائراً وهواي يعذره منك الذنوب ومني العذر السريع ٧٠
ما حيايتي في الملول يظلمني وليس إن جار منه لي جار المنسرح ٧١

البحر الصفحة

- ٧١ أضحى له البين المشت سرارا لا صبر لي عن بدر تم مشرق
 ٧١ وهو شمسي ضحى وفي الليل بدري أنا أفدي مغرى بصدي وهجري
 ٧٢ من ناقض العهد ينساني وأذكره من عاذر لي ومن للصب يعذره
 ٧٢ بك ووجهي للتجمل مسفر الكامل حتام قلبي بالكآبة مكمد
 ٧٢ مع النسك والتحلّم صبرا الحفيف من عذيري من شادن لم أطلق عند
 ٧٣ لك قلت لا والله ، عمري الكامل قالوا اتسلو عن حبيبي
 ٧٣ ماء الحيا من خده يقطر الكامل ظبسي تغار الشمس من حسنه

الشرين

- ٧٣ فهي صباح ينجاب عن غبش المنسرح لا ترتج النجح من مواعده

الصاد

- ٧٤ وعهوده في الحب ظل قالص الكامل يا من مودته سحاب زائل
 ٧٤ وملا لكم أملي بجد ناكص الكامل يا غادرين إلام ينشي هجركم

الضاد

- ٧٤ وتنسأى الذي مضى الحفيف صدّ عني وأعرضا

الطاء

- ٧٥ وأصون سرك راجياً أو قانطا الكامل لك أن أطيعك راضياً أو ساخطا
 ٧٥ قد جاء مستدركاً بالعدر ما فرطاً البسيط يقر بالذنب يجنيه فأحبه

الظاء

- ٧٦ والقلب أدنى الغدر يحفظه السريع أحفظتم قلبي بغدركم

العين

- ٧٦ فيه المؤمل للتقاضي موضعاً الكامل يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى

البحر الصفحة

أطيع هوى عصاء وهو يضلني وما أنا فيها للنهي بمطيع الطويل ٧٦

الفاء

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا البسيط ٧٧
ومهفف بي من تور جفونه سكر يقصر عنه سكر القرقف، الكامل ٧٨
لا تغتر بنحول خصر أهيف فالموت في حد الحسام المرفف الكامل ٧٨
مستغفر الذنب إن عدت إساءته وكلمها في الحشا يدمي وينقرف البسيط ٧٨
قل للوائم كفوا عن ملامكم فإنه يستثير الهمم والأسفا البسيط ٧٩
باحث بسرك أدمع تكف فالأم تنكر وهي تعترف السريع ٧٩
ما بالملاة حين تعرض من خفا إن لم تخن فابلغ رضاك من الجفا الكامل ٨٠

القاف

حتى متى يا قلب لا تستفيق حسبك قد حملت ما لا تطيق الرجز ٨١
قمر إذا عاتبته شغفا به غرس الحياء بوجنتيه شفيقا الكامل ٨١
انظر شاة عادلي وسروره بكسوف بدري واشتهار محافه الكامل ٨١
يئنه ما أعرضت عنك ملاة ولا أنا عما تعلمين مفيق الطويل ٨٢
له ليلتنا التي رحبت لنا فيها المرة في مجال ضيق الكامل ٨٢
يا لائمي انظر الى قمر في الأرض في وجناته شفق السريع ٨٢
وغزال في فيه راح أودر وعقيق رطب ومسك فتيق الخفيف ٨٣

الكاف

عاديئني حين عاديئ الوري فيكا هجر القل والتجني كان يكفيكا البسيط ٨٣

اللام

أما في الهوى حاكم يعدل ولا من يكف ولا يعدل المتقارب ٨٤
قالوا: فلاك وملا فقلت: حاشا وكلا المجتث ٨٦
كم ذا التجني وكثرة العلل لا تأمنوا من حوادث الملل المنسرح ٨٦
قل للملول الذي أعيا تلونه ترى ملالك هذا غير مملول البسيط ٨٦
كيف الخلاص لقلبي من يدي قمر أسير ناظره بالوجد مغلول البسيط ٨٧

البحر الصفحة

- أحبابنا إن كان هجركم
يلومونني في حب ليل وإني
ما خطر السلوان في بالي
وإذا مررت على الديار فقف بها
نفسى الفداء لمن يعاتبني
نفسى الفداء لمن يعاتبني
كتمت بشي غير ان لم أطق
- غدرا فودي غير منتقل السريع ٨٧
لأكرمها عن عرضة اللوم والعذل الطويل ٨٧
فما الذي أطمع عدالي السريع ٨٨
واسأل معالمها بدمع سائل الكامل ٨٨
فأسد فاه العذب بالقبل السريع ٨٩
وفمي على فمه يقبله السريع ٨٩
كتمان فيض المدمع الهامل السريع ٨٩

الميم

- ولو اقلها رجونا عدلهم ظلموا
أقصر فلومي في جهم لم
لا تستعر جلدأ على هجرانهم
قل لمن ناء بالجمال علينا
جفون تستهل دما
مل وأبدي تجهم السأم
يا ناسياً عشرة التصافي
يرييني ما أرى منكم ويعطفني
أجب دواعي الهوى بالأدمع السجم
ما أنصفوا في الحب إذ حكموا
قسما بمن لم يبق خو
قولاً لذا الغضب ان يا ظلماً
لما رأوا وجدي بهم تجرموا
- فليتهم حكموا فينا بما علموا البسيط ٩٠
وناصح العاشقين متهم المنسرح ٩٠
فقواك تضعف عن صدور دائم الكامل ٩٢
ما عسى دولة الصبا أن تدوما الخفيف ٩٢
وجسم مشعر سقما الوافر ٩٢
وضاع ودي في الظن والتهم المنسرح ٩٣
وخافراً حرمة الذمام البسيط ٩٣
إلى هواكم وفاء لست أسأه البسيط ٩٣
وبح فما الحب في حال بمكتم البسيط ٩٤
سلوا وقلبي بهم مغرم السريع ٩٤
ف رقيه لي منه قسما الكامل ٩٥
يغضب أن أدعو على ظلمي السريع ٩٥
وألزوموني الذنب والجاني هم الرجز ٩٦

النون

- محيا ما أرى ام بدر دجن
إصلاح قلبك اعيناني فأحياني
يا رب خذ بيدي من ظلم مقتدر
إذا أوحشتني جفوة الخلل ردي
بالله يا مغرى بهجراني
إلى كم أرحم فيك الظنونا
زدني جوى يا جهم وأضلني
- وبارق مسم أم برق مزن الوافر ٩٦
والياس منك الى السلوان الجاني البسيط ٩٧
على قد لجح في صدي وهجراني البسيط ٩٨
إليه وفاء بالأخاء ضنين الطويل ٩٨
ويا مبيح الدمع أجفاني السريع ٩٨
وأدفع بالشك عنك اليقينا المتقارب ٩٩
يا مرشدي عن منهج السلوان الكامل ٩٩

البحر الصفحة

- أيا هاجراً كلما زدت في
يا معرضاً راضياً وغضباناً
يا فتنة عرضت لي بعد ما عزفت
أحببتها في عنفوان الصبا
خضوعي له زاد هجرانه المتقارب ٩٩
وهاجري هاجماً ويقظانا المنسرح ١٠٠
نفسى عن اللهو واقتاد الهوى رسنى البسيط ١٠٠
وقلت إن الشيب يسلينى السريع ١٠٠

الهاء

- يا هلالاً إذا تبدى يراه الـ
قل لمن أوحش بالهجر
تحفى على ذنوبه في حبه
نبئت انهم بعد العباد نسوا
حوري لا يمل رأؤه منه الخفيف ١٠١
جفوني من كراها الرمل ١٠١
ويرى ذنوبي قبل أن أجنها الكامل ١٠٢
عهدي وقالوا مضى أمن بما فيه البسيط ١٠٢

الياء

- يغالطني فيكم هواي فأنشي
يا سائلي عما يبه
يا قمر أعجب ما فيه
إليكم على إنكار ما قد بدا ليا الطويل ١٠٣
سر المحب علانيه الكامل ١٠٣
در بديع النظم في فيه السريع ١٠٣

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

- أحبابنا من غاب عمن يوده
ألمياء إن شطت بنا الدار عنوة
يا أمري بالصبر إ
يا دهر مالك لا يصد
علام يا دهر بالعدوان تحبني
رمتنا الليالي بافتراق مشتت
إلى الله أشكو عيشة قد تنكدت
إلى كم أعني بالسرى والسبابس
أميت مثل الشمع يشرق نوره
فسيان عندي بعده واقتراه الطويل ١٠٤
فدارك أجناني القريحة والخلب الطويل ١٠٤
ن البين موعده الغروب الكامل ١٠٥
ك عن إساءتي العتاب الكامل ١٠٥
في غير جنسي ولم أفتد ولم أغب البسيط ١٠٦
أشت وأنأى من فراق المحصب الطويل ١٠٦
علي ودهراً قد ألحت نوابه الطويل ١٠٦
ويصدع شملي بالنوى والنوابس الطويل ١٠٧
والنصار في أحشائه تلهب الطويل ١٠٧

الجيم

- لم ينهه العذل لكن زاده لهجا
والعذل مما يزيد المستهام شجى البسيط ١٠٧

البحر الصفحة

الحاء

- ١٠٨ كتم الجوى القلب القريح
يا نازحين واصطباري والأسي
- ١١٠ فاذاعه الدمع الفضوح الكامل
يجم ذا دمعي وهذا ينزح الكامل

الذال

- ١١٠ مغناك سارية العهد الكامل
١١١ هيهات ليس لمستهام مسعد الكامل
١١٢ لا جزعي مسعدي ولا جلدي المنسرح
١١٢ عسى جمرات في الجوانح محمد الطويل
١١٣ جحد الغرام فأنبتته شهوده الكامل
١١٣ ورد بيأس كاشح وحسود الطويل
١١٤ لبغضهم نار تلظى وقودها الطويل
١١٤ ضلوعي عما تحتهم من الوجد الطويل
١١٤ سبيله عنك فاسأل عنه من فقدا البسيط
١١٥ النفوس فيها من اللذات موجود البسيط
١١٥ جوى أو رآه البعد رق لي البعد الطويل
١١٥ نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد الطويل
١١٦ جرت بنجيع فوق خدي مزبد الطويل
١١٦ فما تشكي من أليم الوجد الرجز
١١٦ وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز
- يا دار إن بخلت على
أنظن صبرك منجداً إن أنجدوا
ما ينكر الأخليات من كمدي
دعوني أبح ما مثل وجددي يجحد
أيلام مسلوب الفؤاد فقيده
ولما تصافينا وأخلص ودنا
أسير إلى أرض الأعادي وفي الحشا
إذا مر ذراكم بقلبي تضايقت
عليك بالصبر يا قلبي فإن خفيت
هب أن مصر جنان الخلد ما اشتهدت
بنفسي بعيد الدار بي من فراقه
تساءت بنا عن أرض نجد وأمله
أقول لعيني يوم توديعهم وقد
قد مرنت قلوبنا على النوى
أنهم فيكم لاثمي وأنجدا

الذال

- ١١٨ ظام يحوم عليهم ويلود
صدوه وهو صدى الفؤاد إليهم

الراء

- ١١٨ ما يستزير الطيف طرف ساهر الكامل
١١٩ ومالت بهم عتًا خطوبٌ وأقدار الطويل
١٢٠ فعلام قلبك ليس تحبو ناره الكامل
١٢٢ فليس له نهى عليه ولا أمر الطويل
- لا غرو إن هجر الخيال الزائر
تساءوا وما شطت بنا عنهم الدار
ما أنت أول من تساءت داره
أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر

البحر الصفحة

١٢٤	الطويل	سوى أنسي باق وليي حاضر	أحبابنا ما أشتكي بعد بعدكم
١٢٤	البيط	بكاء عن لذة التوديع والنظر	يا عين في ساعة التوديع يشغلك الـ
١٢٥	البيط	ولا أجالتك خلواتي بأفكاري	يا مصر ما درت في وهمي ولا خلدي
١٢٥	الكامل	فقد ترى قلة أنصاري	يا غائبين رجاي طيب العيش مذ بنتم غرور
١٢٥	البيط	جفوني وأذكت بالهموم ضميري	يا صمع أنجدني على بعدهم
١٢٦	الطويل	وراجعني حلمي ووازرني صبري	إلى الله أشكو فرقة دميت لها
١٢٦	الطويل	بسمعي عن غير اعتماد لكم ذكر	وجدد وجددي بعد ما كان قد عفا
١٢٧	الطويل	ومثلهم لقلبك الفكرة المنسرح	كأنسي عجول أو تكول إذا جرى
١٢٧	الطويل	ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر	ناوأ فأذنتك منهم الذكر
١٢٧	الحفيف	فارغ البال من همومي وفكري	غرضت من الهجران والشمل جامع
١٢٧			وصف الصبر لي جهول بأمرني

الضاد

١٢٨	الكامل	ودعته حذرا بطرف معرض	في ذلك الحي المعرض لي هوى
-----	--------	----------------------	---------------------------

الطاء

١٢٨	الطويل	ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا	أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا
١٣١	الطويل	مساغاً ولا طول البكاء يميطة	إلى الله أشكو من جوى لم أجد له

العين

١٣١	الكامل	نفس تقوم له حنايا أضلعي	أحبابنا لي عند خطرة ذكركم
١٣٢	البيط	وفي التجارب بعد ألغي ما يزع	يا قلب دعهم فقد جربت غدرهم
١٣٢	الرجز	مروعاً بالنوى	إلى متى أمسي وأضحى
١٣٢	الكامل	ومضان ذاك البارق اللعاع	أرأيت بين معاطف الأجرع
١٣٢	الكامل	شوق دعا أفلا أوجب الداعي	ما أنكروا من عزمتي وزماعي

الغين

١٣٣	الكامل	يصني إلى نصح ووعظ بالغ	يا لائم المشتاق دعه فقلما
-----	--------	------------------------	---------------------------

الفاء

- ١٣٣ إذا تبدت لعيني هيجت أسفي البسيط
 ١٣٤ ف المشوق الصب عنف الكامل
 ١٣٤ دام التذاني والجفا الرجز
 ١٣٥ إن الكرام إذا استعظمتهم عطفوا البسيط
 ١٣٦ فكيف يصبر عنهم قلبك الكلف البسيط

القاف

- ١٣٧ لصفاهم من ودنا ما رنقوا الكامل
 ١٣٨ غير جميل بمثلك الخرق المنسرح
 ١٣٩ أم ما يريك من أحناني الدفق البسيط
 ١٤٠ وطرفي وقلبي أدمع وخفوق الطويل
 ١٤٠ فليت منه بهجرة وفراق الكامل
 ١٤٠ هو دونكم بالبين يشقى الكامل
 ١٤٠ فاضت بدمع على الخدين مستبق البسيط
 ١٤١ من راحل شاك جوى أشواقه الكامل
 ١٤١ دليل وقد ضلت على طريقه الطويل
 ١٤١ فأننا المواصل بالوداد الصادق الكامل
 ١٤٢ فها لها قصرت عن جمع ما افترقا البسيط
 ١٤٢ بالأبرقين فأين أين الملتقى الكامل
 ١٤٢ حسيك قد هجت الجوى والأشواق السريع
 ١٤٣ هل لنا بعد افتراق ملتقى الرمل
 ١٤٣ زاد الدنو صابتي وتشوقي الكامل
 ١٤٣ اليها على قرب الزيارة شيق الطويل
- لو أحسنوا في ملكنا أو أعتقوا
 يا قلب كم يستخفك القلق
 ماذا يروعك من وجدي ومن قلقي
 ولما وقفنا للوداع عشية
 ألف القل وأجاب داعية النوى
 رفقا بقلب الصب رفقا
 أقول للعين في يوم الفراق وقد
 من مبلغ النائي المقيم تحية
 أحبابنا ما لي إلى الصبر عنكم
 إن تقطع الأيام منك علائقي
 طالت يد البين في تضريق ألفتنا
 بالغور أهلك يا بشين وأهلنا
 كم ترزمني وكم تحمني يا ناق
 ليت من يسأل جيران النقا
 أشتاقكم فإذا نظرت إليكم
 خليلي زورابي رويقة إنني

الكاف

- ١٤٤ طلق وقلبي كتيب مكمد باك البسيط
 ١٤٤ من غبت عنه وغاب عنك الكامل

اللام

- ١٤٤ أسراره يوم النوى للعدل الكامل

لا ذنب للصب المشوق إذا بدت

البحر الصفحة

- ١٤٥ البسيط والبين يعجب من وجدتي ومن عجل نفسي الفداء لمن قبلته عجلا
١٤٥ البسيط لم يرو غلته بالعلل والنهل ونازح في فؤادي من هواه صدى
١٤٥ الطويل بذكركم روح الحياة عدول بنفسي عدول لام فيكم فرد لي

الميم

- ١٤٦ الكامل إلا ليعلمن سرك المكتوم ما استجهلتك معالم ورسوم
١٤٧ الكامل أن تسعدا فذرا الملامة إن لم تطيقا يوم رامة
١٤٨ الكامل ذا مبطل ما الكتم شيمة هائم إن لم أبح بهواك قلن لوائمي
١٤٨ الطويل صروف الليالي أفردتني بالهم أحببنا مذ أفردتني منكم
١٤٨ البسيط وجداننا كل شيء بعدكم عدم قل للذين نأوا والقلب دارهم
١٤٩ الكامل وصبرت عنه والحشا يتضرم كم قد جزعت لبين من فارقه
١٤٩ الطويل على غصن في غيضة تترنم وهاج لي الشوق القديم حمامة
١٤٩ الوافر علي ولم يطل ليل النيام سهرت بخزيرت فطال ليل
١٤٩ الكامل كل الهوى جبل أشم بهيم ما لي وللجبل الأغر وإنما

النون

- ١٥٠ الرمل ذكر الآلاف والوصل فحنا ما يريد الشوق من قلب معني
١٥١ الرجز وأعلنني الوجد الذي تجنى يا ناق شطت دارهم فحني
١٥٢ الكامل سحت فباحث بالهوى أشجانه اعلمت ما فعلت به أجفانه
١٥٤ البسيط ناء عن الأهل والأوطان والسكن أهكذا أنا باقي العمر مغترب
١٥٤ الكامل أبداً فلا وطن ولا خلان أين السرور من المروع بالنوى
١٥٤ الكامل شطرين بين شثونه وشجونه قسم الهوى دهر المزرع بالنوى
١٥٥ البسيط قد أقفرت بعد سكان وجيران منصور دارك أضحت منك موحشة
١٥٥ الطويل أنيس ولا في طارق الخطب أعوان وقد أفردتني الحادثات فليس لي

الهاء

- ١٥٥ الطويل ورداه في الهوى وغلوه سلا قلبه ما غال حسن سلوه
١٥٦ الطويل له علل من بردها لم يروه ألا من لصاد والموارد حمة
١٥٦ البسيط وأمر صبري بعد البين مشبه بكاء مثلي من وشك النوى سفه
١٥٧ البسيط كم ذا الحنين إلى من أنت مثواه يا قلب رفقا بما أبقيت من جلدي
١٥٧ السريع كوجد من فارق روح الحياة ما وجد من فارق أحبابه
١٥٨ الكامل لو كان يوجد مثله خلق الهوى بأبي هوى فارقه ولثله

المكاتبات والمعاتبات

الهمزة

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى
فليلي وصبحي في الظلام سواء الطويل ١٥٩

الباء

لم يبق لي في هواكم أرب
سلوتكم والقلوب تنقلب المنسرح ١٥٩
وقد كنت أرجو أن أراك وبيننا
مفاوز أذناها الشناخيب والسهب الطويل ١٦٠
تبذل حتى قد مللت عتابه
وأعرضت عنه لا أريد اقترابه الطويل ١٦٠
أيا نازحاً لم أحتسب بعد داره
وقد كان لو نلت المنى قربه حسبي الطويل ١٦٠
يا من به سلوتي عن كل مفتقد
ومن مودته أدنى من النسب البسيط ١٦١
أيا غائباً يدنيه شوقني على النوى
لأنت إلى قلبي من الفكر أقرب الطويل ١٦١
وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم
ولا رضيت بعد السديار من القرب الطويل ١٦٢
لئن فرق الدهر المشتت شملنا
فأصبحت في شرق وأمسيت في غرب الطويل ١٦٤
أبا البركات لي مولى جواد
مواهبه كمنهل السحاب الوافر ١٦٤
لي صديق أفضي إليه بسري
وتجايأ صدري ومكتون قلبي المديد ١٦٤

التاء

وما أشكو تلون أهل ودي
ولو أجدت شكيتهم شكوت الوافر ١٦٥

الثاء

أيا منقذي والحادثات تنوشني
ودافع همي إذ ترادف بعثه الطويل ١٦٥

البحر الصفحة

يا ثانياً للنفس وهـ و لناظري أعز ثالث الرجز ١٦٦

الذال

يا من هواه على التنا ئي والتداني في ازدياد الكامل ١٦٧
 أساكن قلبي والمهامه بينا وإنسان عيني والمزار بعيد الطويل ١٦٨
 أبا حسن وافى كتابك شاهرا صوارم عتب كل صفح لها حد الطويل ١٦٨
 ألا أبلغنا عني أناساً صحبتهم فما حفظوا عهداً ولا راعوا الودا الطويل ١٦٨

الراء

أحبابنا خطب التفرق شاغل عن العتب لكن جاش بالكمد الصدر الطويل ١٦٩
 وكتاب منك فاجأني كشير جاء بالظفر المديد ١٧٠
 يا بعيداً أحله الشوق قلبي وناظري الخفيف ١٧٠
 يكأثر ماء الرزم عند أدكاركم دموعي ولكن ذا برود وذى قطر الطويل ١٧٠
 أشمس الدولة اسمع بث شوق يضيق بمثله ذرع الصبور الوافر ١٧١
 أحبابنا ما مصر بعدكم مصر ولكنها قفر إليكم بها فقر الطويل ١٧١
 تذكره أحبابه الأنجم الزهر فيا ويحه ماذا به صنع الذكر الطويل ١٧١
 لأشكرن اهتماماً منك يذكرنى في البعد حتى كأنى مصقب الدار البسيط ١٧٢
 أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرح زاخر الكامل ١٧٣

السين

كتابي ولولا أن يأسى قد نبى اشتياقي لذاب الطرس من حر أنفاسي الطويل ١٧٣

العين

ما لي وللشفعاء فيما أرتجي من حسن رأيك في وهو شفيعي الكامل ١٧٤

البحر الصفحة

نظام الدين لا سقيا لخطب رمانا بالنوى بعد اجتماع الوافر ١٧٤

الفاء

مواصلتي كسبي إليك تزيدني
وايتزني رأي عز الدين مستلما
لكنني أشكو قوارص من
تلقائهم قلبي لها يجف السريع ١٧٦

إليك اشتياقا بل عليك تأسفا الطويل ١٧٤
من بعد ما عمني إحسانه وضا الطويل ١٧٥

القاف

يا بن الألى جمع الفخار لبيتهم
إيهأ بحقك مجد الدين تعلم أن
أحبابنا هلا سبقتم بوصلنا
بعدت مسافة بيننا وتوحشت
أبا حسن لولا التعلل بالمتى
لا تفسدن نصيحتي بشقاق
أتظن أني بعد بعدك باقي
يا راكب الشدنية الغيداق
قد كنت أحسب أن أمسد منتهى أمد الفراق الكامل ١٨٥

ضياء الدين ما شوق دعاني
كم إلى كم يلحى المحب المشوق
نظام الدين كم فارقت خلا
أبا الحارث أسلم من حوادث دهرنا

ما شتوه من العطاء وفرقوا الكامل ١٧٧
الصبر عنك أو السلوان من خلقي البسيط ١٧٩
صروف الليالي قبل أن تنفرقا الطويل ١٨٠
حتى على طيف الخيال الطارق الكامل ١٨١
قضى كمدا قلب إليك مشوق الطويل ١٨١
وأبيك ما السلوان من أخلاقي الكامل ١٨١
أجزى عن الأشواق بالأشواق الكامل ١٨٣
ومتابع الزملان بالإعناق الكامل ١٨٣

فأسمعني بمصر من العراق الوافر ١٨٥
وهو من سكرة الهوى لا يفيق الخفيف ١٨٦
وكم صليت حشاي لظى اشتياق الوافر ١٨٧
ومن حر أنفاس المشوق المفارق الطويل ١٨٧

اللام

أبا حسن قدران بعد بعدكم
على القلب هم ما أراه يزول الطويل ١٨٨

البحر الصفحة

- ١٨٨ وافي كتابك مفتوحاً فبشرني
بفتح سبل اللقاء الزجر والقال البيط
- ١٨٩ وما استقلت بكم للين أجمال البيط
يا خير من علقت كفي مودته
- ١٨٩ وصدقت لي في علياء آمال البيط
أين سمعي عما يقول العذول
- ١٩٠ أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف

الميم

- ١٩١ أغرى الزمان بكم عرامه الكامل
أبني السرى والبيد لا
- ١٩١ سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام البيط
وكيف أشكر من أسدى إلى يدا
- ١٩٣ وما كذا يفعل الإخوان والخدم البيط
قصرت في خدمي تقصير معترف
- ١٩٤ حتى يخلصه السلطان والحكم البيط
يلط بالدين من مولاة مسلمه
- ١٩٤ وبالمودة منكم إنها رحم البيط
أقسمت بالجود منا إنه قسم
- ١٩٦ والعيس تعجز عما تدرك الهمم البيط
يا راكباً تقطع البيداء همته
- ١٩٩ يغني ندى كفه عن وابل الديم البيط
يا ناصر الدين يا بن الاكرميين ومن

النون

- ٢٠٠ أوطانها ونبت به أوطانه الكامل
هذا كتاب فتى أحلته النوى
- ٢٠٠ حنين ألوف بان عنها قرينها الطويل
أحن إليكم والمهامه بيننا
- ٢٠١ عني عوادي الهم والأشجان الكامل
نصي الفداء لمن أودود بذكروه
- ٢٠١ وفي شيزر أحبابه وشجونه الطويل
وإن امراً أضحى بإربل داره

الهاء

- ٢٠١ وإن أغب صدعني معرضاً ولها البيط
إن ألقه سره قربي وآسه

الياء

- ٢٠٢ قدحت زناداً في الجوانح واريا الكامل
وافي كتابك معلناً بملامة

٤

الأوصاف

الباء

رقصت أرضه عشية غنى الر
عد في الجو والكريم طروب الخفيف ٢٠٣

الذال

وصاحب لا تمل الدهر صحبته
يشقى لنفمي ويسعى سعى مجتهد البسيط ٢٠٣

العين

أنيسي في ليل القطيعة مشهي
نحولا وتسهيذا ولونا وأمعا الطويل ٢٠٤
ومفردة تبكي إذا جن ليلها
خفاتا وفي أحشائها النار واللذع الطويل ٢٠٤

القاف

وصل عنك الهموم إن طرقت
بينت كرم في الكأس تأتلق المنسرح ٢٠٤
أعجب لمحتجب عن كل ذي نظر
صحبته الدهر لم أسبر خلاته البسيط ٢٠٥

الميم

وافتك حالكة السواد يخالها
صنع الشباب الناظر المتوسم الكامل ٢٠٥

٥

الملح

الباء

قولا لريم في حلة العرب
إليك أشكو ما يصنع اسمك بي المنسرح ٢٠٦

الشاء

متى أرى الطوبان قد مهدت حيطانه السود المحارث السريع ٢٠٧

الراء

شبيهة حبات القلوب لك الهوى وهبل لفؤاد عن سويدائه صبر الطويل ٢٠٧
انظر إلى الأيام كيف تقودنا قرأ إلى الإقرار بالأقدار الكامل ٢٠٧

الشين

أميرنا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات منكمش البسيط ٢٠٨

الصاد

رمان مصر كأنه ذرة أكله شاخص من الغصص السريع ٢٠٨

القاف

إذا صاحبت عمراً في طريق فقد سايرت ظلك في الطريق الوافر ٢٠٨

اللام

عابوا هوى شادن في رجله قصر من سكر الحاظه في مشبه ثمل البسيط ٢٠٩

الميم

نزلت بأرض بالسوا وهي حصن علا حتى تمتطق بالنجوم الوافر ٢٠٩
عتيق كالهلال إذا تبدي لساري الليل من تحت الغيوم الوافر ٢١٠

النون

يا ساكني جنة رضوان خازنها العيش في روج وريحان البسيط ٢١٠
وصفوا لي بغداد حيناً فلما جتها جئت أحسن البلدان الخفيف ٢١١

المديح

الباء

- ٢١٢ وأغنى غناء الغيث حيث يصبوب الطويل
 ٢١٢ ر دوني عذب المياه شروب الخفيف
 ٢١٤ فشوقي إليكم لا يغيب الخفيف

الجيم

- ٢١٧ ويا حمى من إليه في الخطوب لجأ البسيط
 يا منتهى الأمل امتدت مطارحه

الحاء

- ٢١٨ في سيره عن مسير العاصفات وحى البسيط
 فيا أخا العزم يطوي اليد متصلنا

الذال

- ٢١٨ فكيف بالوصل للمستهتر الكمد البسيط
 كناس سرب المها عريسة الأسد

الراء

- ٢١٩ ومقيل جدي وهو كاب عائر الكامل
 ٢٢٠ واعتلاء على الأعادي وقهر الخفيف
 ٢٢١ خان ويدي النور للمتور الطويل
 ٢٢١ ويرى الثناء أجل ذخر يذخر الكامل
 ٢٢٢ الح لا تهدي له الغير المنسرح
 ٢٢٣ بشكر يفغم الأفاق نشر الوافر
- يا منقذي ويد الزمان توشني
 كل يوم فتح مبين ونصر
 صديق لنا كالليل يستر الد
 يا من يهين المال في كسب العلا
 لكن مكاني من أنعم الملك الصالح
 سأرحل عن جنابك غير قال

السين

- ٢٢٣ أيامنا بشر الزمان العابس الكامل
 لله درك من فتى أبدت به

الطاء

ومن علقتهُ بالصالح الملك كفه
فليس له دون العلا والغنى شرط الطويل ٢٢٤

العين

لئن شئت أيدي الحوادث شملنا
فوجود أبي الغارات للشمل جامع الطويل ٢٢٨
فإليك بنت الفكر من بعد المدى
تهدي فشرها بحسن سماع الكامل ٢٢٨

الفاء

هو الجواد الذي يلقاه مادحه
وإن غلا فوق ما أنسى وما وصفا البسيط ٢٢٩
من كان لي من حماء خيس ذي لبد
ضار ولي من نداه روضة أنف البسيط ٢٢٩
أدابك الغر بحر ما له طرف
في كل سمع بدا من حسنه طرف البسيط ٢٣١
دع ذا وقل لبني الآمال قد وضحت
لكم سبيل الأمانى وانجلى الأسف البسيط ٢٣٣
علومك البحر غمرا ليس تنتزف
أساعنا لمعاني درها صدف البسيط ٢٣٥

القاف

تهمي مواهبه والسحب جامدة
فمن يديه مصاب الوابل الغدق البسيط ٢٣٨
مثل منهل أنعم الملك الصا
لح يروي دان به وسحيق الخفيف ٢٣٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل
يرفع للشبه ذوي الجهل السريع ٢٣٩
أبا حسن في طي كل مساءة
من الله صنع للعباد جميل الطويل ٢٣٩
يا مستقل الغنى فيما تجود به
ومن مواهبه كالعارض المظل البسيط ٢٤٠
فتي التجى إليه من الخط
ب وذخري إن غال وفري غول الخفيف ٢٤١
زدني علا لا أرتضي باللهمي
حسي ما نولت من مال السريع ٢٤٢
والجور في حكم الصباة جائر
بخلاف أحكام المليك العادل الكامل ٢٤٢

الميم

وسر إلى بحر خضم له
من عزمه سيف وغى مخذم السريع ٢٤٣

البحر الصفحة

٢٤٣	المتقارب	سات لأمر عرا ومهم ألم	دعوتك يا عمر المكرم
٢٤٤	البيط	قضاء فرضك عما فات من خدمي	لو استطعت ولو ملكت أمري في
٢٤٤	البيط	أخلاقك الغر يا ذا البأس والتعم	خلقت تحلى به سلمان بينك من
٢٤٩	السرير	سهل فما في منه منّ	يا منعماً مورد إحسانه

٧

الافتخار

٢٥٠	الطويل	ضلالاً لما ظنوا وهل يكسد التبر	أظن العدا أن ارتحالي ضائري
٢٥١	الطويل	لتحيا بنا السدينا : ويفتخر العصر	أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر

الفاء

٢٥٦	السرير	فيه على ما رابني صلف السريع	يأبى احتمال الضيم لي خلق
-----	--------	-----------------------------	--------------------------

اللام

٢٥٧	الكامل	مالي أبى لي أن أعد بخيلا الكامل	جودي بموجودي على النكبات في
-----	--------	---------------------------------	-----------------------------

٨

الحماسة

الهمزة

٢٥٨	الطويل	مراراً ولكن ما الدماء سواء	قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم
-----	--------	----------------------------	-----------------------------

الباء

٢٥٨	السرير	قواي عن سعي الى الحرب السريع	رجلاي والسبعون قد أوهنت
-----	--------	------------------------------	-------------------------

الجيم

٢٥٩	الكامل	ثبتت أواخي ملك كل متوج الكامل	أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم
-----	--------	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لخمس عشرة نازلت الحكمة إلى أن شبت فيها وخير الخيل ما قرحا البسيط ٢٥٩

الذال

ولكنني ألقى الحوادث وادعا بقلب أريب بأسه يتوقد الطويل ٢٥٩
يا عجباً من وشك بين ما رغت فيه مطايانا ولا الحادي حدا الرجز ٢٦٠

السين

سل بي كمة الوغى في كل معركة يضيق بالنفس فيها صدر ذي الباس البسيط ٢٦١

الطاء

ولكن قضت فينا الليالي يجورها وعادتها كفر الفضائل والغمط الطويل ٢٦١

الفاء

إن يجسدوا في السلم منز لتي من العز المنيف الكامل ٢٦٢

القاف

قلبي وصبري إلفان مذ خلقا تقاسما صادقين لا افترقا المنسرح ٢٦٢
قالوا ترشفت الليالي مائه واغتاله بعد التمام محاق الكامل ٢٦٣

اللام

قل لابن منقذ الذي قد حاز في الفضل الكمالا الكامل ٢٦٣
يا أشرف الزوراء أخلاقا وأكرمهم فعالا الكامل ٢٦٥
يجهل في الإقدام رأبي معاشر أراهم إذا فروا من الموت أجهلا الطويل ٢٦٨
قل للخطوب إليك عني إن لي في الخطب عزماً مثل حد المنصل الكامل ٢٦٩

الميم

إذا ضاق بالخطى معترك الوغى وهال الردى وقع الظبا في الجاجم الطويل ٢٦٩

البحر الصفحة

- ٢٦٩ بجيدي مثل أطواق الحمام الوافر
 ٢٧٠ وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم الطويل
 ٢٧٤ فمن حاتم ما نال ذا الفخر حاتم الطويل

النون

- ٢٧٨ ولا تملك العين الحسان عناني الطويل

الهاء

- ٢٧٩ همتي أن تنال مني مناها الخفيف

٩

الأدب

- ٢٨٠ فكل دهرك خطب المجتث
 ٢٨٠ ت، لما غال من نشبي وانتهب المتقارب
 ٢٨١ حتى يرى غير ما قد كان يحسه البسيط
 ٢٨١ في غيه والفود شائب الكامل
 ٢٨١ ونهاني عن التصابي المشيب الخفيف

الحاء

- ٢٨٢ شهد جته يد السواد الناصح الكامل
 ٢٨٢ تظفر بحسن سكينه ونجاح الكامل

الخاء

- ٢٨٢ علت بهم رتب الدنيا وإن شمخوا البسيط
 ٢٨٣ عيسى محمول معرسي ومناخي الكامل

الذال

- ٢٨٣ انظر بعيشك هل ترى أحداً يدوم على المودة الكامل

البحر الصفحة

٢٨٣	على فعل الخير والوجود السريع	عندي للأيام إن أقبلت
٢٨٤	وقد يخذع اليقظان من هورائد الطويل	تيقظ فمن يشناك يسهر ليله
٢٨٤	أظلم بها بعد المات مخلدا الطويل	سأنفق وفري في اكتساب مكارم
٢٨٥	وخيرته لم تلفه بالشاهد الكامل	لا ترغبن فيمن إذا شاهده
٢٨٥	إلى كرماء الناس أشهى من الجدا الطويل	تلق ذوى الجاحات بالبشر إنه
٢٨٥	مما تخاف ومن معاندة العدا الكامل	ارض الخمول تعش به في نجوة
٢٨٥	نوائب وملها لحت عودي البسيط	ما كف كفي عن جودي بموجودي

الراء

٢٨٦	بما يسوء فصبرا المجتث	إن فاجأتك الليالي
٢٨٦	قن بقلب محتسب صبور الكامل	ألق الخطوب إذا طر
٢٨٦	إن الكريم على الحوادث يصبر الكامل	استرهمومك بالتجمل واصطبر
٢٨٧	و فأمّن كيدهم غرر الكامل	لا تأمنن كيد العد
٢٨٧	في محتدى ورع وطيب نجار الكامل	عش واحداً أو فالتمس لك صاحباً

السين

٢٨٧	وأنفقت مالا لا تجود به النفس الطويل	يقولون لي أفنيت كل ذخيرة
-----	-------------------------------------	--------------------------

الشين

٢٨٨	أبوابه متكسب ومعاش الكامل	إياك والسلطان لا يدنيك من
٢٨٨	إذا مضى الخفيف	كل مستقبل من الهـ
٢٨٨	إذا نهضا البسيط	أصبحت كالنسر خاتنه قواده

العين

٢٨٩	بعزيمة في الخطب لا تتضعع الكامل	لا تستكن لهم وائن جماعه
-----	---------------------------------	-------------------------

الفاء

٢٨٩	لا زابلتكم حسرة وتلفه الكامل	قل للذين يسهم ما ساءنا
-----	------------------------------	------------------------

البحر الصفحة

السلام

٢٨٩	الوافر	وتستجدي نوالا من بخيل	إلى كم ترجمي عطف الملول
٢٩٠	الطويل	على شعث الخلان مستبدلا خلا	وإني لعصاء العواذل لا أرى
٢٩٠	الرميل	جد بي عنك الرحيل	أيها الربع المحيل
٢٩١	الطويل	عناني أو زلت بأخصي النعل	أثن غض دهر من جمحي أوثنى
٢٩١	الطويل	لأنف ألا يدرك السؤل سائل	توالى إلى السائلون وإني
٢٩٢	البيسط	وما بأيديهم رزقي ولا أجلي	علام أخضع في الدنيا لمن رفعت
٢٩٢	السريع	دهري بما أذهب من مالي	إن سر أعدائي أن عضني

الميم

٢٩٢	البيسط	بها ولم أسل في حال عن الكرم	سلوت عن كل حال كنت ذا شغف
٢٩٢	الطويل	وللجار ما تفكك نهباً مقسماً	لنا هجمة للحق إن ناب والقرى

النون

٢٩٣	الرجز	فالقلب أولى بالذي أجنا الرجز	لا تودعن سمع أخ شكية
-----	-------	------------------------------	----------------------

الهاء

٢٩٣	البيسط	أدعوه وأعصيه البيسط	ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي يطيعني حين
-----	--------	---------------------	---

الياء

٢٩٣	الكامل	بالبرايا الكامل	لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
-----	--------	-----------------	---------------------------------------

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

٢٩٥	الحفيف	لرجونا عنه جزيل الثواب الحفيف	لو صبرنا على البلاء احتساباً
-----	--------	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

٢٩٥	البيسط	سواي بي ولي الأوصاب والنصب	حسبي من العيش خير العيش يدركه
٢٩٥	البيسط	يرى مكان الأعادي من ذوي النسب	بعدا لمن شرع أعمى يصيب ولا
٢٩٦	المتقارب	ر وطابت وما خلتها لي تطيب	ألفت الكجاة بعد النفو
٢٩٦	البيسط	أيامه وهو بالإحسان مقرب	أما ترى الماجد المفضال ترفعه
٢٩٦	الكامل	ذا قد تملكها وهذا يسلب	شاهدت غملا قد تجاذب زهرة

الجيم

٢٩٦	البيسط	تكون يأتيك لطف الله بالفرج	يا الف المهم لا تقنط فأياس ما
٢٩٧	الكامل	أجدي من المتسرع الهلجاج	ثقل إذا ناديتني للممة

الحاء

٢٩٧	البيسط	ما نال ذو الجهل دون الحازم المنحا	لولا الذي جرت الأقلام قبل به
-----	--------	-----------------------------------	------------------------------

الذال

٢٩٧	الكامل	وأخو المشيب يجور ثمت يهتدي	قالوا هته الأربعون عن الصبا
٢٩٨	الكامل	فود الجنين ويهرم المولود	أصبحت في زمن يشيب لجوره
٢٩٨	البيسط	بالسباحات بحار المهمة البيد	ودع أخا العزم مصرأ لا ليس وخض
٢٩٨	الوافر	وأم الغدر في الدنيا ولود	صديق لي تنكر بعد ود
٢٩٩	البيسط	دهري فعشت وحيداً ميتاً كمدا	مضت لداتي وإخواني وأفردني
٢٩٩	الخفيف	تنظر العاجز الخطوظ فيستعمل وتعمى عن حازم محدود	تنظر العاجز الخطوظ فيستعمل وتعمى عن حازم محدود

الراء

٢٩٩	البيسط	فالشمس أدنى سحب عن يسترها	أن يسترها وجه إحساني بكفرهم
٢٩٩	البيسط	فضائي بين بدو الناس والحضر	إن كنت في مصر مجهولاً وقد شهرت
٣٠٠	الطويل	يدي ولساني عن نوال وعن أمر	كفى حزناً أن الحوادث قصرت
٣٠٠	السرير	ما ناب من مستصعب الأمر السريع	سهل على العارف بالدهر
٣٠٠	البيسط	ثين نوراً وفيه النار تستمر	انظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للرا
٣٠١	المنسرح	تهوى فما جازع بمعذور المنسرح	اصبر على ما كرهت تحفظ بما
٣٠١	البيسط	أبدى المداجاة ما تحفى ضائره	إنني لأعرف من وجه العدو وإن

البحر الصفحة

الزاي

اصبر تنل ما ترجيه وتفضل من جارك شأو العلا سبقا وتبريزا البسيط ٣٠١

السين

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا يأتي به الله بعد الريث والياس البسيط ٣٠٢
الضر في أيامنا هذه كالليل يغشى سائر الناس السريع ٣٠٢

الطاء

أراني أستطيل مدى حياتي وما في مفرقي للشيب وخط الوافر ٣٠٢

العين

لا تخرعن بأطباع تزخرفها لك المنى بحديث المين والخذع البسيط ٣٠٣
فإذا عرا خطب فأبعد من دعي الكامل ٣٠٣

القاف

قوم يموت الناس عندهم ضراً وهم منهم على فرق السريع ٣٠٣
لنا صديق يغر الأصدقاء وما رأيت قط في ود امرئ صدقا البسيط ٣٠٤
لا تقربن باب سلطان وإن ملأت هباته غير ممنون به الطرقا البسيط ٣٠٤
استر بصبرك ما تخفيه من كمد وإن أذاب حشاك الهم والحرق البسيط ٣٠٤

الكاف

من رزق الصبر نال بغيته ولاحظته السعود في الفلك المنسرح ٣٠٤

اللام

انظر إلى صرف دهري كيف عودني بعد المشيب سوى عاداتي الأول البسيط ٣٠٥
إذا ما عرا خطب من الدهر فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل الطويل ٣٠٦
كل شيء تراه في هذه الدنيا خيال إذا انتهت يزول الخفيف ٣٠٦
إنني وثقت بأمر غرني أملي فيه وقد قيل كم من واثق خجل البسيط ٣٠٦
لا در درك من رجاء كاذب يغترنا بورود لامع آل الكامل ٣٠٧

البحر الصفحة

٣٠٧	الكامل	كثفاف معوج الظلال المائل	لا تعتين من مل ان عتابه
٣٠٧	البيسط	يرضى بماغال من وفر ومن مال	لا يؤسفنك ما غال الزمان فما
٣٠٨	الكامل	في مدافعتي ومطلي	يا جعل الاشغال عذرا
٣٠٨	الطويل	ولا لسيري في البلاد قفول	إلى كم أجوب الأرض ما لي معرس
٣٠٨	السرّيع	عناية الأيام بالجهل	زهدني في العقل أنى أرى
٣٠٨	الكامل	أخطائه فيه يحار العاقل	رفع الخطوط لمن أصبن وحط من

الميم

٣٠٩	الخفيف	فلم يرع حرمتي وذمامي	لي مولى صحبته مذهب العمر
٣٠٩	المنسرح	نازلت ضاري الأسود في الأجم	لو كان رزق الفتى بقوته
٣٠٩	الطويل	بها مكرها رشف الذعاف من السم	لحى الله أرضاً يرشف المرء رزقه
٣١٠	الكامل	يرجى ولا تتبعه زفرة نادم	لا تأسفن لذهاب أو فائت
٣١٠	الكامل	أتعبتني بعد الكرام	قل للرجاء إليك قد
٣١٠	الكامل	والحاميل همسي	يا أخي الشاكي لما أشكوه
٣١١	الكامل	ضجراً على سر الفؤاد الكاتم	لا تظلمن لسان شكوى بائح

النون

٣١١	الخفيف	أو تلقاك بالمخاوف حيناً	اصطبر للزمان إن حاف حيناً
٣١١	الكامل	أبدى لك اليأس المينا	من مل فاهجره فقد
٣١٢	البيسط	وبعد ما تاب عما راب مذ حين	يا شارب الخمر بعد النسك والدين
٣١٢	البيسط	تعلم الكرماء البخل يا زمن	كم تقصد الماجدين الفاضلين وكم

الهاء

٣١٢	الكامل	جو والمخشي إلا الله	لا تخضعن رغبا ولا رهبا فما المر
٣١٣	الخفيف	مل من رفعة ومال وجاء	نلت في مصر كل ما يرتجى الا

١١

الكبر والمشيب

الباء

٣١٤	الطويل	وما كل برق لاح يؤذن بالخصب	وشائمة برقا بفودي راعها
-----	--------	----------------------------	-------------------------

البحر الصفحة

- ٣١٤ فوديك واهما لذاك الليل بالعصب البسيط
 ٣١٥ أعتبه ووضعت خدي تائبها الكامل

التاء

- ٣١٥ صحا وللجهل أوقات وميقات وللغوايات والأهواء غايات البسيط
 ٣١٦ قلل الريا فزهت بحسن نباتها الكامل

الجيم

- ٣١٦ باك الصبا والشباب الغض قد درجا البسيط

الذال

- ٣١٧ على الماء صدع في الزجاجة باد الطويل
 ٣١٧ تعقبه ليل أحمر ركود الطويل
 ٣١٧ أسفا وقالت أين ذاك الاسود الكامل

الراء

- ٣١٨ ومنن ذا يجير إذا الشيب جارا المتقارب
 ٣١٨ رمى الوجد يوم البين سمعي بالوقر الطويل
 ٣١٩ إذ عاد حالكة كالثلج مثنورا البسيط
 ٣١٩ فعاد كالثوس يمشي والعصا الوتر البسيط
 ٣١٩ له حين يمشي وهي تقدمه وتر الطويل

القاف

- ٣٢٠ قبلي وكم من بعدهم أبقى السريع
 ٣٢٠ فعلام لون الشيب ليس يروق الكامل

اللام

- ٣٢٠ لم تترك السبعون في إقبالها

البحر الصفحة

٣٢١	الكامل	فإلام توضع في الطريق المجهل	وضح الصباح لناظر المتأمل
٣٢١	الوافر	لصبغ حال أم تغيير حال	نضا صبغ الشباب فلست أدري
٣٢٢	الرجز	ورابني عثارها في السهل	إن ضعفت عن حمل ثقلي رجلي

الميم

٣٢٢	الكامل	ماذا فقلت تريكة الأيام	قالت وأحزنها بياض مفارقي
٣٢٢	الكامل	فكأنهم وكأنه أحلام	انظر إلى لعب الزمان بأهله
٣٢٣	الكامل	ن الدين والأنباء تنمي	من مبلغ عني فلا
٣٢٣	الوافر	من الدنيا فتغشاني الهموم	أفكر في فرية ما تلاقي

النون

٣٢٤	البيسط	وساور الضعف بعد الأيد أركانني	لما تحطنتني السبعون معرضة
٣٢٤	الرمل	ونيت بي حين حاولت الحزونا	حملت ثقلي في السهل العصا
٣٢٤	السريع	نون لما ان علت سنى	نكست في الخلق وحطنتني السبع

الهاء

٣٢٥	الرمل	ثم قالت ما الذي بعدي عراه	نظرت مبيض فودي فبكت
٣٢٥	الكامل	فتحملته تحمل المتكاره	حملت ثقلي بعد ما شبت العصا

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

٣٢٦	البيسط	تضييع وقتني في لهو وفي لعب	يا رب حسن رجائي فيك حسن لي
-----	--------	----------------------------	----------------------------

التاء

٣٢٦	البيسط	له أفيقوا فللنوم هبات	يا غافلين عن الأمر الذي خلقوا
-----	--------	-----------------------	-------------------------------

الحاء

لا ترتج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البسيط ٣٢٧

الذال

مذ بصرتني تجاريي ونهني خبري بدھري فقدت العيشة الرغدا البسيط ٣٢٨
عجزت عن الدنيا فما لي من يد بها ولا الأيد المساعد واليد الطويل ٣٢٨
نزلنا به حتى إذا يومنا انتضى رحلنا على العيس النجائب والجرد الطويل ٣٢٨
أما رأوا تقلب الدنيا بنا وفتكها بمن اليها اخلدا الرجز ٣٢٩
مثوبة الفاقد عن فقده بصيره انفع من وجده السريع ٣٢٩
تبارك اسمك كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلي الصمد البسيط ٣٢٩

الراء

احذر من الدنيا ولا تعتر بالعمر القصير الكامل ٣٣١
لا تغتبط بسرور دنيا ما يدوم بها سرور الكامل ٣٣١
أرى العين تستحلي الكرى وأمامها كرى ليس تقضيه الى داعي الخثر الكامل ٣٣١
دنياي ناشرة فإن فارقتها طوعاً وإلا فارقتني كارها الكامل ٣٣٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضلاً لا يتوم به شكري الطويل ٣٣٢
أيها الظالم مهلا أنت بالحاكم غر الرمل ٣٣٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شباههم وهم بها بين ركاض ومغيط البسيط ٣٣٣
ما زلت في غبطة عيش عالماً أن سيزول بالهموم ما غبط الرجز ٣٣٤

العين

من مبلغ المعتر والقانع وأبن السبيل النازح النازع السريع ٣٣٤
أيها الغافل كم هذا المهجوع أعلن الداعي فهل أنت سميع الرمل ٣٣٦

القاف

أيها الغافلون عن سكرة الموت وإذ لا يسوغ في الخلق ريق الخفيف ٣٣٧

البحر الصفحة

الكاف

سلوت عن صبوات كنت ذا شغف بها وملت إلى الإخبات والنسك البسيط ٣٣٨

اللام

أرى الموت يستقري النفوس ولا أرى سوى مانع ما في يديه بخيل الطويل ٣٣٨

الميم

إذا ما عرامالا أطيقت دفاعه وأرمني الفكر المسهد والهيم الطويل ٣٣٩
فليس بعد الموت دار سوى جنة عدن أو لظاً تضرم السريع ٣٣٩
نمنا عن الموت والمعاد فأصبحنا نظن اليقين أحلاما الخفيف ٣٤٠
فوض الأمر راضيا جف بالكائن القلم الخفيف ٣٤٠
أو بقت نفسك يا ظلوم م بما احتقبت من المظالم الكامل ٣٤٠
ماذا الوقوف على دار بذي سلم عجماء أو قد عراها عارض الحكم البسيط ٣٤١

النون

لا تغبطن أهل بيت سرهم زمن فسوف يطرقهم بالهم والحزن البسيط ٣٤١
أيها المغرور مهلا بلغ العمر مداه الرمل ٣٤٢
أف للدنيا فما أوبا جناها ليس يخلو من رآها من أذاها الرمل ٣٤٢

١٣

المراثي

الباء

قد كنت أسمع لكن خلته مثلا أن الليالي يصدن الصقر بالحرب البسيط ٣٤٤
ويح الغريبة والسديار ديارها لم تر تحل عنها ولم تغرب الكامل ٣٤٤
لهف نفسي لهلال طالع ما استوى في أفقه حتى غرب الرمل ٣٤٥
يا نفس أين جميل صد برك حين تطرقك الخطوب الكامل ٣٤٥

البحر الصفحة

٣٤٦ كان أقوت فليس فيها عريب الخفيف لهف نفسي عل ديار من الد

التاء

٣٤٦ ق والتغرب والشتات الكامل يا دهر، كم هذا التفر

الراء

٣٤٧ وحرقة أحشائي لفقء أبي بكر الطويل إلى الله أشكو روعتي ورزيتي
٣٤٧ وأستجد الصبر الجميل ولا صبر الطويل أعاتب فيك الدهر لو أعتب الدهر
٣٥٠ ما هيل فوقك من ترب وأحجار البسيط أزور قبرك مشتاقاً فيحجين

الزاي

٣٥٠ فنفي عن أنس المسرات ناشز الطويل تحرمت الأيام أهل مودتي

العين

٣٥١ غدر وأجمل بي من صبري الجزع البسيط صبري على فند اخواني ورفقتهم
٣٥١ خلي من النادي صموت إذا دعى الطويل وقفت على رسم ببيداء بلقع

الفاء

٣٥١ أن أهتدي لطريق حين أنصرف البسيط أزور قبرك والأشجان تمنعني

الكاف

٣٥٢ أشكو زماناً لم يدع لي مشتكى الكامل أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما
٣٥٢ من بعد ما ضاق بي المسلك السريع وسع صبري عن عتيق الاسى

اللام

٣٥٣ كيف اصطباري ما عنك صبري جميل الخفيف كيف أنساك يا أبا بكر أم
٣٥٣ وهل تسلو موهبة تكول الوافر أحدث عنك بالسلوان نفسي

البحر الصفحة

٣٥٤	الطويل	يفقد أبي بكر حياتي ولا يسلي	لمعرك ما ينسيني الدهر روعتي
٣٥٤	الكامل	ساري الغمام بكل هام هامل	حيا ربوعك من ربي ومنازل

النون

٣٥٦	البيط	فليك أصدقنا بنا وأشجانا	حائم الأيك هيجتن أشجانا
٣٥٩	البيط	أقله فقد أترابي وخلاني	حسي من العيش كم لاقيت فيه أذى
٣٦٠		عن لوعتي وعن جوى أحزاني	ناحت فباحت في فروع البان

المسمطات

٣٦١	الطويل	كعهدك بانات الحمى فوق كثيها
٣٦٤	الطويل	أيا لائمي في وقفة التلوذ
٣٦٦	الطويل	أسائتها للبين وهي عجول
٣٧١	البيط	توهم ما أراني الدهر أم حلم

(٢)

فهرس الاعلام

(س)

ابن سبراي ٥٨ .
السموءل ١٩٧ .

(أ)

أحمد بن علي بن الزبير (القاضي الرشيد)
٤٢١/١٢١ .

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أخي
١٩٩/١٨٧/١٧١/١٥٩ .
شوق (جارية) ٢٠٦ .

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٣٥٣/٣٥٢/٣٥١/٣٤٧/٣٤٥ .
بهاء الدولة بن منقذ أخو أسامة
١٧٣/١٧٠/١٦٧/١٦٥ .

(ص)

أبو صالح بن المهذب ٢٠٦ .

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن منقذ (ابن عم أسامة) ١٩٨ .

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز .

(ف)

فخر الملك بن طليب (أمير) ٢٠٧ .

(ح)

حاتم (قائد) ٢٧١ .

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٧٣ .

القاضي الرشيد = أحمد بن علي .

القيسان (ابن الملوح وابن ذريح) ١٣٩ .

قيس بن ذريح ٣٦١ .

(ز)

زيد بن محمد نقيب الطالبين ١٨٥/١٨٩/١٩٣

(م)

معد الدين (أمير) ٢٥١ .

مجنون ليل ٣٦٤ .

المحسن بن الحسين بن أبي المضاء

١٦٢/١٧٤/١٨٧ .

مرهف بن أسامة ١٧٤ .

معين الدولة أنر ٢٢٠ .

(ض)

ضياء الدين = زيد بن محمد

(ط)

طمان ١٩٧ .

(ع)

الأفضل عباس ١١٦/١٩٩/٢٢٨ .

عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ١٣٢ .

عتيق ٢١٠ .

عز الدولة أخي أسامة ١٥٩/١٦١/١٦٧

١٦٨/١٨١/١٨٨/١٨٠/١٨١/٣٤٤/٣٤٤ .

(ن)

نظام الدين (الوزير) = المحسن بن الحسين .

الفهرس

٥	مقدمة
٤١	ديوان أسامة
٤٧	مقدمة صاحب الديوان
٥١	باب الغزل
١٠٤	ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق
١٥٩	ما قاله في المكاتبات ، وما يخطر في سلكها من المعاتبات
٢٠٣	باب الأوصاف
٢١٢	باب المديح
٢٥٠	ما قاله مفتخراً ، وتمدح به متأثراً
٢٨٠	باب الأدب
٢٩٥	في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال
٣١٤	في الكبر والمشيب ، وخلع رداء الشباب القشيب
٣٢٦	في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار
٣٤٤	باب المراثى
٣٦١	مسمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة
٣٨٣	فهرس القوافي
٤١٤	فهرس الاعلام
٤١٦	الفهرس